موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

الحديث الشريف

إتحاف المسلم
بما في الترغيب والترهيب
للبخاري ومسلم

www.nabulsi.com
info@nabulsi.com

مكتبة لسان العرب
@lisanarb

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠١-٤٤) : النهي عن خص الإنسان نفسه قبل القسمة أي لا يأخذ ما ليس له.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث عن الغلول :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال:

((كان على نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ النفل: هو الأنفال، أي الغنائم التي تؤخذ في الحرب من دون قتال ـ رجل يقال له: كركرة فمات، فقال عليه الصلاة والسلام: هو في النار، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها ـ غلها: أخذها قبل اقتسام الغنائم))

[أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

نتابع الأحاديث:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: حدثني عمر قال:

((لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال عليه الصلاة والسلام: كلا، إني رأيته في النار في بردة غلها، أو في عباءة غلها، ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا بن الخطاب! اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون))

[أخرجه مسلم والترمذي عن عبد الله بن عباس]

ارتبط الموضوع بالاستقامة، فلما غلّ عباءة ـ أي أخذها ولم يدخلها في الغنيمة، أخذها قبل أن تقسم الغنائم، خصها لنفسه ـ فقال: هو في النار، هذا الحديث الثاني.

التعريف الفقهي للغلول :

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

((قام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم فذكر الغلول))

التعريف الفقهي للغلول: نحن في حرب، إنسان خصّ نفسه بدرع، أخفاها لنفسه، ما أدخلها في الغنيمة، ما الذي يشبه الآن هذا الوضع؟ أي إنسان له أب توفي وهناك شيء ثمين أخذه، وجعله لنفسه، ليس له شأن في القسمة، خصه لنفسه قبل أن يعطيه للورثة، هذا اسمه غلول، شريك مثلاً

باع بيعة وضعها في جيبه، هذه ليست نازلة في الحساب، هناك شريك، وصار هناك بيع على المحل، جاءه مبلغ عن طريق المحل نفسه الذي له فيه شريك، أليس لهذا دخل في الحسابات؟ أي شيء ينجو من القسمة؛ هذا اسمه غلول، تنوعت الأسباب:

((.... فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره حتى قال: لا ألفين ـ أي لا أجدن ـ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ـ بعير له صوت ـ فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح ـ يعني دجاجة ـ ، فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق ـ رقاع: أي وثيقة فيها حقوق، وصل أحياناً، سند أخفاه، لما أخفاه ضاع صاحبه ـ فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ـ المال ناطق أو صامت، الغنمة لها صوت، الشاة لها صوت، الديك له صوت، الناقة لها صوت، الحصان له صوت، يوجد شيء ليس له صوت: الذهب والفضة ـ على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

معنى ذلك: دين، عبادات، صلوات، حضور خطب، حضور الجمع والجماعات، التزي بالزي الديني، ولا يوجد ورع، ولا استقامة، لا قيمة له عند الله إطلاقاً، نادى يا بن الخطاب إن الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون.

فالذي أخذ عباءة، وهو في ساحة المعركة، وهو في الجهاد، وهو مع رسول الله، قال: هو في النار؛ لأنه لم يدمج الدين بالاستقامة، ظن الدين لوحده، وهذا أكبر مرض مستشر؛ يصلي، له جامع، يرتاد المساجد، و عند المحاككة بالدرهم والدينار ليس منصفاً مع شريكه، و ليس منصفاً بتوزيع الإرث، و ليس منصفاً بالعلاقات التجارية، يأخذ ما ليس له، بأدق التعابير: يأخذ ما ليس له؛ هذا الشيء للورثة، هذا الشيء للشركاء، هذا الشيء للمجموع، يخص نفسه بشيء، هذا لا يجوز.

ارتباط الدين بالاستقامة :

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

((خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر، ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهباً، ولا ورقاً، غنمنا المتاع، والطعام، والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي ـ أي وادي القرى ـ ومع رسول الله ـ

صلى الله عليه وسلم ـ عبد له، وهبه له رجل من بني جذام، يدعى رفاعة بن زيد ـ من بني الضبيب ـ فلما نزلنا الوادي، قام عبد رسول الله يحل رحله، فرمي بسهم، فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله! فقال عليه الصلاة والسلام: كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم، لم تصبها المقاسم، ـ هذا حديث رابع ـ قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك، أو شراكين، فقال: أصبت يوم خيبر، فقال عليه الصلاة والسلام: شراك من نار، أو شراكان من نار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

عندما قال ذلك: خاف الصحابة، فردة حذاء صغيرـ نعل ـ وضعه مع الغنائم، فهذا الحديث الرابع: أنا أعده يقصم الظهر، وخطير جداً؛ هناك صلاة، و صوم، و حج، و زكاة، و حضور جمع وجماعات، و مظاهر دينية صارخة، لكن لا يوجد استقامة، النبي قال: إلى النار، لا يوجد دين منفصل عن الاستقامة، كل الدين يظهر بالتعامل المادي، كل الدين يظهر بالعفة عن النساء اللاتي لا يحللن لك، فإذا تساهل الإنسان في موضوع النساء، تساهل في موضوع المادة، يدخل أحياناً بتحكيم في خصومات مالية، يأخذ الملايين، ولا يعترف بها، ويأكلها حراماً، ومحسوب على المسلمين؛ ومحسوب من رواد المساجد، ومحسوب أنه يصلي، ومحسوب صاحب دين، فلذلك: الناس إذا قلت لهم: صاحب دين، يقولون لك: لا، ليس صاحب دين، ربط صاحب الدين بإنسان يؤدي العبادات، لكن بالمعاملات غير جيد.

فالنبي نفى عنه الإيمان كلياً، لا تقل صاحب دين عن إنسان يصلي بالمسجد، قل صاحب دين عن إنسان ورع، لا يأكل درهماً حراماً، وقل هذا صاحب دين إن كان لا يأخذ ما ليس له، والإنسان يوضع في امتحانات كثيرة جداً، فإذا قال: لا تدقق، الله لن يحاسبك الآن، أنا عندي أولاد، وأمر بضائقة مالية و لهذا سأقبل، يكون قد وضع صلاته، وصيامه، وحجه بالحاوية وانتهى.

الدين أن يترفع الإنسان عن الحرام :

دينك ورعك، دينك استقامتك، دينك أن تترفع عن الحرام، أعرف أحد أخواننا له أخت، توفي والده، ترك بيتاً بأرقى أحياء دمشق، ساكن فيه الابن، والأخت متزوجة ـ خذ من هذه الحالة مئة حالة ـ دائماً عندما تطالب بحقها يقول لها: تعالي و اسكني إذا كنت تريدين، فعليك أن تقيّمه فارغاً، وتعطي أختك نصيبها من هذا البيت بالتمام والكمال، هذا الحق.

لي قريبة، توفي زوجها، عندها أولاد زوج، له زوجة سابقاً توفيت له منها أربعة أولاد كبار، ثم تزوج قريبتي وتوفي، أول شيء قال لها زوجها: لي خمسمئة ألف عند التاجر الفلاني، هذه الأموال لك إذا توفيت، ولا يوجد ورقة، ولا قلم، ولا تصريح منه، ولا شيء، فكان أول موقف أن الأولاد

ذهبوا للتاجر، وقالوا له: اعمل تنازلاً من والدنا لخالتنا، الخالة تفاجأت، كلمة تكلمتها، قال لي: الخمسمئة ألف لك، كان مهرها خمسة عشر ألفاً، أعطوها المهر بالتمام والكمال، ثم سألوا عالماً جليلاً، قال: تسعون ألفاً على السعر الجديد ـ على القيم الثابتة ـ أعطوها تسعين ألفاً، طبعاً هذا الحق لأنه نادر يلفت النظر؛ هو ليس نادراً، هذا هو الحق، التصريح يقوم مقام الكتابة، إذا كان هناك صدق ببساطة أعطوها نصف مليون، ومهرها كان خمسة عشر ألفاً، صار تسعين ألفاً، وكل حاجاتها مؤمنة، ولم يزعجوها إطلاقاً، هذا الدين.

الآن تجد إذا مات الأب، وكان للأولاد خالة ـ امرأة أب ـ يطردونها من البيت فوراً، ولا يعطونها شيئاً، أحد الأولاد يقول: هذه من رائحة أبي، يأخذ الساعة، هذه من رائحة أمي، يأخذ السجادة، هذا من دون توزيع الإرث، يقول لك: نحن أصحاب دين، نحن نصلي بالجامع، قضية الدين قضية خطيرة جداً.

النقطة الدقيقة أن قضية الدين قضية دقيقة جداً، لماذا الناس كرهوا الدين؟ لماذا كفروا بالدين؟ شخص أضاع خمسين ليرة ذهباً، فقال: يا رب أسألك ألا يجدها رجل دين؛ لأنه يأخذها ـ أصبح في طرفة ـ كيف تستطيع أن تتوازن؟ كيف تقدر أن تنام الليل؟ كيف تقدر أن ترتاح ويوجد مال ليس لك أنت أخذته؟

الورع يجد الطريق إلى الله سالكاً :

المستقيم يجد الطريق إلى الله سالكاً، إذا أحب أن يصلي لا يوجد حجاب؛ لأنه لم يأكل مالاً حراماً، أنت بإمكانك أن يكون دخلك وسطاً، ليس شرطاً أن تكون مرفهاً كثيراً في الدنيا، ولكن الشرط أن تكون مرفهاً مع الله؛ لأنك لم تأكل مالاً حراماً، هذه الأحاديث موجودة في البخاري ومسلم .

فإذا أكل الإنسان دجاجة، شاة، حصاناً، جملاً، فضة، ذهباً، أخذها وليست من حقه، طبعاً الغلول له معنى واسع، ينطلق من غنائم الحرب، الذي يخص نفسه بشيء من غنائم الحرب قبل أن توزع؛ هذا غلول.

فكل شيء يأخذه الإنسان ليس له وحده هذا غلول، مثلاً هذا المحل؛ زبون جاء للمحل، وأنت مثلاً دللته على بضاعة معينة، أعطاك صاحب البضاعة مبلغاً، هذا ليس لك وحدك، لك ولشريكك، جاء إلى المحل زبون، يريد بضاعة، لا يوجد عندك، قلت له: فلان يوجد عنده، فلان بعث لك عشرة آلاف ليرة مساء، هذه إكرامية لك مقابل أنك دللته، هذه لا نضعها في الجيبة، رأساً تدخل في الحسابات، هذا هو الدين:

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام))

[ورد في الأثر]

مرة قرأت: الوحي تأخر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال للسيدة عائشة: يا عائشة لعلها تمرة كانت على السرير أكلتها من تمر الصدقة.

تمرة واحدة، وجدها على السرير، فأنت بقدر ما تكون ورعاً، تكون عاقلاً، وكلما كنت ورعاً أكثر تجد الطريق إلى الله سالكاً، وكلما كنت ورعاً أكثر تجد للصلاة طعماً، وللصوم طعماً، وللحج طعماً، وللزكاة طعماً، تجد الدين له انسجام؛ انسجمت مع الحقائق، و اسمك يتألق، واسمك نظيف، والناس يحمدون هذا الدين.

الدين ليس عبادات فحسب بل انضباط مالي و اجتماعي أيضاً :

أنا أذكر قصة ـ سبحان الله ـ أحد أخواننا موظف بسيط جداً بمؤسسة حكومية، لها مدير عام، قدم لمعلمه طلب إجازة ستة أيام، قال له: نحن بضائقة، لا يوجد إجازة، فقال له: لا، أنا مستهلكها، فقال له: كيف تستهلكها ولم تأخذ إذناً مسبقاً؟ فقال له: أنا أصلي الظهر، وأسمع درساً كل يوم عشر دقائق، جمعتهم فأصبحوا ستة أيام، حتى لا آكل مالاً حراماً، فدهش هذا المدير أنه هل يوجد إنسان بهذا الشكل! ترك كل يوم ثلث ساعة صلاة، ودرس عشر دقائق، جمعهم فكانوا ستة أيام، فقال لي: المدير ليس رجل دين، و أكبر مفاجأة أنه سألني أين تحضر؟ فقلت له: في الجامع الفلاني، فتفاجأ لأنه لقي المدير العام في الجمعة الثانية جالساً في المسجد نفسه، قال لي: والله لا يوجد قوة تأتي به إلى الجامع، بعيد كثير البعد عن الدين.

و هكذا نجد أن ورع هذا الإنسان هو الذي شده إلى الدين:

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]

أنت عندما تكون ورعاً، يقال لك: صاحب دين؛ أصبح للصلاة طعم، للحج طعم، أما إذا أديت العبادات، ولا يوجد ورع؛ الطريق إلى الله غير سالك، أما الأحاديث: شيء مخيف؛ في جهنم، هو في النار في عباءة أخذها، في شملة أخذها، فالإنسان لا يظن الدين عبادات، الدين انضباط مالي، والدين انضباط اجتماعي، و الدين انضباط بعلاقته بالنساء، فالإنسان إذا انضبط بهاتين النقطتين الدقيقتين يجد الطريق إلى الله سالكاً، وهذا الشيء مهم جداً.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٢-٤٤) : هدي النبي عليه الصلاة والسلام في العمل الخالص لوجه الله تعالى.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩-٠٧-١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أي عمل خالص لوجه الله لا يتصل بمصالح الإنسان خير من الدنيا و ما فيها :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس و غربت))

[مسلم والنسائي عن أبي أيوب]

أي هل لك عمل خالص لله عز وجل مئة في المئة، لا ترجو مديحاً، ولا مكانة، ولا منفعة، ولا تألقاً، ولا ثناء؟

غدوة في سبيل الله ـ ذهاب ـ مشيت مع إنسان لوجه الله، عدت مريضاً لوجه الله، ذهبت إلى مجلس علم لوجه الله، غدوة أو روحة، أي عمل لا يتصل بمصالحك إطلاقاً؛ لا بكسب المال، ولا بعلاقات الأهل، ولا بسمعة، عمل تبتغي به وجه الله، ولا تريد أحداً أن يطلع عليه، قال:

((غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس و غربت))

[مسلم والنسائي عن أبي أيوب]

كما يقول النبي عليه الصلاة والسلام مخاطب الإمام علياً رضي الله عنه :

((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى الله بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[أخرجه البخاري و مسلم عن سهل بن سعد الساعدي]

البشر خمسة آلاف مليون، والبشر من آدم إلى يوم القيامة، لا يعلم عددهم إلا الله، كل هؤلاء بكفة، وكلام النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكفة خاصة؛ لأن النبي لا ينطق عن الهوى، إنه يبلغنا عن الله.

على كل إنسان أن يبحث عن عمل خالص لوجه الله عز وجل :

حركة الحياة واضحة، الناس كلهم يكبر، يعمل، يتزوج، ينجب أولاداً، تكون له حرفة، كل كلامه، وكل حركاته، وكل تصرفاته، تابعة لمصالحه، أي يكون وكيل شركة؛ المديح والثناء للبضاعة، ولا يوجد أفضل منها، ومن أحسن الأنواع، ولم يأت مثل نوعها، سحبوا الوكالة منه يذمها ـ هو نفسه يذمها ـ و يمدح غيرها، كل كلامه تابع لمصالحه، كل تصرفاته؛ يمدح نفسه، يحطم غيره، يمدح

بضاعته، يذم بضاعة الآخرين، أين الأدسم يلبي؟ أين يشعر بسعادة يلبي؟ هكذا الناس؛ كل كلمة يتكلمونها، كل حركة يتحركونها ،في سبيل مصالحهم.

نحن نريد عملاً ليس له علاقة لا بمصالحك، ولا ببيتك، ولا بأولادك، ولا بدخلك، ولا بمهنتك، ولا بحرفتك، ولا بسمعتك، ولا بمكانتك، ولا بسرك، تبتغي به وجه الله وحده؛ لا تتحرك إلا في سبيل الله، لا تبتغي أن يمدحك الناس، هذا العمل خير لك من الدنيا وما فيها، ماذا يوجد في الدنيا؟ نحن أحياناً بعيدون عما في الدنيا؛ يوجد في الدنيا أموال لا تأكلها النيران، شركة أدوية أمريكية، مبيعاتها أربعمئة مليار في العالم كم أرباحها؟ مالكها إنسان واحد، هناك شركات عملاقة تبيع للعالم كله، مالك هذه الشركة كم حجمه؟ أين يسكن؟ له طائرة خاصة؟ له يخت خاص؟ له ألف إنسان يخدمه؟

أن تهدي رجلاً واحداً، تذهب إلى بيته، تقنعه بالإسلام، تدعوه إلى مأدبة حتى يميل لك، تكرمه، تعطيه شريطاً، تقنعه بالإسلام، تقدم له هدية ليس لك مصلحة فيه، ولا يهمك أمره، ولا يقدم لك شيئاً، ولا ينفعك، لكنك ابتغيت بهذا العمل وجه الله.

جالس في بيتك، زوجتك أمامك، أولادك أمامك، بيتك مريح، وأنت مرتاح ومسرور، نهضت وارتديت ثيابك، وجئت إلى مجلس علم، على الأرض، لا يوجد شيء؛ لا كأس عصير، ولا كأس شاي، ولا مقعد مريح، ولا منظر جميل، جالس تستمع، تتعلم كلام الله، ما الذي دفعك إلى دخول هذا المسجد؟ الله عز وجل، ابحث عن عمل خالص.

على الإنسان أن يعمل للآخرة لا للدنيا فقط :

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ماشياً مع أصحابه، لقي قبراً، فقال:

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم))

[رواه ابن المبارك عن أبي هريرة]

ما هي دنياكم؟ أراض، محاضر، مزارع، فيلات، معامل، شركات، يوجد وكلاء شركات أدوات غذائية؛ شخص في الشام ربحه بليون، هناك حجوم أرباح كبيرة جداً، والله قال لي شخص: أخذت بيتاً بمئة وخمسين مليون في الشام، إذا كان سعر بيته مئة وخمسين مليون؛ ماذا عن حق سيارته؟ نوع مصروفها؟ يأتي إنسان ليقنع إنساناً بالدين، يتعذب معه قليلاً، يتحمله، يزوره، يغريه، يقدم له هدية، يأت به إلى الجامع، كان شارداً وانضبط خير لك من الدنيا، وما فيها.

أغنى غني بالعالم ـ روتشيلد ـ كان يقرض الحكومة البريطانية، خزائنه الحديدية عبارة عن غرفة ـ ليس صندوقاً حديدياً ـ مرة دخل بطريقة، أو بأخرى، الباب أغلق عليه، صرخ، صاح، لا يوجد

أمل، ثم جرح يده، وكتب: (أغنى رجل في العالم، يموت جوعاً، وعطشاً) مات ضمن خزانته الحديدية.

على الإنسان أن يبحث عن عمل ليس له علاقة بكل مصالحه :

أنا هدفي: ابحث عن عمل ليس له علاقة بكل مصالحك أبداً، سمعت عن شخص ـ أنت لست مكلفاً أن تفعل هذا الشيء ـ يقوم بخدمة المساجد خدمة صعبة جداً، لا أحد يفعلها، هو يفعلها ولا أحد يعلم به، متعبة، محرجة، يقدمها و يقول لك: هذه لله، يا ترى هل لنا عمل مثل هذا؟ نحن ضمن الدين إنسان يتكلم الناس يستمعون له، هذه الدنيا أما هكذا عمل! سراً، لا أحد يعلم به، تزور فقيراً، تؤمن له طعامه، تعود مريضاً لوجه الله، أحياناً تأتيك دعوة فرضاً خارج دمشق، مكان بعيد ـ قرية ـ على كأس شاي، والكتاب بالطريق، ولا يوجد صالة مكيفة، ولا ضيافة ثمينة جداً، ولا يوجد شيء يطرب له الإنسان، فتلبية دعوة الفقير، تأخذ من وقتك ثلاث ساعات، أربع ساعات، ساعة ذهاب، وساعة إياب، وساعة إقامة، على كأس شاي، على جلسة على كرسي خيزران في الطريق، كي تجبر خاطره لوجه الله، تلبية دعوة الفقراء من عمل الآخرة، وتلبية دعوة الأغنياء من عمل الدنيا.

إنسان له قريبة ـ ابنة أخته فرضاً ـ مسكينة، زوجها فقير، يسكنان في منطقة بعيدة، لا أحد يزورهم بسبب فقرهم، الغني إذا عطس، يأتيه مئة شخص ـ قلوبنا عندك، خير إن شاء الله ـ سافر، رجع من سفره، الجميع يزوره، كيفما تحرك الجميع يؤدي فرائض الود، والولاء، أما إذا كان الإنسان فقيراً و مرض لا أحد يخطر على باله أن يزوره، ينجب ولداً، ويموت الولد، ويسافر، ويرجع، ويعمل، ولا أحد يزوره، ولا أحد يدعوه، هل خطر في بالك أن تزور فقيراً ليس له شأن في الحياة؟ إذا زرته لا يقدم لك شيئاً، لكن أنت تُشرّفه بهذه الزيارة، نريد عملاً لوجه الله؛ عملاً تبتغي به وجه الله .

لي قريبة، لها مبلغ من المال عند الدولة ـ أسهم قديمة تأممت ومن ثم وزعوا على صغار المساهمين ـ المبلغ بمقدار الوكالة وهي مقعدة، ذهبت وأملي في المئة واحد أن يوافق الموظف، قلت له: يوجد إنسانة مقعدة في البيت، ولها مبلغ عندكم، هل من الممكن أن تذهب إلى بيتها وتعطيها المبلغ؟ يريد بصمتها وتوقيعها حتى تستطيع أن تقبض المبلغ وهي بحاجة له، قال: نعم ـ والدنيا رمضان ـ قلت له: أنا آخذك في السيارة، فلم يرض، قلت في نفسي: لا يريد أن يأتي، طلب العنوان، أخذ العنوان، والله عصراً طرق الباب: أين الحجة؟ وبصمها، وأعطاها المبلغ، ومعه الحقيبة والدفتر، قال لي: هل من الممكن أن أصلي العصر عندكم؟ قلت له: تفضل، فقلت له: هل من الممكن أن أوصلك؟ قال: لا، لم يرض أن أوصله، والسيارة موجودة، ومكانه بعيد، أحب أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله، لا أحد يفعلها، أحياناً: شخص يجلس مع شخص يعلمه القرآن ـ هو أستاذ

رياضيات ـ ولا يوجد عنده وقت، وكل ساعة بألف ليرة، ورجل فقير سأله أن يعطيه عدة دروس، فأجابه: على عيني.

حدثنا أحد أخواننا ـ طبيب أسنان ـ جاءت إلى عيادته إنسانة، واجهتها كلها مشوهة، وهي معلمة، كلما تريد أن تفتح فمها، التلميذات يضحكن عليها ـ منظرها ليس مقبولاً ـ سألته: كم تكلف العملية؟ قال: تكلف ستين ألفاً فانزعجت، فقال لها: سنعمل العملية، ومن ثم نحل المشكلة، أجبرها أن تصلح أسنانها، قال لي: عملت حوالي شهرين أو ثلاثة، في تقويم أسنانها، و قلت لها: إن هذا العمل لوجه الله، قال لي: في حياتي كلها ما سعدت، وما شعرت بسرور كهذه المرة، طبعاً عنده مئة زبون، ومئة زبونة، كل واحد حسابه أربعون ألفاً، خمسون ألفاً، أما هذه لوجه الله، أحياناً تجد محامياً يدافع عن شخص فقير لوجه الله، لا يريد منه شيئاً، طبيب يعالج إنساناً لوجه الله، فهناك في الطب، في الهندسة، في التعليم، في شتى شؤون الحياة، أعمال لوجه الله .

إنسانة وهي تمشي في الطريق شاهدت سيارة صدمت سيارة ثانية فحطمتها، الذي صدم السيارة الثانية قوي ومتجبر و صاحب السيارة الثانية إنسان ضعيف يعيش منها، فصار يبكي، فقالت له: يا بني! هذه تصليحتها علي، ليس لها علاقة معه، هي تمشي في الطريق، لقيت شخصاً اعتدى على آخر، والمعتدى عليه ضعيف، والمعتدي قوي، قالت له: امش، تصليح هذه السيارة عليّ، نريد عملاً لله، ليس لك مصلحة فيه، بهذا العمل في الآخرة تفوق أغنياء العالم، تفوق أقوياء العالم، تفوق أصحاب الحظوظ في العالم. " قال له: يا معاذ، أخلص دينك، يكفك القليل من العمل".

أحياناً إنسان متعب، لا يستطيع أن يتحرك، يأتيه عمل صالح، رغم تعبه يفعله، رغم تعبه يخرج من بيته، رغم تعبه ينفق ماله، أحياناً معك مبلغ بسيط لآخر الشهر، يأتيك شخص تعطيه إياه .

الدين ليس قضية مظاهر بل علاقة متينة مع الله عز وجل :

أنا هدفي أن الدين عظيم، لا تستهلكه استهلاكاً رخيصاً، الدين ليس قضية مظاهر، قضية علاقة متينة مع الله، قضية إخلاص لله، فعلى الإنسان أن يبحث عن عمل لا يبتغي به إلا وجه الله.

((غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس و غربت))

[مسلم والنسائي عن أبي أيوب]

والله بلدنا فيه خير، تجد أناساً يبذلون من مالهم، من وقتهم، من صحتهم، أحياناً أدخل حكماً بين شخصين، مرة اختلف اثنان ـ أب وابنه ـ والله جلست معهم للساعة الثانية عشرة، أول جلسة، وثاني جلسة، الأب لم يرض ـ الأب ليس من أخواننا ـ ذهبوا إلى القضاء، في القضاء القاضي عين حكماً، أخذ مئة ألف على جلستين؛ خمسون من الأب، وخمسون من الابن، وكما حكمت حكم، الناس ماذا يقولون: ليس لنا دخل، فخار يكسر بعضه، أريد راحتي أريد .

نحن نريد هذا النمط الذي تبتغي به وجه الله، لا تبتغي سمعة، ولا ثناء، هناك أشخاص إذا عمل عملاً، لا يحب أحداً أن يعلم به، هذه لله لا يحب أحداً أن يعلم به، هذه لله:

((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ......... وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

إنسان يصلي قيام الليل، لا أحد يعلم به، هناك شخص ـ مثل جحا ـ يسهر ليلة، يريد أن ينام الليل كله، يظل يتحدث عن نفسه، ماذا فعل؟ ماذا عمل؟ لكي ينتزع إعجاب الناس، هذه شهوة، وهناك شخص يريد الله عز وجل، لا يهمه أحد، أحاديث كثيرة أخذت منها هذا الحديث:

((غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس و غربت))

[مسلم والنسائي عن أبي أيوب]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٣-٤٤) : هدي النبي عليه الصلاة والسلام في الصدق مع الله ومع النفس ومع الغير .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الصحابي الجليل كعب بن مالك :

أيها الأخوة الكرام، في قصة سيدنا كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ الذي تخلف عن غزوة تبوك، والذي أنزل الله في حقه قرآناً:

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

[سورة التوبة الآية:١١٨]

لقصة هذا الصحابي مغزى عميقاً، لا شك أنكم تعلمون هذه القصة، ولكن سأقف عند فقرة صغيرة منها؛ هي لبها ومغزاها:

لما قفل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ عائداً من غزوة تبوك، ووصل إلى المدينة، جاءه المنافقون، واعتذروا له واحداً واحداً بعذر بليغ، النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل معذرتهم، واستغفر لهم، وانتهى كل شيء ـ دققوا في التوحيد ـ أما هذا الصحابي، يقول: قد توجه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قافلاً من تبوك، حضرني بثي ـ أي حزني ـ فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بمّ أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أظل قادماً، زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء، فأجمعت صدقه ـ قرر أن يكون صادقاً ـ وصبّح رسول الله قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك: جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسُّم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك! ألم تكن قد ابتعت ظهراً ـ أي جملاً ـ؟ قلت: يا رسول الله! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً ـ يسمونها قدرة خاصة، قوة إقناع، عنده قوة إقناع يقنع الناس بها ـ لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به

عني، ليوشكنّ الله أن يُسْخِطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صِدْق تَجدُ عليّ فيه، إني لأرجو فيه عفوَ الله.

أي هذا الصحابي الجليل لو أرضى النبي بلسانه ولم يكن صادقاً الله عز وجل سيسخطه عليه، فنحن عندما نصل إلى هذا المستوى من التوحيد حلت كل مشكلاتنا، رأى أن رضاء النبي دون أن يرضي الله لن ينجيه .

الصدق ينجي الإنسان من كل مشكلة يقع بها :

الآن: أشخاص كثيرون؛ إذا أرضى شخصاً تعتقد أن مشكلته حلت، مشكلتك مع الله:

((.....وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[البخاري ومسلم عن أم سلمة]

و إني لأرجو فيه عفوَ الله.

يا رسول الله! والله ما كان لي من عذر، طبيعة الصدق الإنسان إذا كان صادقاً مع الله، وصادقاً مع نفسه، وصادقاً مع الآخرين، ولم يكذب أبداً؛ هذه القضية تنجيه من كل مشكلة، وعندما يكذب انتهى.

المؤمن قد يغلب، لكن لا يكذب؛ لأن الكذب خبث ـ ليس الكذب شهوة يغلب بها ـ قبل قليل قبل عذر ثمانين رجلاً، وعندما قال: أما هذا فقد صدق أي هؤلاء جميعا كاذبون، فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوتي فطنة، وأوتي فراسة، فقبل معذرتهم، وقبل علانيتهم، ووكل سرائرهم إلى الله. هذه القصة على طولها النقطة الدقيقة فيها: لئن حدَّثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني، ليوشكنّ الله أن يُسْخِطَك عليّ، ولئن حدثتك حديث صِدْق تَجدُ عليّ فيه، إني لأرجو فيه عفوَ الله.

فالإنسان عندما يرى الله وحده، لا يرى معه أحداً، يرى أنه إن أرضى الله يرضى عنه كل شيء، وإذا أغضب الله يغضب عنه كل شيء، وعلاقته مع الله عز وجل.

عندما تنفى صفة الكذب في حياتنا، تحل كل مشكلاتنا، فالإنسان علاقته مع الله، والحديث الذي نثرته قبل قليل:

((.....وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[البخاري ومسلم عن أم سلمة]

عندما كان صادقاً ـ رضي الله عنه ـ تولى الله تربيته، فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمر بمقاطعته خمسين يوماً، والإنسان اجتماعي؛ لو كان في مجتمع مسلم صادق إنسان منحرف، أو مقصر، أو كاذب، و ابتعد الناس عنه لهذه المعصية، تصبح الحياة الاجتماعية راقية جداً، الآن إنسان يرتكب المعاصي كلها، والموبقات كلها، فإذا دخل إلى مجلس معزز، مكرم، محترم.

المؤمن الصادق يدخل ضمن العناية الإلهية :

المجتمع إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينتهي كلياً: "....فقال: قم حتى يقضي الله فيك، فقمت، وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا: والله، ما علمناك أذنبت ذنباً قبل، لقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله بما اعتذر منه المخلفون، قال: فو الله! فما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله، فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي معي هذا أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت، قال: قلت: من هما؟ قال: مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدراً، فيهما أسوة، قال: فمضيت حتى ذكروهما لي قال: ونهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كلامنا من بين من تخلف عنا"

معنى هذا أن الله تعالى ما أمر النبي أن يقاطع المنافق ، أما هذا المؤمن لأنه صادق دخل ضمن المعالجة، معنى ذلك أن الله عز وجل إذا عالج الإنسان فهذا الإنسان فيه خير.

هذا الصحابي الذي تخلف، وكان صادقاً، أمر أن يقاطع خمسين يوماً، أما هؤلاء ما أمر النبي أن يقاطعهم؛ أيهما أفضل عند الله؟ هذا أفضل بمليون مرة، هؤلاء كذبوا، وتواقحوا، وما قال النبي كلمة، قال: أما هذا فقد صدق، أما الصادق فتولى الله معالجته.

نقطة جديدة: أنا ممكن أن أكون ببحبوحة، ولا يوجد عندي مشكلة، ومقيم على المعصية، يأتي إنسان يرتكب معصية صغيرة جداً تساق له كل الشدائد، معنى هذا أن الخاضع للمعالجة أفضل بكثير لأنه يوجد أمل من شفائه، أما الذي لا يخضع للمعالجة ميئوس من شفائه، فأنت أفضل ألف مرة عند الله .

إذا الله عز وجل ساق لك بعض المشكلات، ولم يسقها لغيرك، لا تقل: أنا ماذا فعلت؟ أنت فيك خير، أنت بالعناية المشددة، فكل إنسان فيه أمل بالشفاء التام تساق له الشدائد كلها حتى ينجو .

السرور ليس بالمال ولا بالدنيا :

آخر القصة: لما أنزل الله عز وجل التوبة عليهم، قال: سلّمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال وهو متألق الوجه من السرور: أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك، قال: فقلت: أمن

عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: بل من عند الله عز وجل، وكان رسول الله إذا سرّ، استنار وجهه، حتى كأن وجهه قطعة قمر".

المعنى: أن السرور ليس بالمال، ولا بالدنيا، عندما تاب الله عز وجل على هذا الصحابي، أشرق وجه النبي، فالإنسان الصالح يفرح لك بالتوبة، يفرح لك بقبول الله عز وجل، أما هذه الدنيا زائلة، يجب ألا تفرح للدنيا، قال تعالى:

(لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)

[سورة القصص الآية:٧٦]

حينما تفرح بالدنيا دليل قصور تفكير بالإنسان، قال: "فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله".

الصدق مفتاح النجاة :

هناك نقطة دقيقة: إذا كان هناك من يودك من المؤمنين لأنك مستقيم، هذه نعمة كبيرة، لكن عندما يكشف الإنسان أو يخرق ستر الله للمؤمنين الصادقين، يبتعدون عنه، إذا أنت التقيت بمؤمن، وودك مودة كبيرة، واحترمك، وقدّر علمك، واستقامتك، وأخلاقك، هذه نعمة كبيرة، أما إذا إنسان ودوه أهل الدنيا المنحرفين، فهذه المودة لا قيمة لها، فقال عليه الصلاة والسلام: "أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك، قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، قال: وقلت: يا رسول الله! إنما أنجاني الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ـ أي سبب نجاته الصدق ـ قال: فو الله، ما علمت أن أحداً أبلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت لرسول الله ذلك إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله، والله ما تعمدت كذبة، منذ قلت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا، وإني لأرجو الله أن يحفظني الله فيما بقيت"، قال: فأنزل الله قوله تعالى:

(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)

[سورة التوبة الآية:١١٧]

(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

[سورة التوبة الآية:١١٨]

من كان صادقاً وتولاه الله بالمعالجة فهذا وسام شرف له لا وصمة عار في حقه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

[سورة التوبة الآية:١١٩]

قال كعب: "والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط، بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا أكون كذبته، فأهلك مما أهلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد":

(سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)

[سورة التوبة الآيات :٩٥-٩٦]

أيها الأخوة: القصة كلها مفتاح للصدق، قال له: لا يوجد عذر لتخلفي عنك، فالله عز وجل أدخله في العناية الإلهية المباشرة، ونجاه بهذا الصدق، وكان من المؤمنين الكبار، فإذا كان الإنسان صادقاً، والله تولاه بالمعالجة؛ ليكن هذا وسام شرف له، لا وصمة عار في حقه، وصمة العار أن تحلف كذباً، وأن يمقتك الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٤-٤٤) : النهي عن التعالي والخيلاء وعدم التباهي بحظوظ الدنيا .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

على كلّ قاض ألا يقضي و هو غضبان لأن حكمه يأتي غير صحيح :

هناك طائفة من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحتاج إلى مقدمة، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا يقض القاضي بين اثنين وهو غضبان))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه]

علة هذا النهي أنه إذا كان القاضي غضباناً جاء حكمه غير صحيح، فجاء العلماء وحملوا عليه حالات كثيرة ـ تزيد عن ثلاثين حالة ـ فلا ينبغي أن يقضي القاضي وهو متلبس بها، لو أن ابنه مريض مرضاً شديداً، هذا القلق على ابنه يمنعه من صواب حكمه، فقالوا: النبي عليه الصلاة والسلام جاء بحالة واحدة، وعرفت علتها، فقاسوا على هذه العلة حالات كثيرة.

هذه قاعدة أصولية: النبي أوتي جوامع الكلم.

ابنه مريض، أيضاً عليه ألا يقضي وهو جوعان ـ الجوع الشديد يشوش الحكم ـ؛ توجد عنده مشكلة، توجد عنده قضية، يوجد عنده زواج.

كل مادة أساسية في حياة الناس عليها زكاة :

شيء آخر: تجب الزكاة في القمح، والشعير، والزبيب، والتمر، وهناك آلاف الأصناف الزراعية لها غلات كبيرة جداً، فالعلماء حملوا على هذه المواد الأربعة مئات المواد، قالوا: تجب في علتها، لا في عينها، ما علة وجوده؟

الزكاة على القمح لأن القمح مادة أساسية، ولها ثمن، وأساسية في حياة الناس، الرز يحمل على القمح، مثلاً: العدس، الحمص، المحاصيل الأساسية التي تعد غذاء أساسياً للإنسان، طبعاً هذان الموضوعان مقدمتان.

الإنسان المتكبر الذي يتكبر بثوبه لا ينظر الله إليه يوم القيامة :

ثم يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا ينظر الله يوم القيامة إلى مَنّ جرَّ ثوبه خيلاءً))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

شخص يرتدي ثوباً أنيقاً، شعر بتفوقه، أراد أن يظهر أمام الناس بهذا الثوب الجميل، فجعل ينظر إلى عطفيه متبختراً، فهذا الإنسان المتكبر الذي تكبر بثوبه لا ينظر الله إليه، و الحديث هنا عن الثوب.

وفي حديث آخر:

((لا ينظرُ الله يوم القيامة إلى مَنّ جرَّ إزارَهُ بطراً))

[الشيخان عن أبي هريرة]

الأول: خيلاءً، والثاني: بطراً.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنّ جرَّ ثوّبَهُ خيلاءً ، لم ينظر الله إليهِ يومَ القِيامَةِ، فقالَ أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! إنَّ إزاري يسترخي ، إلاّ أن أتعاهده ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّك لستَ ممن يفعله خيلاءً))

[أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمر]

المحسود الغافل تصيبه عين الحاسد :

الحديث الرابع:

((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث مرات ، فقلتُ : خابوا وخَسِرُوا، مَنْ هُم يا رسول الله؟ قال : المُسْبِلُ، والمنّان، والمنفّقُ سِلْعَتَهُ بالحلف الكاذب))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي ذر الغفاري]

الإنسان ثوبه عادي، لكن أطلع الناس على بيته، يدخل في هذا الحكم، أطلع الناس على مركبته، أطلع الناس على ما عنده من حظوظ الحياة الدنيا، أراد أن يستعلي؛ كل هذه الحالات يجمعها قوله تعالى:

(تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً)

[سورة القصص الآية:٨٣]

لك أن تأكل، ولك أن تشرب، ولك أن تلبس، دون أن تتباهى، دون أن تزهو، قال ابن عباس: "أحل الله تعالى الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة "، الإسراف: معصية، والمخيلة: أن تريد أن تظهر أمام الناس بما عندك كما فعل قارون، خرج على قومه بزينته، الإنسان قد تبدو عليه النعم دون أن يقصد إظهارها، قد تبدو عليه النعم دون أن يهدف إلى إذلال الآخرين، دون أن يهدف إلى استعلائه عليهم، مثلاً إنسانة اشترى زوجها سيارة فخمة، فأينما جلست، وأينما حلت تقول: هذه السيارة الجديدة غير حياة، هدفها أن تدخل الحزن على قلوب قريباتها، أكثر الناس يتباهين بأزواجهن، ببيوتهن، بما صرفن في النزهات، حتى الحفلات وسيلة للتباهي فقط، والآية التي تقصم الظهر:

(تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً)

[سورة القصص الآية:٨٣]

وقديماً قالوا: "كثرة الظهور تقصم الظهور"، من هو المحسود؟ هو الذي أظهر النعم بقصد الاستعلاء، فالحاسد فقير محروم، تألم ألماً شديداً، فتمنى زوال النعمة عنه، لذلك العين تضع الرجل في القبر، والجمل في القدر.

المحسود الغافل تصيبه عين الحاسد، وقد قال الله عز وجل:

(وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد)

[سورة الفلق الآية:٥]

الإنسان حينما يستعلي و يتباهى؛ لعل في هؤلاء من هو محروم، لعل في هؤلاء من هو فقير، يتألم ألماً شديداً، ينقم على الله عز وجل؛ لأنه حرمه، فيكون هذا الذي ظهر على قومه بزينته هو السبب، فلنستعذ بالله عز وجل من أن نعرض على الناس ما عندنا، من أن نسعى إلى أن نستعلي على الناس ببيوتنا، بأثاث بيوتنا، بمركباتنا، بدخلنا، بأولادنا، بثيابنا ـ هنا على الثياب فقط ـ لكن القاعدة: كيف أن العلماء حملوا ثلاثاً وثلاثين حالة يمنع فيها القاضي من أن يصدر الحكم، والنبي قال حالة واحدة، (فالعلم حرف، والتكرار ألف).

وجوب الزكاة لا في عين الأشياء بل في علتها :

النبي أوجب الزكاة في أربعة أصناف، والآن: تجب الزكاة في مئات الأصناف، لو قال النبي: تجب الزكاة في القمح، والشعير، والزبيب، والرز ـ لا يوجد رز في زمانه ـ فالنبي تكلم في المحاصيل الأساسية في عصره، وأي محصول أساسي يلتقي مع القمح تجب فيه الزكاة.

الآن إلى موضوع التمر: مشاريع تفاح تضمَّن بالملايين، مشاريع العنب تضمَّن بالملايين، فالعنب مادة أساسية، والتفاح مادة أساسية، وأحياناً هناك أنواع من الفواكه لها أثمان عالية جداً، فكل

محصول زراعي، أساسي، يدر ثروة طائلة، تجب فيه الزكاة؛ لأنه اجتمع مع القمح، والشعير، والزبيب، والتمر، فتجب الزكاة لا في عين هذه الأشياء، بل في علتها، فالقاضي ينبغي ألا يقضي إذا كان غضباناً بنص الحديث، يأتي القياس إذا كان جوعاناً، إذا كان ابنه مريضاً، أية حالة تشوش ذهن القاضي ينبغي ألا يقضي بها.

من تواضع لله رفعه :

نستنبط أن معظم سلوك الناس الهادف إلى إظهار ما عنده، إلى التباهي؛ هذا منهي عنه، وقد توعد الله عز وجل من خلال كلام نبيه صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل يوم القيامة لا ينظر إليه، والإنسان كلما تواضع ازداد عند الله رفعة، وكلما جلس مع أخوانه، وأصحابه، ازداد عند الله رفعة، أحياناً أقول لكم: تجد مؤمناً غنياً، تشتهي الغنى من تواضعه، ومن سخائه، ومن أدبه.

كان عليه الصلاة والسلام: يأكل مع الخادم، ويصغي إلى المرأة الضعيفة، المسنة، ويقضي حاجة الضعيف، والبائس، كان معه عدي بن حاتم، أخذه إلى بيته إكراماً له، في الطريق استوقفته امرأة، تكلمه طويلاً في حاجتها، قال: والله ما هذا بأمر ملك!

إنسان يجلس على الأرض، يدخل عليه أعرابي، يقول له: "أيكم محمد؟ ـ لا يعرفه ـ يقول له أحد أصحابه: ذاك الوضيء، ومرة قال له النبي: قد أصبت، ما حاجتك؟

بطولة الإنسان أن يكون متواضعاً :

الإنسان بالتواضع يعلو عند الله، والإنسان أساسه عبد، ومن لوازم العبد التواضع، انظر إلى الأكحال ـ الكحل: حجر، وهي حجارة لانت فصار مقرها في الأعين؛ لما الكحل كان ليناً صار مقره في العين، من يضع الحجر في عينيه؟ مستحيل، إلا الكحل أساسه حجر ـ فأحياناً الإنسان:

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى)

[سورة العلق الآية: ٦]

(أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى)

[سورة العلق الآية: ٧]

يرى نفسه غنياً فيطغى، قوياً فيطغى، صحيحاً فيطغى، بطولة الإنسان أن يكون متواضعاً، وهو في أشد حالات قوته، لما دخل النبي مكة المكرمة فاتحاً وقد ناصبته العداء عشرين عاماً، دخلها مطأطئ الرأس؛ تواضعاً لله عز وجل، حتى كادت ذؤابة عمامته تلامس بعيره؛ تواضعاً لله.

فإذا الإنسان آتاه الله عز وجل شيئاً يقول: هذا من فضل ربي، وليكثر من ذكر فضل الله عليه، وأنا أنتبه إلى كلام المؤمنين، يقول: الله أكرمني بهذا الشيء، خصني بهذا الشيء، سمح لي أن أفعل كذا،

قدر على يدي هذا العمل الطيب، دائماً يعزو الفضل إلى صاحب الفضل وهو الله عز وجل، وإذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك، وكان عليه الصلاة والسلام: تعظم عنده النعمة مهما دقت.

كان إذا نظر إلى وجهه في المرآة، يقول: "اللهم كما حسنت خلقي فحسن خُلقي" دائماً يشكر الله عز وجل فهو بين الكبر وبين الشكر.

المؤمن شاكر، الكافر متكبر، فالمتكبر محجوب عن الله عز وجل، ودليل التواضع أن تكون مع المساكين، وأن تجلس إليهم، وأن تستمع إليهم، وأن تصادقهم؛ إنك بهذا تثبت أنك لست متكبراً، برئ من الكبر من حمل حاجته بيده، وبرئ من الشح من أدى زكاة ماله، وبرئ من النفاق من أكثر من ذكر الله.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٥-٤٤) : الحض على الإنفاق والرزق الحلال ولو كفافا .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان الفالح الذكي هو الذي يصطفي من العلم ما ينفع ومن العمل ما يُقبل :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((اللَّهمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يَخشَع، ومن نَفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا يستَجَاب لها))

[أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم]

الإنسان عمره محدود، ومادام عمره محدوداً فلابد من أن يصطفي؛ لو أنه يعيش أبد الدهر، لو تعلم كل العلوم لا مانع من ذلك، لو أنه يعيش أبد الدهر، لو فعل كل شيء لا مانع من ذلك، أما مادام له عمر محدد فلا بد من أن يصطفي من العلم ما ينفع، ومن العمل ما يرجى خيره، أما أن يفعل كل شيء، ويجرب كل شيء، ويمارس كل شيء، وله عمر محدود، فقد يكون ضحية خطأ واحد.

فلذلك كان عليه الصلاة والسلام يدعو ويتعوذ بالله من علم لا ينفع، أي وضع الإنسان في الحياة الدنيا كوضع طالب أمام مكتبة كبيرة، أربعة جدران من الأرض إلى السقف، كلها كتب، ومن بين هذه الكتب كتاب واحد سيؤدي فيه امتحاناً بعد أسبوع، ويبنى على نجاحه في الامتحان تعيينه في وظيفة، ويبنى على تعيينه في الوظيفة زواجه، ويبنى على زواجه شراء بيت، فإذا كان مستقبله يبنى على نجاحه في هذا الكتاب، وفي مكتبته مئة ألف كتاب، فلابدّ من أن يختار من هذه الكتب الكتاب المقرر.

لذلك: الإنسان الفالح الذكي، والناجح هو الذي يصطفي من العلم ما ينفع، ومن العمل ما يقبل، ومن كل شيء ما يرجى ثوابه، ويخشى أن يفوته هذا الثواب.

فلذلك: الإنسان حياته الدنيا ثمينة، وقصيرة، ومحدودة، فلابدّ من أن يصطفي كل علم ممتع، بشكل عام: أي علم! العلم بحدّ ذاته فيه متعة، لكن ليس كل علم ممتع نافع.

على الإنسان أن يتجاوز العلم الممتع إلى العلم النافع :

إذاً: يجب أن نتجاوز العلم الممتع إلى العلم النافع؛ وكل علم نافع قد ينفع في الدنيا، ولا ينفع في الآخرة، فلابدّ أن نبحث عن علم ينفع في الدنيا والآخرة؛ إنه العلم الديني، هو علم ممتع، نافع، مسعد، أي يمكن أن يكون المكسب كله في الدنيا، فإذا توقف القلب، وانتهى الأجل، كل شيء تركه في الدنيا، لكن قد يكون العلم أساسه علم بالآخرة، فإذا جاء الأجل أخذ معه كل شيء؛ ففرق كبير بين أن تدع كل شيء وبين أن تأخذ كل شيء.

لذلك في حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((قد أَفْلَحَ مَنْ أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه))

[أخرجه مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الإنسان أحياناً يرزق رزقاً وفيراً، ويصبح في حياته الدنيا خادماً لهذا الدين، ولا يستمتع منه إلا بالقدر اليسير، بينما هو مشغول في تنميته، وتوظيفه، واستثماره، إلى أن يوافيه الأجل، أما الذي أسلم، والتفت إلى الدار الآخرة، والعمل الصالح، وكان رزقه كفافاً يغطي حاجاته، وقنعه الله بما آتاه هذا هو العاقل.

طلب الرزق فريضة بعد الفريضة :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((يا بنَ آدم، إنَّكَ إن تَبْذُلَ الفضلَ خير لك، وإن تُمْسِكَهُ شرّ لك، ولا تُلامُ على كَفاف، وابدأ بمن تَعُولُ، واليدُ العليا خير من اليد السُّفْلى))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي أمامة الباهلي]

هذه مفارقات من دون إيمان بالآخرة، البذل والجمع ذكاء، إذا كان هناك آخرة انعكست الآية:

((يا بن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك))

العطاء في نقص، لكن العطاء في غنى في الآخرة،

((وإنك إن تمسكه شر لك))

الذي أنفقته هو الذي بقي، والذي أمسكته هو الذي خسرته، أكلتها ذهبت، أطعمتها بقيت،

((ولا تلام على كفاف))

إذا سعيت من أجل رزق كفاف لا تلام على ذلك، طلب الرزق فريضة بعد الفريضة؛ وابدأ بمن تعول أي:

((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول))

[أبو داود عن عبد الله بن عمرو]

أنا أقول: الأولاد الآخرون أنت لهم، و غيرك لهم؛ أما أولادك فمن لهم غيرك؟ الآخرون أنت لهم، وغيرك لهم؛ أما أولادك فأنت وحدك لهم، فإن ضيعتهم قصرت في عمل أساسي مناط بك

((ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليدُ العليا خير من اليد السُّفْلى))

كان السلف الصالح يعطي العطاء بالطريقة هذه من باب الأدب، أما المعطي الذي يعطي يده عليا، والذي يأخذ يده سفلى؛ لأن النبي يشجعنا على التفوق في الحياة، والناس لا يحترمون دينك إلا إذا تفوقت في الحياة

((اليدُ العليا خير من اليد السُّفْلى))

والإنسان أحياناً يفهم الدين فهماً شمولياً؛ فحرفتك التي هي حرفتك، وترزق منها، إذا كانت مشروعة في الأصل، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية نفسك، وأهلك، وخدمة المسلمين، ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن واجب انقلبت هذه الحرفة إلى عبادة، إلى عبادة لا تقل عن العبادات الأخرى .

الدين شمولي، والدين هو الحياة، والحرف التي يحترفها الإنسان أو يمارسها بنية طيبة، بنية خدمة المسلمين، والتخفيف عنهم، وحل مشكلاتهم، ونصحهم؛ تنقلب حرفته عبادة.

الأعمال مهما تكن شاقة هي قربة لله عز وجل :

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((لأن يأخذ أحدكُم أحْبُلَهُ، ثم يأتي الجبلَ فيأتي بحُزْمة من حَطب على ظهره فيبيعها، خير له من أن يسأل الناس أعْطوْهُ أم مَنَعوُه))

[أخرجه البخاري عن الزبير بن العوام]

الأعمال مهما تكن شاقة ـ التي تحفظ لك ماء وجهك ـ هذه الأعمال قربة إلى الله عز وجل.

الإنسان يتوهم إذا جلس في المسجد، وقرأ القرآن، وذكر الله عز وجل هو أعلى شيء، أما إذا لم يكن هناك من ينفق عليه، كان عبئاً على الناس، لا، إذا ذهب، وعمل، وكسب قوت يومه بيده، وأطعم والديه، وأولاده، وزوجته؛ هذا العمل أفضل من أن تكون عبئاً على المجتمع، وأن تكون يدك هي السفلى .

لذلك: لما رأى النبي رجلاً يصلي في غير أوقات الصلاة، قال:"من يطعمك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك".

أحلّ أنواع الطعام ما كان نتيجة عمل يدوي في كسب رزق :

والحديث الأخير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكلَ من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))

[أخرجه البخاري عن المقدام بن معد يكرب]

أحلّ أنواع الطعام ما كان نتيجة عمل يدوي في كسب رزق، أحياناً يأتي من كلمة، يأتي من وساطة، هناك شبهات تدخل في الرزق، الذي يأتي بالوساطة ـ ليس كل وساطة رزقها فيه شبهة ـ هناك وساطة فيها جهد كبير، سألني البارحة شخص قال له: إنسان مستورد، استورد صفقة قماش، أعطاها لدلال، فهذا الدلال أخذ الصفقات، وسافر إلى أن يبيع جزءاً منها، فأنت إذا أعطيته نسبة على مبيعاته هذه اسمها وساطة لكن مقابل جهد حقيقي، أنت مرتاح في مكتبك، أنت كنت في مركز عال استوردت بضاعة، ووضعتها بمستودع، وكلفت الإنسان الوسيط أن يبيعها، وهذا الإنسان تعب، اشتغل أسبوعين، ثلاثة؛ لم يأكل في بيته، ونام خارج البيت، فهذه وساطة حقيقية، ويأخذ أجره حلالاً عليه ـ ليس كل وساطة دخلها فيه شبهة ـ أما أحياناً لم يفعل شيئاً، لكن لأنه تكلم كلمة يريد أن يأخذ مليوني ليرة على بيع البيت، البيت بيع بمئة مليون، لي بالمئة اثنان، الكلمة التي تكلم بها لا تتناسب مع المصداق، فهناك نوع من الوساطة فيها شبهة، و هناك نوع حقيقي مقابل جهد حقيقي، ووقت بذله، أما العمل اليدوي لا شك أنه حلال مئة في المئة؛ لأنه جهد حقيقي، وفيه عرق، وفيه كد.

فلذلك المسلم إنسان عملي، والمسلم متفوق في دنياه، ومخلص، لذلك الناس يحترمون دينه؛ لأن يده عليا، وعمله متقن، والدين هو الحياة، فالإنسان إذا كانت له حرفة صالحة، ومشروعة، وفي خدمة المسلمين، فعمله في هذه الحرفة جزء من دينه.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٦-٤٤) : حال أهل النار يوم القيامة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان كلما ازداد إيمانه صدق ربه :

فيما يروي الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار ـ أي: من كان في الدنيا من أشد الناس نعيماً؛ حياته، بيته، مركبته، ثيابه، أناقته، بذخه، طعامه، شرابه، حفلاته؛ هناك أشخاص أغنياء جداً، ويعيشون حياة تفوق حدّ الخيال ـ قال: يُؤتى بأنعم أهل الدنيا، من أهل النار يوم القيامة ، فيصْبَغ في النَّار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم ، هل رأيتَ خيراً قط ؟ هل مرَّ بك من نعيم قط ؟ فيقول: لا والله يا رب، ـ هذه الدنيا لا شأن لها عند الله، لا تعدل عند الله جناح بعوضة؛ لو أن الإنسان أعطي الدنيا كلها؛ أعطي أموالها، ونساءها، وبيوتها، ومركباتها، وبساتينها، ومركزها، ثم صبغ صبغة في النار ـ ثم يقال: هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك من نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ثم يؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا، ـ أي يكاد يموت من الجوع؛ ليس عليه شيء يستره، يعاني من أمراض لا تحتمل، مات في السجن مثلاً من شدة التعذيب ـ أشد الناس بؤساً في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبَغُ صَبْغة في الجنة، فيقال له : يا بنَ آدمَ ، هل رأيتَ بؤساً قط ؟ هل مرَّ بك مِنّ شدَّة قط؟ فيقول : لا والله يا رب، ما مرَّ بي بُؤس قط، ولا رأيتُ شدَّة قط))

[أخرجه مسلم عن أنس بن مالك]

الشيء الدقيق: ربنا عز وجل يصف عذاب أهل النار، هل يعقل أن يكون هذا الكلام لا معنى له؟ الإنسان كلما ازداد إيمانه صدق ربه، لذلك: المؤمن يخاف من النار، ويتقي النار ولو بشق تمرة؛ يتقي النار بطاعة الله، يتقي النار بإنفاق ماله في سبيل الله، يتقي النار بتعليم العلم، يتقي النار بحضور مجالس العلم.

من هنا قال سيدنا علي:" يا بني! ما خير بعده النار بخير، وما شر بعده الجنة بشر، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية"

العاقل هو الذي يصدق ربه؛ يقرأ القرآن، فيقول: صدق الله العظيم، يتقي النار ولو بشق تمرة، يتقي النار بطاعة الله.

العاقل هو الذي يصدق ربه و يتقي عذابه في النار :

هناك حديث آخر: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النَّار عذاباً يومَ القيامة رَجُل يُوضَعُ في أخْمَص قدَميّهِ جمرتان ، يغلي منهما دماغُهُ، كما يغلي المرْجلُ بالقمقم))

[أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن البشير]

موجة الحر التي جاءت إلى بلدنا قبل أيام، درجة الحرارة في الظل تقدر بإحدى و خمسين درجة، و في الشمس تقدر بإحدى و سبعين درجة، في الخليج درجة الحرارة في الظل تقدر بثمان و خمسين درجة، و في الشمس تقدر بأربع و ثمانين درجة، وكلكم يعلم أن النار يوقد عليها ألف عام فتغدو حمراء، ثم يوقد عليها ألف عام فتغدو بيضاء، ثم يوقد عليها ألف عام فتغدو سوداء، وإن نار جهنم مظلمة كالليل، نحن نعرف أن الشمس حمراء، درجة الحرارة على سطحها ستة آلاف درجة، بمركزها درجة الحرارة تقدر بعشرين مليون درجة، فعندما كانت الحرارة إحدى و خمسين درجة هناك أشخاص لزموا البيوت، و أشخاص تركوا أعمالهم، و أشخاص ماتوا من شدة الحر، أي كاد الناس يخرجون من جلودهم؛ فكيف ستة آلاف درجة في الظاهر وعشرون مليون درجة في أعماق الشمس!؟ وهذه الشمس حمراء لم تصل إلى درجة البيضاء، ولا إلى السوداء، مع أن نار جهنم سوداء؛ ربنا عز وجل، يقول:

(فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّار)

[سورة البقرة الآية:١٧٥]

الإنسان قد يفتدي بماله كله لئلا يعذبه إنسان، يقول لك: خذ كل شيء، واتركني، إذا ذاق بؤس الإنسان، وتعذيب الإنسان، فكيف إذا سمع قول عز وجل: في عذاب أليم، وفي عذاب مهين، وفي عذاب عظيم، هذا الكلام يجب أن يقال من حين لآخر، ما معنى النار؟ عذاب لا يحتمل، لذلك:

(ربَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذابَهَا كَانَ غَرَاماً)

[سورة الفرقان الآية:٦٥]

أما هناك أقوال: "والله ما عبدتك يا رب خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك"؛ هذا كلام خلاف القرآن الكريم، إذا إنسان أو ولي من أولياء الله قال:" يا رب ما عبدتك خوفاً من نارك" أنا لا أخاف النار، مع أن الأنبياء يخافون النار، القرآن ينطق بهذا الخوف من النار، الخوف من النار هو الأصل، هو الحالة السوية، وعدم الخوف من النار شطحة، هذه الشطحة غير مقبولة.

(رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذابَهَا كَانَ غَرَاما)

[سورة الفرقان الآية:٦٥]

(إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً)

[سورة الفرقان الآية:٦٥]

الخوف من النار أحد البواعث إلى طاعة الله :

أحياناً الإنسان يخشى عذاب أخيه الإنسان، تجده دقيقاً جداً، يضبط لسانه إلى درجة غير معقولة؛ لئلا يقع تحت وطأة عذاب أخيه، فكيف الذي لا يبالي بعذاب الله عز وجل؟ قال تعالى:

(فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)

[سورة البقرة الآية: ١٧٥]

الآية عجيبة، فيها تعجب من الله، كيف هو جريء على النار!؟ يعمل عملاً يستحق النار ولا يخشى، تجد الفساد عمّ، هذا يأكل مالاً حراماً، هذا يزني.

اليوم حدثني أخ أنه رأى ندوة ببلدة مجاورة عن الدعارة، تلقوا هاتفاً يقول صاحب هذا الاتصال: أنا عندي بيتا دعارة، ويخاطب مدير الندوة قائلاً: أنت لم تمارس الدعارة، غير معقول! فالذي يفتح بيت دعارة، ماذا يفعل؟ يعيش في بحبوحة على حساب الساقطات يعطي الفتاة عشرة بالمئة أو عشرة بالألف، يعطيها خمسمئة، وخمسة آلاف له، وعنده بيتان، ثلاثة، أربعة، خمسة، هذا كيف يعيش؟ كيف يتوازن مع نفسه؟ فالإنسان الأحمق هو الإنسان الذي لا يخاف من النار، أحد البواعث إلى طاعة الله الخوف من النار:

((إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النَّار عذاباً يومَ القيامة: رَجُل يُوضَعُ في أخْمَص قدَميْهِ جمرتان، يغلي منهما دماغُهُ، كما يغلي المرْجلُ بالقمقم))

[أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن البشير]

موجة الحر الأخيرة نموذج حيث كاد الناس يخرجون من جلودهم:

(فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)

[سورة البقرة الآية:,١٧٥]

اندفاع الناس نحو المعاصي و الآثام و النبي الكريم يحجبهم عن النار بسنته :

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتُم قليلاً، ولبَكَيْتم كثيراً، قالوا : وما رأيتَ يا رسولَ الله ؟ قال : الجنة والنَّارَ))

[أخرجه مسلم والنسائي عن أنس بن مالك]

أنا أتمنى على كل شخص منا إذا قيل: إنسان معه ملايين؛ يعيش فوق الريح، لا يوجد عنده مشكلة، دبّر حاله، هيأ لنفسه ولأولاده من بعده حياة سعيدة، قبل أن تقول هذا الكلام: تصور مصيره عند

الله، فأنت إذا ألغيت مصيره؛ وقعت في اضطراب توازن، يختل توازنك، تجد شخصاً مستقيماً، ورعاً، لا يستطيع أن يؤمن طعامه، وشخصاً آخر يسب الدين، ويسب الإله، والمال بين يديه كالتراب، لا تقل: كم هو محظوظ، أنت جاهل؛ لما خرج قارون على قومه بزينته:

(قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

[سورة القصص الآية:٧٩]

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ)

[سورة القصص الآية:٨٠]

(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)

[سورة القصص الآية:٨١]

أنت تنظر إلى عذاب أهل الدنيا، مثلاً إنسان يكون في أعلى درجة من القوة، وكل شيء ميسر له، يقول لك: عندي عقد لمفاوية؛ كل شيء بيده، بإمكانه أن يأتي بأطباء العالم مجتمعين.

ما هي العقد اللمفاوية؟ مرض خبيث أصاب العقد اللمفاوية، اضطر أن يترك، وأن ينسحب؛ هذا عذاب الدنيا، فكيف بعذاب أهل النار**!**؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((مثلي ومثلكم: كمثل رجل أوْقَدَ ناراً فَجَعَلَ الجَنَادِبُ والفَرَاشُ يَقعْنَ فيها، وهُوَ يَذُبُّهُنَّ عنها، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُم عن النار، وأنتم تَفَلَّتُونَ مِن يَدِي))

[أخرجه مسلم عن جابر]

الناس يندفعون نحو المعاصي والآثام، والنبي عليه الصلاة والسلام يحجبنا عن النار بسنته، والناس متفلتون؛ أبسط شيء: امش في الطريق، واصعد إلى الجبل، انظر إلى ما في الطريق، ثم انظر إلى ما في السطوح، تعرف من هي الشام؟ لا يوجد بيت إلا و فيه صحن، وطوال الليل يقلب من محطة إلى محطة، وهناك محطات كثيرة منحرفة، فالإنسان انتهت صلاته، انتهت عبادته، انتهى إقباله على الله، انتهى انضباط بيته.

تذكير الناس من حين لآخر بنعم الله ليحبوه و بعذابه ليخافوه :

آخر حديث: دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا، فقال:

((يا بني كعبِ بن لُؤيّ، أَنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّار، يا بني مُرَّة بن كَعبٍ، أَنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّار، يا بني عبدِ شمسٍ، أَنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّار، يا بني عبدِ المطلب، أنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّار، يا فاطِمَةُ، أَنقِذِي نفْسَكِ مِنَ النَّار، فإنّي لا أملك لكم من اللّه شيْئاً))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الإنسان يحتاج من حين لآخر إلى أن يخاف، قال له: يا رب، إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلائي، وذكرهم بنعمائي، وذكرهم ببلائي؛ من أجل التوازن سنتكلم عن الجنة، لا بد من درس عن النار، هذا يعمل خوفاً من الله عز وجل، يعمل ضوابط، و روادع، فلا بد من أن تذكر آلاء الله من أجل أن تعظمه، ولا بد من أن تذكر نعمه من أجل أن تحبه، ولا بد من أن تذكر عذابه من أجل أن تخافه.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٧-٤٤) : العدل في الأمراء والقضاة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الله عز وجل عدل يحب كل امرئ منصف عادل :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
((إنَّ المُقْسِطِينَ عند الله، على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمينِ الرَّحْمنِ - وكلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ -: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا))

[أخرجه مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الله عز وجل عدل، ويحب كل امرئ منصف عادل، والعدل من أسماء الله الحسنى، ولا يوجد مؤمن له صلة بالله إلا وهو منصف، والإنسان يتعرض في اليوم إلى مئات المواقف، الوهم الذي يتصوره الناس أن العدل للقضاة، للقاضي؛ أنت قاض بين أولادك، قاض بين بناتك وأزواجهن، قاض بين أخوتك، قاض إذا كان هناك ورثة، قاض إذا كنت محكماً تجارياً.

كل مسلم مهما كان شأنه قليلاً لا بدّ من أن يقف موقف القاضي، لابدّ من أن يحكم في موضوع معين؛ فالإنسان إذا كان منصفاً كان قريباً من الله:

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا)

[سورة المائدة الآية:٨]

الظلم ظلمات يوم القيامة :

أنت مكلف أن تعدل مع عدوك، من هو عدوك؟ الكافر المشرك، أنت مكلف أن تكون عادلاً معه؛ فكيف مع المؤمن؟ فلذلك: أنا أعاني من حكم العمل في الدعوة، أجد هناك مشكلة سببها أن الأب جاءت ابنته تشكو زوجها، أخذ موقفاً، ولم يخطر في باله أن يسأل الطرف الآخر إطلاقاً، عدّ كلام ابنته قطعياً، ولا يحتاج إلى دليل، وما كلف نفسه أن يسأل زوجها، لعلها ظلمته، ما الذي يزعجك منها؟ ما الذي تأخذه عليها؟ ليس منصفاً.

أحياناً الإنسان لا ينصف بين ابنته وبين كنته؛ المرأة لا تنصف بين ابنتها وبين زوجة ابنها، ابنتها لها معاملة، وزوجة ابنها لها معاملة؛ فما دام هناك ظلم الإنسان عند الله محجوب، وما دام محجوباً

لن يقطف من ثمار الدين شيئاً؛ لا يسعد، ولا يطمئن، ولا يتفاءل، ولا يؤيد من قبل الله عز وجل، ولا ينصر فالظلم ظلمات عند الله عز وجل.

سمعت منذ أيام عن إنسان غني، تعرف على امرأة، والعلاقات نمت بينهما، إلى أن تزوجها من دون عقد، صار هناك حمل، طالبته فطردها، ركلها بقدمه، بعد أيام معدودة أصيب بمشكلة في تجارته، الرقم الأولي المكلف بدفعه يقدر بمئة و ثمانين مليوناً، والله أنا ربطت هذه بهذه، الظلم ظلمات يوم القيامة، مع أنه نُبه أن هناك مشكلة عنده، وكان بإمكانه أن ينجو لو استجاب للنصيحة، و لكنه أخرج بضاعة مخالفة للتعليمات، فكان له أحدهم بالمرصاد، فدفع مئة مليون ثم دفع مئة و ثمانين مليوناً؛ امرأة تعدها بالزواج، تتزوجها بالحرام، تمنيها أنها زوجتك، بعد أن استفدت منها تركلها بقدمك، الله كبير، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

عدل الله عدل مطلق :

أحياناً الإنسان يسمع قصة يرى عدل الله صارخاً، والله عز وجل يقول:

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

[سورة البروج الآية:١٢]

((اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عباس]

كم إنسان دمر من دعوة شخص مظلوم، أعرف رجلاً في غير أوقات الدوام يمشي في الطريق، وجد سيارة حديد، أراد أن يتسلى، لمن هذا الحديد؟ سائق هذه الشاحنة أخذه من عند فلان إلى عند فلان، أي أخذه إلى المصدر، قال: ليس من عندي هذا الحديد لما عرف أن القضية قضية جمرك، من صار المسؤول؟ صاحب السيارة وهو رجل متعيش، عنده اثنا عشر ولداً، لا يعرف تعقيب القوانين، فقال له: ليس لي علاقة، قال له: أنت المسؤول، طبعاً الأنظمة النافذة تصادر، فصودرت السيارة، فانكب الرجل على رجليه يقبلهم و يقول له: أنا لا يوجد عندي غير هذه السيارة، أنا ليس لي علاقة بالموضوع، وهو يعلم علم الغيب أنه ليس له علاقة، لكن مالك السيارة هو المسؤول إذا كان هناك بضاعة غير نظامية، بعد ثلاثين يوماً من الحادثة هذا الإنسان المعتدي له مزرعة بدروشا، ابنه مريض ذهب به إلى عند الطبيب، فقال له: أرجعه إلى البيت، واذهب أنت وحدك؛ عنده سهرة في المزرعة، في الطريق يمشي وراء سيارة حديد، وهناك سيارة مازوت تسرب منها هذا السائل فأصبح الطريق زلقاً، هو ليس منتبهاً، يمشي وراء الشاحنة، وقفت، توقف، لم يستجب المكبح، فدخل في السيارة، دخل بالحديد، فقطع رأسه ـ أي هذا الحادث حادث نادر جداً ـ إنسان رأسه قي المقعد الخلفي قطع شطرين، ولا تزال السيارة حتى الآن في الحرم الجمركي، هو ظالم

فمات بالحديد نفسه، بالذي صادره قطع رأسه، وله أعمال كثيرة جداً فيها ظلم، الله عز وجل انتقم منه أشد الانتقام؛ لأنه يعرف أنه ليس له علاقة.

فالإنسان قبل أن يظلم عليه أن يعد للمليون، يمكن دعوة طفل، أحياناً طفل يدعو فيدمر الإنسان، وربنا عز وجل إذا أراد أن يبطش بالإنسان انتهى، تأتيه من كل النواحي:

((إنَّ المُقْسِطِينَ عند الله، على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمينِ الرَّحْمنِ - وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ -: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وأَهْلِيهمْ، وَمَا وَلُوا))

[أخرجه مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الإسلام منهج موضوعي كل من أخذ به قطف ثماره :

وعن العياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((أهلُ الجنة ثلاث : ذو سلطان مُقْسِطٍ - مُتَصَدِّق، مُوَفَّق - ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قُرْبَى مسلم، وعفيف مُتَعَفِّف ذي عيال))

مسلم عفيف، ذو عيال، و ورجل رحيم، رقيق القلب لكل ذي قُرْبَى، و ذو سلطان مُقْسِطٍ، مُتَصَدِّق، مُوَفّق، أي هو العدل، أجمل ما في الحاكم العدل.

العدل حسن، وهو في الأمراء أحسن، والتوبة حسن، لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن، لكن في النساء أحسن، والسخاء حسن، لكن في الأغنياء أحسن، والورع حسن، لكن في العلماء أحسن - أي كل إنسان له صفة - والصبر حسن، لكن في الفقراء أحسن.

الفقير يحتاج إلى الصبر، والغني إلى السخاء، والعالم إلى الجوع، والحاكم إلى العدل، والمرأة إلى الحياء.

فذو سلطان مقسط، متصدق، موفق، مثلاً ملك مصر، الذي كان عنده العزيز، كان عنده سيدنا يوسف؛ انظر إلى الآية، قال:

(ماكَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ)

[سورة يوسف الآية:٧٦]

أي نظام الملك لا يسمح لرئيس وزارة أن يحجز حرية إنسان من دون بينة:

(ما كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ)

[سورة يوسف الآية:٧٦]

لذلك، قالوا: "الكفر يدوم، لكن الظلم لا يدوم" أي إذا أنصف الإنسان بين الناس، الله عز وجل يوفقه؛ لأن الإسلام منهج موضوعي، كل من أخذ به قطف ثماره.

من وليّ أمر المسلمين و ساعدهم حفظه الله و رحمه و نصره :

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أمْرِ أُمَّتي شَيْئا، فَشَقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ منْ أمْرِ أُمَّتي شَيْئا فَرَفَقَ بهم، فارفُق بِهِ))

[أخرجه مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهري]

قيل: هناك مطوف في الحجاز- موسم الحج كان شديداً جداً - عنده زريبة حيوانات من التنك، الحرارة ست و خمسون درجة، و الزريبة من التنك أي الحرارة داخلها تقدر بسبعين أو ثمانين درجة، وضع الحجاج في هذه الزريبة، وقبض مبلغاً كبير - القصة قديمة جداً - الآن هناك أنظمة دقيقة جداً، هناك شروط للبيت: من تكييف، من براد ماء، من عدد غرف، من عدد الحجاج في كل غرفة، الترتيب اختلف؛ الآن: الله عز وجل أصابه بمرض خبيث لأنه شق على أمة محمد، فالله عز وجل عاقبه، الذي له علاقة مع الناس يتعبهم، يخيفهم، يبتز أموالهم، يلحق بهم الضرر؛ هذا عمله مخيف، والله عز وجل بالمرصاد:

((مَنْ وَلِيَ من أمْرِ أُمَّتي شَيْئا، فَشَقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه))

أحياناً الإنسان يلعب لعبة، فيرفع السعر، والمواد أساسية؛ مثلاً إنسان بضاعته أساسية في حياة الناس، يلعب لعبة ليضاعف السعر، فيقلل من القيمة الشرائية بين أيدي الناس، كم مشكلة تنشأ بين الناس؟ إنسان له معاش كان بهذا المعاش فرضاً يشتري مئة كيلو لحم، بقي المعاش يساوي عشرة كيلو.

فكلما لعب الإنسان لعبة، ورفع السعر، الله عز وجل يشق عليه؛ لأنه زعزع استقرار الأسر، زعزع ارتباط الأبناء بأبيهم، الأب صار فقيراً، لم يعد ابنه معه، خرج عنه، إذا له رفيق غني، الابن يعيش على حسابه، وينضم لرفيقه.

فكل إنسان يقلل القيمة الشرائية بدخل الموظف، الله عز وجل يشق عليه؛ لأنه شق على أمة محمد، أحياناً موظف ضرائب يقول له: مليون، بإمكانه أن يضع الضريبة مئتي ألف، فيعطيه أعلى رقم، غير معقول! يعمل له هزة، صدمة قوية كبيرة، هو لم يتأثر، هو أعطى رقماً، وذهب؛ كم إنسان مات بالجلطة من الضريبة؟ كن منصفاً معه، لم يربح، يعطيه أكبر شريحة.

لنا أخ من أخواننا، ذهب لأمريكا ثم رجع، أحب أن يأخذ تأشيرة خروج، نريد براءة ذمة من المالية، ذهب فإذا عليه سبعمئة ألف؛ لماذا!؟ قالوا له: أنت غادرت بجواز سفر تاجر، معنى هذا أنك تاجر، فحملوه ضريبة التجارة، والاغتراب، يمكن أن يدفع ثلاثين ألفاً، بعد ذلك دفع ثلاثين ألفاً

بواسطة، هو كان يعمل موظفاً، أعطاهم الثبوتيات أنه موظف عند طبيب، وهذا راتبي، وهذا عقد العمل؛ فلم يصدقه أحد، لما جاءه واسطة من إنسان أعلى منه صدقوه.

أنت كلفته بسبعمئة ألف، شاب في مقتبل حياته ماذا فعلت به؟ كل إنسان له وظيفة، لا يظن أن المشكلة سهلة، الله لن يحاسبه، يقول لك: أنا عبد مأمور، لا، أنت لست عبداً مأموراً، إذا كان هذا الشخص صديقك تجد له حلاً رائعاً جداً، معنى هذا أنك تستطيع أن تخدمه، و هناك أشخاص لا تخدمهم لأنهم غرباء لا تعرفهم، أو أردت أن تبتز ماله.

هذا حديث مخيف:

((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أمْرِ أُمَّتي شَيْئا، فَشَقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ من أمْرِ أُمَّتي شَيْئا فَرَفَقَ بهم، فارفُق به))

[أخرجه مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهري]

الذي في قلبه رحمة الله عز وجل يرحمه، ويحفظه، ويؤيده، وينصره، ويعطيه.

المال مال الله و هو لكل المسلمين :

آخر حديث: عن أبي عثمان قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب، ونحن بأذَرْبيجانَ، مع عُتْبَة بن فرقد:

((يا عتبةُ، إنه ليس من كدِّك، ولا كدِّ أبيك، ولا كدِّ أمِّك ـ أنت الآن: معك أموال؛ ليست من كدك ، ولا كدِّ أبيك ، ولا كدِّ أمِّك ـ فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشْبَعُ منه في رَحْلِكَ ، وإياكم والتنْعُمَ، وزيَّ أهل الشرك، ولَبُوسَ الحرير))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي عثمان النهدي]

الإنسان له ميزات ليست من جهده، ولا من تعبه، وليس مالاً ورثه، بحكم عمل استلمه؛ فهذا المال ليس لك، لكل المسلمين.

قال له:

((أشبع المسلمين في رحالهم مما تشْبَعُ منه في رَحْلِكَ، وإياكم والتنْعُمَ، وزيَّ أهل الشرك، ولَبُوسَ الحرير))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي عثمان النهدي]

((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرعِيهِ اللهُ رَعِيَّة، يَموتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وهو غاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّة))

[مسلم عن معقل بن يسار]

إذا لم يكن ناصحاً، لم يكن أميناً، لم يكن رحيماً، حرمك الله عليه الجنة.

ابدأ من معلم صف ثم اصعد أحياناً يكون رئيس دائرة، عنده ثمانية موظفين، لم ينصف بينهم، له أقرباء منهم، حاباهم، وغير القريب ضغط عليه؛ هذا أعطاه ميزات، هذا لم يعطه شيئاً، هذا أعطاه مهمات، هذا لم يعطه شيئاً، هذا تذكره بعدة مهمات، وتعويضات، هذا لم يعطه شيئاً؛ فما كان منصفاً، وما كان عادلاً:

((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرعِيهِ اللهُ رَعِيَّة، يَموتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وهو غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ: إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّة))

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٨-٤٤) : الرزق الكفاف.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

امتحان الإنسان في الحياة الدنيا :

أيها الأخوة الكرام:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن الدنيا: حُلْوةٌ خَضِرَة، وإن الله مُستَخْلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون؟ فاتَّقُوا الدنيا، واتَّقوا النساء))

[أخرجه مسلم والنسائي عن أبي سعيد الخدري]

فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ أما أن الدنيا حُلوةٌ خَضِرَة فالله عز وجل أودع في الإنسان شهوات، وهذه الشهوات تدفعه إلى أن يرويها، وأن يمارسها من خلال حركته في الحياة الدنيا؛ فالمال محبب، والبيت محبب، والمركبة محببة، والمرأة محببة، هذه شهوات الدنيا محببة للنفس؛ كالنبات الأخضر الريَان، خضرة أي نضرة النضر المتألق، وإن الله مُستَخْلِفُكم فيها؛ من معاني خضرة أنها محببة، ومن معاني خضرة أنها سريعة الذبول، الشيء الأخضر سريع الذبول، لا يستمر طويلاً؛ الربيع قصير، الأزهار قصيرة العمر، الأشياء الجميلة لا تدوم طويلاً، فأولاً: سريعة الانقضاء، وثانياً: محببة.

الحقيقة الإنسان ممتحن في الدنيا، قد تعرض له شهوة، لا ترضي الله عز وجل، فالإنسان يمتحن بمال يأتيه وفيراً من طريق غير مشروع؛ فإما أن يتقي الله، ويقول: الله غني، معاذ الله! وإما أن تضعف نفسه، فيأخذ هذا المال ـ امتحن بالمال ـ قد يسكن بيتاً: القانون معه؛ فإما أن يغتصبه، ويتمتع بمساحته، وميزاته، ويغضب الله عز وجل، وإما أن يدعه لصاحبه، ويسكن بيتاً أقل منه ـ امتحن ببيت ـ قد يمتحن بمركبة، تأتيه بطريق غير مشروع، وقد يرفضها، أي الشهوات التي أودعها الله في الإنسان:

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)

[سورة آل عمران الآية:١٤]

هذه الشهوات: إما أن يسلك في تحقيقها منهج الله عز وجل؛ ولا شيء عليه، وإما أن يتجاوز منهج الله؛ فيأخذ ما ليس له، ويستمتع فيما لا يحل له، ويغتصب ما لا يملكه،

((وإن الله مُستَخْلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون؟ فاتَّقُوا الدنيا، واتَّقوا النساء))

المال والمرأة نقطتا ضعف في حياة الإنسان :

الحقيقة يبدو أن الشهوات المتغلغلة في أعماق الإنسان هي شهوة النساء؛ فلذلك: الإنسان قد يترفع عن السرقة، لكن قد لا يستطيع أن يغض بصره، أو أن يمد يده؛ فهذا توجيه نبوي: "إن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء".

المال والمرأة نقطتا ضعف في حياة الإنسان؛ فإذا حصّن نفسه في هاتين النقطتين نجا، فاتَّقُوا الدنيا أي اتقوا زينة الدنيا، اتقوا مال الدنيا، اتقوا مباهج الدنيا، اتقوا الشهوات التي في الدنيا، واتَّقوا النساء ـ عطف الخاص على العام ـ والنساء في الدنيا، لكن لأهمية هذا الشيء خص بكلمة مستقلة:

((فاتَّقُوا الدنيا، واتَّقوا النساء))

وفي روايات كثيرة: "إن فتنة بني إسرائيل: كانت في النساء"؛ فالإنسان عندما يكون عفيف النفس؛ يستعمل غض البصر، ولا يخلو بامرأة، ولا يمد عينه إلى ما متع الله به أزواجاً غيره ينجو، لأن:

((من غض بصره عن محارم الله ـ أو عن محاسن امرأة ـ أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه))

[ورد في الأثر]

فالصفة الأساسية للمؤمن هي العفة.

من يؤمن بقضاء الله وقدره وبحكمة الله المطلقة يقنع باليسير :

وعن أبي عبد الرحمن الحبلي قال:

((سمعتُ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وسأله رجل، فقال: ألست من فقراء المهاجرين؟ ـ أي ألست فقيراً؟ ـ فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكنٌ تَسْكنُهُ؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإنَّ لي خادماً، قال: فأنت من الملوك))

[أخرجه مسلم عن أبي عبد الرحمن الحبلي]

انظر إلى أساسيات الحياة؛ مسكن يأوي إليه؛ له أهل، له أولاد، وله دخل يغطي نفقاته، وعنده خادم، قال له: أنت من الملوك، أين الفقر إذاً؟ هذا مصداق النبي عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ أصبَحَ منكم آمِنا في سِرْبه، مُعافى في جَسَدِهِ، عندهُ قوتُ يومِه، فكأنَّما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها))

[أخرجه الترمذي عن عبيد الله بن محصن]

((قال له: ألست من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكنٌ تَسْكنُهُ؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإنَّ لي خادماً، قال: فأنت من الملوك))

[أخرجه مسلم عن أبي عبد الرحمن الحبلي]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((قد أفْلَحَ مَنْ أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه))

[أخرجه مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أحياناً الدنيا تغر، وتضر، وتمر، فالذي آتاه الله رزقاً كفافاً يغطي حاجاته، والله عز وجل متعه بصحة، وقنعه بما آتاه، فقد أفلح، هناك إنسان على مال كثير؛ لكنه غير قانع، يتطلع إلى مال الآخرين، على مال وفير؛ لكنه غير قانع، يتطلع إلى مال الآخرين، وإنسان الله عز وجل رزقه حلالاً طيباً، قد يكون قليلاً؛ لكنه قانع فيه، العبرة بالقناعة؛ حينما تؤمن بقضاء الله وقدره، وحينما تؤمن بحكمة الله المطلقة، وحينما تؤمن بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، حينما تؤمن بهذا الإيمان عندئذ تقنع باليسير.

من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر :

القاعدة الشهيرة: "خذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها هماً، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه، وهو لا يشعر"

هناك مئات القصص عن إنسان غني غنى فاحشاً، يُبلغ أن عليه ضريبة، فيصاب بالجلطة، ويقع ميتاً، يبلغ بالضريبة فقط، هذا شهيد الضريبة؛ "فخذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها هماً، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه، وهو لا يشعر".

الإنسان عندما يكبر حجمه كثيراً تأتيه هموم لا يعلمها إلا الله، وهو ماذا يأكل؟ لقيمات؛ ينام على سرير واحد، ويلبس رداء واحداً، ويأكل لقيمات، وما سوى ذلك خادم، وعبد لهذا المال، لا ينام الليل؛ فأنا دائماً أقول: في حدّ بالمادة خط أحمر، دونه: هو في خدمتك، وهو من هذا الخط أنت في خدمته، وإذا كنت في خدمته ضيعت الدنيا والآخرة، لذلك:

((قد أفْلَحَ مَنْ أسلم ، ورُزِقَ كفافاً ، وقنَّعه الله بما آتاه))

[أخرجه مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

من رزق كفافاً و راحة فهو ملك من ملوك الدنيا :

وعن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((اللَّهمَّ اجعَل رزقَ آلِ محمدٍ قُوتاً ، وفي رواية: كَفَافاً))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

أي المنتمي إلى هذا النبي العظيم، المتبع لهذا النبي، الذي يحب هذا النبي، "اجعل قوته رزقاً" أي يكفيه، يعيش ليس عنده هموم.

الآن هناك إنسان لا ينام مساء؛ البناء الفلاني، والمبلغ الفلاني، والاستثمار الفلاني، والشركة الفلانية، إذا فكر في كل جهة خمس دقائق لا ينام .

((اللَّهمَّ اجعَل رزقَ آلِ محمدٍ قُوتاً، أي: كفافاً))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

والعادة إذا كان رزق الإنسان كفافاً، أي مستور اليدين، لا يوجد شيء يضايقه، فقد ملك الدنيا، لأنه أحياناً تأتي على بعض التجار أيام، يقول لك: أشتهي أن آكل خبز و زعتر عند الظهيرة لكن لا أقع في مشكلة، تأتيه مشكلات لا ينام الليل؛ خوف، وقلق، واضطراب، هناك كثير من أمراض العضال تأتي فجأة من أخبار سيئة؛ فراحة البال لا تقدر بثمن؛ الذي ليس عنده مشكلة كبيرة، لا يوجد مشكلة صحية كبيرة، لا يوجد مشكلة مالية كبيرة، ليس ملاحقاً، ليس متهماً، لا يوجد عليه محكمة، لا يوجد إذاعة بحث، لا يوجد تقرير طبي مزعج جداً، يريد عملية في أمريكا، أموره العامة جيدة، هذه نعمة كبيرة جداً؛ هذا الذي رزق كفافاً، ورزق راحة البال، هذا ملك من ملوك الدنيا.

العاقل من أعدّ لآخرته قبل دنياه :

وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((يَتْبَعُ الميتَ ثلاث: أهلُه، ومالُه، وَعَمَلُه؛ فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يرجع أهلُه ومالُه، ويبقى عَمَلُه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك]

مشى الأهل، وقد يمشي معه بعض ماله، سيارته تمشي في الجنازة مثلاً، ابنه سائق السيارة؛ قد يمشي بعض ماله إلى القبر، وبعض أهله، يصل إلى القبر، يوضع في القبر وحده مع عمله، ويرجع الباقي.

أي عملت ببيت، بعد أن انتهت الترتيبات الأخيرة، كل شيء انتهى؛ أي: أفخر أنواع الكسوة، أفخر أنواع البلور، أفخر أنواع الجبصين، أفخر أنواع المطابخ، أفخر أنواع الأجهزة الكهربائية، البيت أصبح منظماً، يريد أن يسكنه صاحبه غداً، في اليوم الثاني كان خبره، جاء أهله، سكنوا، نسوا، و انتهى كل شيء، هكذا الإنسان تجده دائماً ينسى.

الآن انظر: أول يوم وفاة؛ شيء لا يحتمل؛ صراخ، وقتل، وضرب، هؤلاء الجهلة، بعد شهر تجد لا يوجد شيء؛ صار هناك غناء بالبيت، وضحك، تمضي سنة لا تجد شيئاً؛ كأن الرجل ما كان موجوداً، البيت يعمر، والذي أمّن البيت، والذي أمّن للأولاد أعمالاً؛ كل الجهود هذه أصبح شخصاً عادياً، الأهل عاديون جداً؛ أكلوا، وشربوا، وسافروا، ورجعوا، وهكذا.....

فالعاقل إذا جاءت منيته يضحك وحده، ويبكي من حوله، والأقل عقلاً يبكي، ويبكون، والمجرم يعامل أقسى معاملة بعد الموت، وأهله يقولون: وجهه منور، ويمدحونه مدحاً خرافياً؛ مدحاً ليس له أي معنى؛ لم يصلِّ وقتاً في حياته، وجهه ممتلئ نوراً ـ هؤلاء النسوة يبالغن كثيراً ـ هو يتعذب، والناس يمدحونه؛ فهذه مشكلة كبيرة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٠٩-٤٤) : جامع عن عقوق الأمهات - وأد البنات - منع الحقوق من أن تصل لأصحابها - أخذ ما ليس لك - القيل والقال - كثرة السؤال - إضاعة المال .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

على الإنسان أن يعرف الله المعرفة التي تحمله على طاعته :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة، بعد أن يعرف المؤمن ربه، المعرفة في حدها الأدنى التي تحمله على طاعته؛ أية معرفة بالله لا تحمل المؤمن على طاعته لا قيمة لها، ولا تنجيه من عذاب النار، ولا من عذاب الدنيا، كل إنسان قال: لهذا الكون إله؛ فهو مؤمن، وقد يمضي في جهنم ألوف الملايين من الأعوام، فإذا شخص قال: إن للكون إلهاً؛ صار مؤمناً، دخل في دائرة الإيمان، لكن الإيمان لا يجدي إطلاقاً، ولا يغني، ولا ينجي، ضمن هذه الدائرة الكبيرة جداً، هناك دائرة أصغر منها؛ إذا دخل الدائرة الثانية حمله إيمانه على طاعة الله.

لذلك: أية مشكلة؛ الإنسان حينما يعصي، حينما يشذ، حينما ينحرف، حينما يقع في المخالفات، يجب أن يتهم إيمانه، والدليل: دعاء النبي: "اللَّهمَّ اقسِم لنَا من خَشْيَتِكَ، ما يَحُولُ بيننا، وبين معاصِيك"؛ الخشية غير كافية، الخشية من الله غير كافية، أي إذا إنسان شهر عليك مسدساً؛ وقال لك: إن فعلت هذا أطلقت النار عليك، المسدس أمام عينك، ولا يوجد فيه رحمة، ولا يعبأ لو أنه أطلق النار، مستحيل أن تعصيه؛ فما دام هناك معصية فالخشية ضعيفة؛ الخشية ضعيفة، المعرفة ضعيفة؛ معرفة، خشية، طاعة، ضعف معرفة، ضعف خشية، معصية.

فالإنسان لا يجديه إيمانه إن لم يحمله على طاعة الله؛ الآن: بعد أن حمله إيمانه على طاعة الله، ما هو أعظم عمل يفعله على الإطلاق؟ أن يتحرى الحلال والحرام، انظر إلى المرحلة المكية، مرحلة معرفة الله، في المدينة تشريع، اتفقنا أن لهذا الكون إلهاً عظيماً، خالقاً حكيماً، رباً مسيراً، إلهاً قديراً، وهناك جنة ونار، والحياة إعداد للآخرة؛ الآن هناك حركة، تريد أن تأكل، تريد أن تعمل، تريد أن تبيع، تشتري، هناك حركة يومية يلابسها الكذب، والصدق، والاستقامة، والانحراف، والغش، والتدليس، والإيهام؛ يلابس هذه الحركة.

بطولة الإنسان أن يفرق بين برّ الوالدين و طاعتهما :

الآن: بعد المعرفة بالله الكافية لحملك على طاعته، أعظم عمل أن تعرف الحكم الشرعي؛ لأنك بالكون عرفته لكن بالشرع تعبده، الآن: أريد أن أعبد الله، أريد أن أتقرب منه بتنفيذ أمره، وترك نهيه، من هنا جاء هذا الحديث:

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

عقوق الأمهات بعد الإشراك بالله، أكبر جريمة أن تعق الذي كان سبب وجودك، أن تعق الذي كان يجوع لتأكل، ويعرى لتكتسي، ويسهر لتنام، ويفتقر لتغتني، هذا الذي كان سبب وجودك، الإساءة إليه مشكلة كبيرة جداً:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)

[سورة الإسراء الآية:٢٣]

أي رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادة الله عز وجل:

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

قد يقول أحدنا: والآباء؟ والآباء طبعاً، لكن الأم أكثر اهتماماً، وأكثر بذلاً، وتضحية من الشاب؛ فأمك، ثم أمك، ثم أباك، أحياناً يختلط هذا البر، ينقلب إلى طاعة؛ فلو أن أماً أمرت ابنها بمعصية لا طاعة لها، هناك أولاد عندهم بر شديد؛ هذا البر يسوقهم إلى أن يعصوا إرضاء لأمهاتهم، هذا خطأ كبير، أنا لا أعتقد أن على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة، رجلاً أحب رجلاً كحب سيدنا الصديق لرسول الله، أما حينما مات، قال: "من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت".

أروع ما في هذا النص كيف استطاع أن يميز؟ كيف أن هذا الحب الشديد لم يحمله على أن يشرك؟ سيدنا رسول الله، سيد الخلق، قال: "من كان يعبد محمداً فإن محمداً ـ لم يقل: رسول الله، نص ثابت ـ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).

هنا البطولة: أن تفرق بين بر الوالدين، وبين طاعة الوالدين، أحياناً أبناء من أجل أن يبر أمه يظلم زوجته، من أجل أن يبر أمه يحرم أخوته البنات من الميراث، من أجل أن يبر أمه يرتكب المعاصي، وهو لا يشعر؛ فالتطرف سهل جداً، أما التوازن يحتاج إلى بطولة، تعرف حق الأم، قالت له: "إما أن تكفر، وإما أن أدع الطعام حتى أموت، قال لها: يا أمي، لو أن لك مئة نفس، فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت، أو لا تأكلي " أنا أواجه في الأسبوع عدة

فتاوى، المشكلة أن أماً ظالمة، وتحمل ابنها على الظلم، يقول لك: أمي، وإذا أمك! الله فوق أمك، والحق فوق أمك، وإعطاء الناس حقوقهم فوق الأم، ليس المعنى: أن تكون قاسياً، لا، كن لطيفاً:

(وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا)

[سورة العنكبوت الآية:٨]

دائماً إذا كنت ليناً سهلاً، إذا كنت قاسياً صعباً، أما أن تجمع بين اللين والقسوة فهنا البطولة، أن تجمع بين أن يرجوك الناس وأن يهابوك القضية ليست سهلة، حتى إنك تجد أحياناً آباء على درجة كبيرة من اللين، و آباء على درجة كبيرة من العنف؛ صار كلاهما على خطأ، أن تجمع بين اللين ـ عند اللين ـ والشدة ـ عند الشدة ـ

الابتعاد عن وأد البنات بالمعنى الضيق و الواسع :

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

الحقيقة من يقبل أن إنساناً عنده طفلة جميلة جداً، بعمر الزهور، يعمل لها حفرة، وينزلها فيها، و ويهيل عليها التراب!، والله الذي لا إله إلا هو الإنسان الحضاري الآن، إنسان القرن العشرين، المتنور، الذي يطلق لابنته العنان لترتدي الثياب الفاضحة، تثير الشباب في الطريق، تؤذي كل من نظر إليها، هذا وأدها لكن بشكل بآخر، هذا وأدها في النار، إلى أبد الآبدين، هذه الطفلة الصغيرة الجميلة، لما وضعتها في الحفرة، وأهلت عليها التراب، في ربع ساعة مزعجة حتى تختنق، مصيرها إلى أين؟ إلى الجنة، أما هذه الفتاة الكبيرة، التي أطلقت لها العنان، واستمرأت الفسق، والفجور، والمعصية، وإثارة الشباب، والأب مرتاح، ليس عنده مشكلة أبداً، مرتاح أن الفتاة ترتدي هذه الثياب، يطلق لها العنان في السهر، والسفر، هذا يوأدها، وهو لا يشعر، أريد الدليل القرآني، قال تعالى:

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)

[سورة البقرة الآية:١٩١]

إذا قتلت إنساناً يذهب شهيداً ـ قتلته ظلماً ـ، أما إذا فتنته يذهب لجهنم؛ أيهما أهون؟ إذا قتلته يذهب شهيداً، إذا أفسدته يذهب إلى جهنم أبد الآبدين، لذلك:

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

بالمعنى الضيق انتهى هذا، لا أعتقد إنساناً يئد ابنته، لكن يمكن أن يرسلها لتعمل في دول شرق آسيا، تعمل في الخليج، قال لي إنسان ـ كان على ما أعتقد في الخليج ـ: هناك شخص ينتقي فتيات

بارعات في الجمال، خمس فتيات أو ست موجودات في البيت، وعنده شباب؛ المقصود صار هناك انحراف آخر، ليس موضوع خدمة.

الإنسان عندما يدرك عواقب الأمور يسعى للآخرة :

لذلك: ووأد البنات، عندما تفسد البنت كأنك وأدتها، كان هناك وأد بالمعنى الضيق؛ أفق ضيق، قلب قاس، بنت جميلة جداً، يضعها في حفرة، ويهيل عليها التراب، والآن هناك وأد من نوع ثان.

الإنسان عندما يدرك عواقب الأمور؛ يرى الخط مبكراً، الإنسان يرى الآخرة، الكافر يرى الدنيا، فالكافر إذا لقي ابنته جميلة، ويلبسها أجمل الثياب، ويزهو بها أمام الناس، يرى الدنيا، أما المؤمن يرى الآخرة، هذه معتدية، الفتاة التي تبرز مفاتنها في الطريق هذه معتدية.

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

ثياب الرجل ليس لها علاقة بدينه، أما ثياب المرأة كل سنتيمتر من ثوبها له علاقة بدينها، إذا كان فضفاضاً له وضع، ضيقاً له وضع آخر، سميك، رقيق، معنى هذا أن كل سنتيمتر في اللباس له علاقة بدينها، وورعها، تجد امرأة ثيابها فضفاضة، ساترة إلى الأرض، لا تثير فتناً إلا الاحترام، تمشي في الطريق، شعورك تجاهها الاحترام، ولا تثير فيك أي معنى جنسياً؛ لأنها لم تظهر شيئاً:

(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ)

[سورة النور الآية:٣١]

أبداً، طبعاً إلا استثناء، أما في الأصل هذا الجمال لزوجها فقط، ليس بالعمومي، بالخصوصي ـ خاص لزوجها ـ.

من يمنع الحقوق أن تصل إلى أصحابها أو يأخذ ما ليس له فهو في النار :

((إن الله حرم عليكم عقوقَ الأمهات، ووأد البنات، ومنعَاً وهات))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

منع الحقوق أن تصل إلى أصحابها.

أعرف شخصاً ترك عشرين مليوناً بالدولارات، عنده ابن، وخمس بنات، صار هناك حرمان تجاه البنت، أي إذا أعطيتها ذهب المال للصهر، ما معنى منعاً: منعت الحق أن يصل لصاحبه، كأن الله عز وجل تشريعه غير مقبول عند الناس، إله شرع، أنا أعرف شخصاً الأب ترك لهم بيتاً فخماً جداً، الوريث أخ وأخته فقط، والابن ساكن في البيت، ومتزوج، وأمه معه، والأخت تسكن في بيت زوجها، يأتي الأخ يقيّم البيت وهو فارغ بالملايين، ويعطي أخته نصيبها بالتمام والكمال، عداً ونقداً؛

هذا الحق، أما هناك ألف شاب إذا أرادت الفتاة أن تأخذ حصتها من بيت أهلها الذي يسكن الأخ فيه يقول لها: هذا بيت العائلة تعالي و اسكني! يستهلك هذا البيت لنفسه، ومتزوج، وأخته لا تستطيع أن تأتي إلا ضيفة.

(مَنْعاً وهاتَ): منعت الحق أن يصل لصاحبه، وأخذت ما ليس لك، والدين هنا يظهر؛ أكثر الناس يقول لك: ابتعد عن أهل الدين، لأن عنده تجارب مرة؛ الذي يصلي يكذب، يصلي يأكل حراماً، ربطهم مع بعضهم، شخص ضيع خمسين ليرة ذهباً، قال: يا رب أرجوك ألا يجدها صاحب دين؛ لأنه يجد لها فتوى فيأخذها، صار عند الناس الدّين يحتال، الدّين يأخذ ما ليس له، هذه من تجارب الناس المريرة.

(مَنْعاً وهاتَ): أن تأخذ ما ليس لك، هذا الشيء: ليس لي، ومنع :أمنع الحق أن يصل إلى صاحبه.

الابتعاد عن القيل و القال :

((وكره لكم قيل وقال))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

في التعبير الدارج العيب.

هناك ألف موضوع في الإسلام لا يلزم، لا تحتاجه أبداً، انظر إلى الصحابة كيف وصلوا؟ انظر إلى الموضوعات التي لم يعالجها الصحابة أبداً، ولا طرقوها، ولا فكروا فيها، ولا اهتموا فيها، ووصلوا إلى أعلى عليين:

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة الفتح الآية:١٨]

هناك تعبير حديث اسمه عملي؛ هناك إنسان عمل،: تجد قضية مشروحة بمئة صفحة، وقال فلان، وقال فلان، وقال فلان، وأعرض فلان، وانتقد فلان، وفصل فلان، والقضية كلها غير واقعية، وليس لنا علاقة بها إطلاقاً؛ مثلاً: يوجد عندنا شيء اسمه عتق العبيد، في كل حياتنا لا يوجد عندنا عبد، لا يوجد هذا الموضوع، فهل من الممكن أن تقضي فيه سنوات؟

شخص أحب أن يسلم فأسلم، جاء ليتعلم الدين على يد شيخ بمصر، ستة أشهر و هو يعلمه أنواع المياه، حتى خرجت نفسه من جلده، فترك الدين، التقى صدفة مع عالم ثان، قال له: الماء الذي تشربه توضأ منه، قال له: تمضمض، لماذا تتمضمض؟ هذا الماء تستسيغ أن تضعه في فمك، واستنشق له رائحة، أنت لما وضعته في فمك مضمضة، واستنثرته استنشاقاً، معنى هذا أن الماء

جيد، فالماء الذي تشربه توضأ منه؛ كن عملياً، ركز جهودك على أشياء واضحة، هناك كثير من الأشياء الآن لا نحتاجها.

على الإنسان أن يضع لنفسه دائرة حمراء لئلا يتدخل فيما ليس له به علم :

لذلك في الفقه تجد مسائل لن تقع في كل الحياة ولا مرة واحدة، تجد الإنسان يريد أن يحفظها، ويعلق عليها، فهذه القيل والقال، تدخل القرآن مخلوق، ما معنى مخلوق؟ أي موضوع، أي آلاف مؤلفة دخلوا السجون في العصور العباسية، وصار قهر، وصار مشكلات لا تنتهي، والموضوع كله الصحابة لم يعالجوه أبداً، والنبي لم يتكلم فيه؛ هذا القرآن فيه إعجاز، والإعجاز دليل أنه كلام الله، أما قديم، حادث، لا يهمنا هذا الموضوع، دخلنا في ذات الله في الموضوع، ضع لنفسك منطقة حمراء، ممنوع التفكير في ذات الله؛ لأنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يصبر دقيقة، مخلوق، حادث، يريد أن يحيط بخالق أزلي، أبدي، هذا صعب جداً، لذلك أنا أقول لشخص: أنت تفكر في القضاء والقدر جداً لماذا تخاف؟ أن يكون الله ظالماً! الله عز وجل نفى عن نفسه الظلم في مئات الآيات، ألا تصدقه؟ قل لي: ما هو موقفك؟ لست مصدقاً، لن تستطيع أن تثبت عدالة الله في عقلك إلا أن يكون لك علم كعلم الله، وهذا الشيء مستحيل، لذلك: صدق عدالته بالإخبار، أخبرك أنه عادل، قال:

(وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)

[سورة النساء الآية:٧٧]

(وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)

[سورة الأنبياء الآية:٤٧]

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ)

[سورة الزلزلة الآية:٧]

العلم الذي لا يبنى عليه شيء لا قيمة له :

يوجد عندنا قاعدة مهمة: العلم الذي لا يبنى عليه شيء لا قيمة له، ابحث عن مسألة، يبنى عليها حكم شرعي، أو نهي، مباح، حلال، حرام، مستحب، مكروه، ابحث عن قضية يبنى عليها حكم، أما هناك آلاف القضايا لا يبنى عليها حكم، أنا أدخل في هذه الخلافات بين الصحابة، أنا ليس لي شأن، قد تكون مبالغ فيها، قد تكون ليس لها أصل، إذا كان لها أصل الله عز وجل قال:

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)

[سورة الحجرات الآية:٩]

لم ينف عنهم الإيمان، الله عز وجل قال:

(فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)

[سورة الحجرات الآية:٩]

أنا لا أستخدم مشكلة في التاريخ، وأجعلها سبباً للفرقة، الآن: إذا شخص أخذ هذه الآية:

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ)

[سورة البقرة الآية:١٣٤]

الآية يلغى فيها ثلاثة أرباع الموضوعات المطروحة على بساط البحث.

الإنسان إذا اتصل بالله استنار قلبه :

((وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))

[متفق عليه عن المغيرة بن شعبة]

إضاعة المال كرهها الله عز وجل، إذاً: حرّم الله عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومَنْعاً وهاتَ ـ أي أن تمنع الحق أن يصل إلى أصحابه، وأن تأخذ ما ليس لك ـ وكره لكم قيل وقال ـ عمل غير مجدي، متعب، يستهلك الوقت، ولا يوجد ثمرة منه ـ وكثرة السؤال ـ حينما يكثر السؤال هو ليس مستنيراً ـ

الإنسان إذا اتصل بالله يستنير قلبه، تجد عنده شعوراً؛ هذا الشيء غلط، وهذا الشيء صواب، إذا كان مقطوعاً عن الله لا يجد عنده إلا السؤال؛ سؤال، سؤال، الله ماذا قال عن الصحابة، قال:

(يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)

[سورة الرعد الآية:٣٦]

أصبح عنده نور في قلبه؛ تجد الشيء الغلط يبتعد عنه، والصحيح يطبقه، وعندما تأتي الآية تحرم الغلط الذي عنده يفرح، عنده مقياس فطري صحيح، تطابق القياس الشرعي مع القياس الفطري عنده.

وإذا صار الإنسان مع الله يقول لك: لم يعجبني شيء، لم أحبه، عنده مقياس فطري، فرح الصحابة الكرام بما نزل من آيات القرآن الكريم دليل أن مقياسه صحيح.

الابتعاد عن التبذير و الإسراف :

أما إضاعة المال أنقل لكم ما قاله العلماء: " إن المراد به: الإسراف في إنفاقه؛ الإسراف متعلق بالمباحات" .

أحياناً يأتي شخص بفواكه كثيرة أكثر من الحد المعقول، أو يشتري ألبسة أكثر من الحد المعقول؛ هذا إسراف، لكن اللباس شراؤه مباح، والطعام شراؤه مباح، التبذير في المعاصي والآثام، الذي يشتري خمراً مبذر:

(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)

[سورة الإسراء الآية:٢٧]

قال تعالى:

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)

[سورة الأعراف الآية:٣١]

فقال الجمهور: "المراد بإضاعة المال الإسراف في إنفاقه، وقيده بعضهم بالتبذير، أي إنفاقه في المعصية".

سمعنا من يومين: حصل عرس بخمسة وثمانين مليوناً، هذا أعلى رقم؛ عرس وحده بليلة كلف ذلك المبلغ، طبعاً بالمعاصي، والآثام، قال لي أخ: عندي قطعة أرض صغيرة في الغوطة، رأى عامل باطون، قال له: سأعمل لك غرفة، ومنافعها، سعر المواد بخمسة وخمسين ألفاً، لتسكن، فإذا قسمنا خمساً وثمانين مليوناً على مئتين؛ كم شاب يتزوج بهذا المبلغ؟ كم أسرة تنشأ؟ الكافر إذا أنفق المال أنفقه إسرافاً وتبذيراً، وإذا منعه بخلاً وتقتيراً.

الشيء الثاني في تبذيرها تفويت لتلك المصالح؛ إما في حق مضيعها، أو في حق غيرها.

لا إسراف في الخير والشر كله في الإسراف :

يستثنى من ذلك: إنفاق المال بكثرة في وجوه البر؛ بالبر لا يوجد إسراف، لا إسراف في الخير، والشر كله في الإسراف، أما في الخير لا يوجد إسراف، أي يمكن أن يصل الإنسان بماله إلى أعلى مستوى؛ الناس يقولون: ما شاء الله! العلماء موفقون، وشخص لا يتحدث بكلمة، ليس عنده إمكان أن يعطس، فإذا أنفق ماله سبق العالم، لأن المال شقيق الروح، ليس كل شيء بالكلام، أحياناً بالفعل، حل مشكلة فقراء، زوج إنساناً، أمن عمل، سهل قضية، ولا يستطيع أن يتكلم.

أنا أعرف إنساناً ـ توفي رحمه الله ـ لا يستطيع أن يتكلم كلمة، إنسان ضعيف لم يدرس إطلاقاً؛ لكن قلبه طيب جداً، ويحب الله كثيراً، ومعه أموال، فحل الكثير من المشاكل، إنسان ليس عنده مشكلة، ما دام إنسان عنده حاجة خذ، هذا قد يصل إلى الجنة إلى أعلى مراتبها بماله وهو لم يطلب العلم، طلب العلم بشكل عام، أما بالتفاصيل لا يوجد عده إمكانية؛ لا يتكلم، ولا يفهم، لكن بماله ارتقى؛ فهنا يمكن أن تصل بهذا المال إلى أعلى درجة عند الله عز وجل، حديث جامع مانع:

((إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومَنْعا وهاتَ، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال))

[أخرجه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٠-٤٤) : التناهي عن المنكر وعدم التوسط في حدود الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة التي تكيل بمكيالين أمة تستحق الهلاك :

أيها الأخوة الكرام، أن تهلك أمة بسبب قال الله عنه:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

[سورة المائدة الآية:٧٩]

إن لم ينه بعضنا بعضاً عن منكر يفعله بعضنا؛ عدم النهي يستحق أن نهلك:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

[سورة المائدة الآية:٧٩]

يسحب على هذا أن يقيس الناس بمقياسين، أو أن يكيلوا بمكيالين.

تقول عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام :

((إنَّ قُريشاً أهَمَّهُمْ شَأنُ المرأةِ المَخزوميَّةِ التي سَرَقتْ، ـ امرأة من بني مخزوم: سرقت ـ فقالوا: مَنْ يُكلِّمُ فيها رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومَنْ يَجترئُ عليه إلا أسامَةُ بن زَيدٍ، ـ أي عملية وساطة، إنسانة وقعت في حد من حدود الله، تستحق قطع اليد، ويبدو أنها من أسرة لها مكانتها، فأرادوا أن يكلموا فيها رسول الله؛ لئلا يقام عليها الحد ـ فقالوا: ومَنْ يَجترئُ عليه إلا أسامَةُ بن زَيدٍ حِبُّ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم؟ ـ أي من أقرب الصحابة إلى النبي سيدنا أسامة بن زيد ـ والحب ابن الحب؛ ـ كان أبوه أحب الناس إليه، وابنه أحب الناس إليه ـ فكلَّمَهُ أسَامَةُ، فقال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: أتَشفَعُ في حدٍ مِنْ حُدودِ اللَّه؟ ثم قام وخطب، قال: إنَّما أهلك الذين قبلكم: أنَّهمْ كانوا، إذا سَرقَ فيهم الشَّريفُ: تَرَكُوه، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيف: أقاموا عليه الحدّ، وايْمُ اللَّهِ! لَوْ أنَّ فاطمة بِنْتَ محمدٍ سَرَقت: لقطعتُ يَدَهَا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة]

هذا كلام بليغ؛ حينما يكيلون بمكيالين، حينما يسرق الشريف فلا تقطع يده، ويسرق الضعيف فتقطع يده، هذه أمة تستحق الهلاك.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله علة خيرية هذه الأمة :

أذكر في أعقاب الحرب العالمية الثانية زعيم بريطاني، مشهور جداً، سأل وزراءه واحداً واحداً عن وضع وزاراتهم؛ وزير الصناعة، قال: المعامل جميعها مهدمة، وزير الزراعة قال: الحقول محروقة، وزير المالية قال: الخزانة فارغة، كل وزير يشكو الدمار، فلما وصل إلى وزير العدل، قال: كيف العدل عندك يا مستر فلان؟ فقال: العدل بخير، فقال: كلنا إذاً بخير.

هذا مبدأ أساسي في الحياة، يجب أن يقام الحد على كل الناس؛ صغيرهم وكبيرهم، قويهم وضعيفهم،

((وايْمُ اللَّهِ! لَوْ أنَّ فاطمة بنْتَ محمدٍ سَرَقَت: لقطعتُ يَدَهَا))

؛ فأن نكيل بمكيالين، أو ألا نتناهى عن منكر فعلناه هذا يستحق الدمار، والآية الكريمة:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

[سورة آل عمران الآية:١١٠]

علة الخيرية: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله؛ فإذا عطلنا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فقد عطلنا خيريتنا، وأصبحنا أمة كأي أمة، ليس لنا أية ميزة عند الله عز وجل.

كلما انتشر الفساد انتشر التخلف وعمّ الهلاك :

الأحاديث الصحيحة، الواضحة، المشهورة، كلما زدتها تأملاً زادتك معنىً؛ فمن وسائل النبي عليه الصلاة والسلام في تربية أصحابه (مثل السفينة)، فقال عليه الصلاة والسلام:

((مَثَلُ القائِمِ في حُدُودِ اللَّه والْوَاقِعِ فيها، كَمثل قومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ، فَأصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أسْفَلَهَا، فالذين في أسفلها: أرادوا أن يخرقوا من نصيبهم خرقاً ـ يأخذون الماء منه؛ لئلا يزعجوا من هم في أعلاها ـ قال: فإن أخذوا على يده نجا، ونجوا، وإن تركوه هلك، وهلكوا))

[البخاري عن النعمان بن بشير]

كلما انتشر الفساد انتشر التخلف، وعمّ الهلاك؛ فكل شخص يقول: ليس لي علاقة، ليس لك علاقة الآن، لكن بعد حين سيأتي عليك الهلاك؛ إلا إذا وقفت ودافعت عن الإسلام، وقفت وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، لكن إذا لم توجد الرغبة بأن تزيل المنكر فإن المنكر سيصل إليك، أنا لم أجد في الأمثلة أبلغ من هذا المثل: أن الدعوة منطقية؛ لكي لا نزعج الآخرين، من في أعلى السفينة سنخرق الماء خرقاً من فوق السفينة؛ من أجل أن نأخذ الماء مباشرة، قال:

((....فإن أخذوا على يده نجا، ونجوا، وإن تركوه هلك، وهلكوا))

[البخاري عن النعمان بن بشير]

المجتمع عندما يلغي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينتهي :

المجتمع عندما يلغي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

[سورة المائدة الآية:٧٩]

ويكيل بمكيال واحد، لا بمكيالين؛ انتهى الأمر، لماذا قال عليه الصلاة والسلام:

((تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً حتى يأتي أخي عيسى فيملؤها قسطاً وعدلاً))

[ابن ماجه عن عبد الله بلفظ قريب منه]

مثلاً شعب يرفض أن ينفذ ستين قراراً للمجتمع الدولي، خلال أربعين سنة، ولا أحد يفعل شيئاً معه؛ إلا قضية ضبط النفس، واللوم، والضجر فقط، وشعب آخر إذا خرق شيئاً من القواعد الملزم بها يموت من الجوع؛ هذا كيل بمكيالين.

لو أن إنساناً مشى بلا ثياب، وليس في الأرض من هو أبشع من إنسان يمشي بلا ثياب، أهون من التناقض، أي أن تكيل بمكيالين، وهذا الشيء واقع في كل إنسان.

أحياناً ابنته لها معاملة، وزوجة ابنه لها معاملة، بالنسبة لابنته أخطاؤها كلها مغفورة، أما زوجة ابنه تحاسب أشد الحساب، على مرأى من الطرفين، بلا حياء؛ فالأم تعامل ابنها شيء، وزوج ابنتها شيء.

كل إنسان يكيل بمكيالين يكون قد خلع من وجهه الحياء، منتهى الوقاحة أن تكيل بمكيالين؛ فهؤلاء سرقت امرأة شريفة، توسطوا لرسول الله ألا يقطع يدها، امرأة ضعيفة سرقت؛ قطعت يدها، ولا أحد يسأل عنها، هذا أحد أسباب هلاك الأمة، فالقيم التي جاء بها الإسلام، بفضلها انتشر الإسلام، ولو أن الصحابة الكرام فهموا الإسلام كما نفهمه نحن عبادات شعائرية، مع مظاهر دينية، ولم تكن قيمهم صحيحة، الإسلام ما كان له أن يخرج من مكة المكرمة؛ فالقضية قضية عدل، وإنصاف، والله عز وجل هو العدل.

الإنسان حينما يخرق حدود الله يُعرض نفسه لمعالجة الله عز وجل :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إنَّ الله يَغَارُ وَإن غَيْرَةَ الله أن يَأْتِيَ المؤمن ما حرَّم الله عليه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

أي الله عز وجل رحيم، والله عز وجل مربّ، وكل إنسان يأتي ما حرم الله، وضع نفسه تحت المعالجة الإلهية، تقتضي رحمة الله، وتقتضي عدالته، وتقتضي تربيته أن يسوق لهذا الإنسان بعض الشدائد:

(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)

[سورة الأنعام الآية:١٤٧]

تقتضي رحمته ألا يرد بأسه عن القوم المجرمين؛ فالإنسان حينما يخرق حدود الله يعرض نفسه لمعالجة الله عز وجل، لذلك:

((إنَّ الله يَغارُ، وَإن غَيْرَةَ الله: أن يَأتِيَ المؤمن ما حرَّم الله عليه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١١-٤٤) : الفرق بين حقيقة الإيمان وحلاوة الإيمان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

حقائق الإيمان و حلاوة الإيمان :

أيها الأخوة الكرام: في الإيمان حقائق، وفي الإيمان حلاوة، وبينهما بون شاسع، لو معك كتيب فيه صور سيارات؛ صورة خارجية، وصورة داخلية، وصورة للمحرك، بعض الميزات، والسرعة، والتسارع، والمكبح؛ معلومات دقيقة، وصور جميلة جداً، فأنت لو تصفحت هذا الكتاب مئات المرات ما ذقت حلاوة ركوب هذه السيارة، معلومات، هذه حقائق.

لو وضع أمامك خرائط لقصر؛ هذا الصالون، غرفة الضيوف، المدخل، الحديقة، شيء جميل، لكن أنت تسكن في كوخ، كم هي المسافة بين أن تطلع على خرائط القصر وبين أن تسكن القصر، وبين أن تطلع على صور السيارات وأن تقتني أحد هذه السيارات، هذه هي المسافة بالضبط بين حقائق الإيمان وبين حلاوة الإيمان؛ حقيقة الإيمان تحتاج إلى فكر، إلى مطالعة، إلى قراءة، إلى استماع؛ أما حلاوة الإيمان فلها طريق آخر.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ طعْمَ الإيمان))

[متفق عليه عن أنس]

الذي يدفعك إلى الله، الذي يجعلك تضحي بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس، الذي يجعلك تستقيم على أمر الله، وتحرص على طاعته حرصاً لا حدود له ليس حقائق الإيمان، بل حلاوة الإيمان؛ عشت في أجواء الإيمان، ذقت معنى القرب من الله عز وجل.

من ذاق معنى السعادة في طاعة الله زهد في الدنيا :

لذلك من أراد أن يندفع إلى الله بسرعة عالية جداً عليه أن يذوق حلاوة الإيمان، لا أن يكتفي بحقائق الإيمان، حقائق الإيمان أي إنسان مثقف، أوتي حظاً من العقل؛ اطلع، قرأ، استمع، يدرك حقائق الإيمان، لكن لو تفحصت سلوكه، وعمله، وبيته، لوجدته بعيداً عن الالتزام، مقتنعاً لكنه لا يطبق؛ لأنه عرف حقائق الإيمان، أما حينما تذوق حلاوة الإيمان تصبح إنساناً آخر.

الصحابة الكرام ذاقوا حلاوة الإيمان، فباعوا أنفسهم في سبيل الله، وقدموا لآخرتهم كل شيء، البارحة كنت في تعزية أحد الدعاة إلى الله، توفي بعد فترة طويلة من المرض، فذكرت في كلمة التعزية أن أهل الدنيا يموتون، يتركون كل شيء، بينما أهل الدين يموتون، يأخذون معهم كل شيء؛ له باع طويل في تعليم القرآن، فلذلك: حلاوة الإيمان غير حقائق الإيمان، هذه قضية مهمة جداً.

((من كُنَّ فيه، وجدَ بهنَّ طعْمَ الإيمان مَن كان اللّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما))

طبعاً كل إنسان يقول ذلك: الله عز وجل أحب إليّ من كل شيء، هذا كلام، لكن الحقيقة حينما تتعارض مصلحتك مع نص شرعي، تتعارض مصلحتك مع آية تحرم كسب المال الحرام، مصلحتك بهذا المبلغ الضخم، لكن فيه شبهة؛ من الذي يذوق حلاوة الإيمان؟ هو الذي يضع مصلحته تحت قدمه ويؤثر طاعة الله عز وجل، أكبر عطاء لهذا الإنسان يذيقه حلاوة الإيمان، الإنسان لماذا يعيش؟ ليسعد، لو ذاق معنى السعادة في طاعة الله لزهد في الدنيا.

من يضع تحت قدمه الأهواء و الشهوات يستحق أن يذوق حلاوة الإيمان :

((مَن كان اللّهُ ورسولُهُ))

أي هناك نص قرآني، أو نص نبوي صحيح يحرم شيئاً، وهذا الشيء ألقى في روعه أنه كل سعادته، فيه يحل كل مشاكله؛ يشتري بيوتاً لأولاده، لا يوجد عنده مشكلة، لكن أكبر مشكلة أنه عصى الله عز وجل، حلّ كل مشاكله الدنيوية، وانقطع عن الله، يأتي المؤمن يقول: لا، أنا لا أضحي بهذه الصلة، وليكن ما يكن، الله عز وجل يكافئه بشيء غير مرئي، يكافئه بأن يذيقه حلاوة الإيمان، وحلاوة الإيمان شيء لا يوصف.

وازن بين صحابي وبين مؤمن عادي، هذا غير هذا؛ هذا فهم حقائق الإيمان لكنه لم يطبق شيئاً، ذاك الصحابي ذاق حلاوة الإيمان.

ذكرت البارحة في الخطبة أن الصور الإسلامية صارخة الآن؛ مساجد جميلة جداً، كتب، مكتبة إسلامية، شيء لا يصدق، يوجد مكتبة أشرطة الآن، مكتبة فيديو، مؤتمرات، لكن لا يوجد حلاوة إيمان؛ لأن هناك معاصٍ، ما دام هناك معصية فلا يوجد حلاوة إيمان، الناس يعيشون حياة غربية، الشاشة نازعة عليهم كل حلاوة الإيمان، لم يعد عندهم حلاوة الإيمان إطلاقاً؛ لأنه دائماً محجوب عن الله عز وجل، المعاينة: معاينة إنسان فاسق، يعيش مع الفسقة في أدوارهم؛ فسق، وخيانات، وسقوط، الجو العام كله مسموم، وجو بُعد عن الله، وإطلاق بصره في الطريق، هذا كله حجبه عن حلاوة الإيمان، بقي حقائق الإيمان، يقول لك: أنا مسلم، خلفيتي إسلامية، أرضيتي إسلامية، لي نزعة إسلامية، كله صحيح، لكن لا يوجد حلاوة الإيمان؛ هذا أدق شيء في الحديث، هذه حلاوة

الإيمان، حينما تضع تحت قدمك الرغبات، الشهوات، الأهواء، المصالح، عندئذ تستحق أن تذوق حلاوة الإيمان.

((ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ طعْمَ الإيمان مَن كان اللَّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما))

المعنى البسيط الساذج: كل إنسان يقول ذلك، لكن المعنى عند التعارض؛ عندما تتعارض مصلحتك مع نص شرعي وتؤثر النص الشرعي، وطاعة الله عز وجل، سيسمح لك أن يقربك منه، وأن يذيقك حلاوة الإيمان، وعندئذ تعرف ما هو الإيمان؟

المؤمن علاقاته أساسها المبدأ و العقيدة :

الشيء الثاني:

((ومَنْ أحبَّ عبداً لا يُحِبُّهُ إلا لله))

كل علاقاتنا الاجتماعية إما أنها شرعية، أو غير شرعية، أحياناً لك شخص قريب، بعيد عن الدين، لكنه غني، يهمك أن تزوره، وتلتقي معه، ويدعوك إلى طعامه، وشرابه، ويغدق عليك مما تفضل الله به عليه، وأنت تميل إليه بدافع مصالحك، ولك رجل قريب فقير جداً، لكن إيمانه كبير، لست مهتماً به، قلّما تزوره؛ أنت تبني علاقاتك على المصالح، أما ابنيها على الإيمان؛ وانظر ما سيحصل، أعرض عن هذا الغني، وصل ذاك الفقير تذوق حلاوة الإيمان، ابن علاقاتك ليس على أساس مصالح، وغنى، وفقر، بل على أساس إيمان.

((ومَنْ أحبَّ عبداً لا يُحِبُّهُ إلا لله))

لا يوجد محبة أساسها المصلحة، المحبة أساسها العقيدة، طبعاً:

((ومَنْ أحبَّ عبداً لا يُحِبُّهُ إلا لله))

أي الولاء والبراء؛ يكره الكفار ولو غمروه بالنعم، يحب المؤمنين ولو حملوه التعب، قد يكون المؤمن عبئاً عليك ومع ذلك تحبه، وقد يكون الكافر أغدق عليك نعماً كبيرة جداً فلا تحبه هذا الإيمان، أما القلب يميل مع العطاء، مع المصالح، أي بنى علاقته على أساس الإيمان، تجد العالم كله هكذا،مثلاً شخص وكيل شركة، يأتي المندوب فيضيفه خمراً، يعطيه كل رغباته، يقول لك: مصالحي معلقة معه، فالعلاقات أساسها المصلحة، أما المؤمن علاقاته أساسها المبدأ؛ يحب المؤمن، ويكره الكافر.

من أراد أن يذوق حلاوة الإيمان فلتكن مقاومته قوية أمام الشهوات :

الشيء الثالث: تلاحظ ملاحظة في الإنسان أنه يلتزم لكن مقاومته هشة، على الحرف، أحياناً ينتكس، يعود إلى ما كان عليه، أما هنا:

((ومن يكْرهُ أن يعودَ في الكفر ـ بعد أن أنقذه الله منه ـ كما يكرَه أن يُلقى في النار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

دخل في الأعماق، الحديث يكفي من أجل أن تذوق حلاوة الإيمان، عند التعارض تؤثر طاعة الله عز وجل.

ثانياً: علاقاتك أساسها: الولاء والبراء؛ الولاء للمؤمنين، والبراء للكافرين.

ثالثاً: أنت في الأعماق، فلو قطعت إرباً إرباً، لا تعود إلى ما كنت عليه، إذا كنت كذلك ذقت حلاوة الإيمان، أما إن لم تكن كذلك فالمشكلة كبيرة جداً، أنت مع خرائط القصر؛ مع الخرائط، مع الكتالوكات، لكن لا يوجد عندك سيارة، ولا يوجد عندك بيت، ما ذقت نعيم الإقامة في بيت مريح، ولا ذقت نعيم ركوب هذه المركبة الجميلة، لكن عندك معلومات عنها دقيقة، وصحيحة، وإذا تكلمت مشوقة، لكن أنت لا تملك هذه الأشياء، هذه هي المشكلة، العالم الإسلامي مقتنع، لكن لا يوجد تطبيق، لذلك محروم حلاوة الإيمان، لكنه متمتع بحقائق الإيمان، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يستدل على الطريق الذي يذوق من خلاله حلاوة الإيمان.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٢-٤٤) : الإسلام يجب ما قبله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يعرف طعم التوبة إلا من تاب و اصطلح مع الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام: عن أبي شماسة قال: حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سِياق الموت، فبكى طويلاً، وقال:

((لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيتُ النبيَّ، فقلتُ: ابْسُطْ يمينك؛ لأبايعْك، فبسط يمينه، قال : فقبضتُ يدي، فقال: مالك يا عمرو؟ قال: قلتُ: أردتُ أن أشْتَرِط، فقال: تشترطُ ماذا؟ قلتُ: أن يُغْفَر لي، قال: أما علمتَ أن الإسلامَ يهدِم ما كان قبله ـ لو جئتني بملء السموات والأرض خطايا غفرتها لك، ولا أبالي ـ وأن الهجرةَ تهدِم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟))

[أخرجه مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهري]

تصور أن التوبة غير موجودة، من أقل ذنب يستحق الإنسان النار؛ لأن هذه الذنوب تتفاقم، لو لم يكن هناك توبة لكان هناك يأس.

فالإنسان حينما يخطىء، حينما يذنب، التوبة مغلقة، إذاً: ينتقل من ذنب إلى ذنب، أي من دون توبة معظم الناس إلى النار، بالتوبة معظم الناس إلى الجنة.

من أجل أن تعرف معنى التوبة لو أن إنساناً عليه دين بالملايين، كل أمواله مصادرة من أجل الدَّين، وعليه مذكرة بحث، والديَّانة يطالبونه، كل ما يملك أصبح مسجلاً عليه، مرهوناً بدينه، إذا فتح لهذا الإنسان باب أن يسامح بكل هذا الدَّين؛ على أن يقدم اعترافاً بسيطاً، على أن يقدم تصريحاً بسيطاً، هذه الملايين المملينة تسقط عنه فوراً، هل يتردد لحظة في أن يفعل هذا؟ الحقيقة دين الإنسان صعب؛ والإنسان لا يغفر، والإنسان لا يعفو، والإنسان لا يسامح، لكن الله عز وجل كل الحقوق التي له يسامحك بها بكلمة واحدة، تقول: يا رب لقد تبت إليك، يقول: عبدي وأنا قد قبلت؛ ولا يعرف طعم التوبة إلا من تاب، لا يعرف طعم المغفرة إلا من غفر له، لا يعرف طعم الصلح إلا من اصطلح مع الله.

الإنسان إذا تاب توبة نصوحة فكل شيء من قبل يسامحه الله به :

((قال له: مالك يا عمرو؟ قال: قلتُ: أردتُ أن أشْتَرِط، فقال: تشترطُ ماذا؟ قلتُ: أن يُغْفَر لي، قال: أما علمتَ أن الإسلامَ يهدِم ما كان قبله))

هناك تعليق؛ أحياناً يقال لك: إذا تبت، لا بد من أن تصلي كل الصلوات التي فاتتك؛ هذا الموضوع خلافي، لكن يجب أن نوضح ذلك؛ له ثلاثون سنة لا يصلي، وليس فيه دين إطلاقاً، ولم يطبق شيئاً من الدين، حمَّلته ثلاثين سنة صلاة قد لا يتوب، لكن قل له هذا الحديث، لمجرد أنك تبت إلى الله، اصطلحت معه، لا شيء عليك من قبل؛ لا صلاة، ولا صيام، ولا شيء، وهناك من يقول: الإنسان إذا تاب توبة نصوحة، كل شيء من قبل يسامحه الله به، أما أنا فأقول دائماً: إذا كنت نشيطاً، صلِّ مع كل فرض فرضاً مما سبق، من دون حسابات، ما دمت نشيطاً، أما تجد إنساناً، يجب أن يصلي أربعة فروض مع كل فرض، لمدة جمعة، جمعتين، ثلاثة، تجده يترك الصلاة كلها.

يجب على الإنسان أن يستفيد من هذا الحديث، يشعر أن الله عز وجل لما اصطلح معه، وتاب، عفا عنه، عن كل شيء سابق، مثلما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه))

[صحيح عن أبي هريرة]

إنسان هاجر إلى الله، والمعنى الواسع للهجرة أن يهجر ما نهى الله:

((وعبادة في الهرج كهجرة إلي))

[مسلم عن معقل بن يسار]

هناك بعض الاجتهادات بالنهاية مضحكة، مثلاً سقوط صلاة، والله عمل سهل، إذا كان الشخص غنياً، بعد أن توفي، نزلوا معه مئة ألف، مئتي ألف، كل وقت صلاة له ترتيب، فجمعوا أوقات الصلاة كلها، وحسبوها، وأعطوه سقوط الصلاة، وانتهى الأمر.

الأحمق من فُتح له باب التوبة و أبى أن يدخله :

العبادات التي أُمرنا أن نعبد الله فيها لا تؤدَّى إلا منا بالذات، لقوله تعالى:

(وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

[سورة النجم الآية:٣٩]

(وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى)

[سورة النجم الآية:٤٠]

فالإنسان إذا عنده همة عالية، وأحبّ أن يصلي صلوات نفل لا يوجد مانع، أما أن تشترط عليه شرطاً تعجيزياً فهذا الاجتهاد فيه تعنت شديد، وفيه تكليف ما لا يطيق، والإنسان عندئذ ينفر من

التوبة.

أما إذا كانت همة الإنسان ضعيفة، قال:

((...أما علمتَ أن الإسلامَ يهدِم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدِم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟))

ثم إن الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، فالإنسان إذا أتيح له أن يعتمر، وأن يذهب إلى مكة المكرمة، فلو أردنا أن نأتي على طريقة الحسابات الصلوات في المسجد الحرام تعدل كل ركعة منها مئة ألف ركعة في غيره.

الله عز وجل ما أمرنا أن نتوب إليه إلا ليتوب علينا، ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا، ما أمرنا أن نستغفره إلا ليغفر لنا، والإنسان لا يكون أحمقاً إلا إذا فتح له باب التوبة وأبى أن يدخله، أقول: التوبة فرصة لا تقدر بثمن، لتلغي الماضي كله، فباب التوبة مفتوح على مصارعه، أنا أركز على هذه النقطة لأن الإنسان يمكن أن يأتيه الموت فجأة، أما إذا تاب إلى الله توبة نصوحة؛ أنسى الله حافظيه، والملائكة، وبقاع الأرض كلها خطاياه، وذنوبه.

من اعتَّد بقوة إرادته و بذاته ولم يعتمد على ربه أضعف الله مقاومته أمام الشهوات :

كلكم يعلم أن التوبة أول مرة سهلة جداً، إنسان له خطايا وذنوب، وعقد العزم على التوبة، يشعر الطريق سالكاً إلى الله بسهولة، لكن أحياناً يقع في الذنب مرة ثانية هنا يشعر بصعوبة؛ أول مرة الله عز وجل قبلك على علاّتك، أما الثانية صار هناك ضعف، أنا أنصح الأخوة الذين يتوبون من الذنب مرة ثانية أن يضيف إلى التوبة عملاً صالحاً؛ إما صدقة، أو صياماً، أو ما شاكل ذلك، لكن في النهاية لو إنسان أعاد الذنب ألف مرة، من له غير الله عز وجل؟ لا يوجد طريق ثان، نقول له: تب إلى الله، واطلب من الله أن يعينك على التوبة، وأن يقبلها منك، وأن يقوي همتك.

وقد ورد في الجامع الصغير: "ألا أنبئكم بمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله؟"، من أجمل تفسيرات الحديث التي فسرها النبي قال: "لا حول عن معصيته إلا به، ولا قوة على طاعته إلا به"، حتى الافتقار في موضوع التوبة ضروري؛ لأن الإنسان له مقاومة، المقاومة للمعاصي، إما أن تقوى، وإما أن تضعف، فإذا اعتدَّ الإنسان بقوة إرادته، واعتدَّ بذاته؛ يمكن ألا يستطيع، يمكن أن يضعف الله مقاومته، وهذا الموقف وقفه سيدنا يوسف:

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

[سورة يوسف الآية:٣٣]

فكل إنسان تكلم كلاماً خلاف الكلام يكون على خطأ، أنا إرادتي قوية، أنا لا يهمني، لا أتأثر، لا، عندما يُضعف ربنا عز وجل مقاومتك تتأثر لشيء سخيف جداً.

الإنسان ضعيف ومن علامة ضعفه أن شهواته تغلبه :

الإنسان في الأساس ضعيف؛ من علامة ضعفه أن شهواته أحياناً تغلبه، تجد شخصاً محترماً إلى درجة مذهلة، في ساعة الشهوة تجده سخيفاً، صار مضحكاً، أحياناً امرأة تستذله، تذله؛ فموقف سيدنا يوسف موقف فيه توحيد، وفيه أدب مع الله، قال:

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

[سورة يوسف الآية:٣٣]

أنا أعرف شخصاً أكرمه الله عز وجل بزوجة، وبيت، ومحلين، محل في مركز المدينة، ومحل في أروج أسواقها، وسيارة، وكان مستورداً، وعنده زوجة ممتازة، و هو يعمل بعمل تصنيع الألبسة، فتعاقد مع إنسانة من أجل التفصيل، طبعاً لم يعبأ بقواعد الشرع، صار هناك خلوة، هذه الإنسانة عندها سبعة أولاد، ومستواها دون زوجته بكثير، الخلوة سببت مشكلة؛ المشكلة انتهت إلى فاحشة؛ الله عز وجل بالمرصاد؛ فقد أول محل، ثم ثاني محل، فقد السيارة، صار عليه ديون، عقد صفقات لم تبع، والذين اشتروا هذه الصفقات لم يعطوه ثمنها، إلى أن اضطر أن يعمل على الرصيف، أنا لم أر إنساناً كهذا الإنسان؛ لأنه خرق حدود الشرع، الشاهد في هذه القصة: التي تعلق بها دون زوجته بكثير، له زوجة، وفي الحلال تأبّى عنها، وانخرط مع امرأة ساقطة، دون التي يملكها بمئات المرات، هذا معنى قوله تعالى:

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

[سورة يوسف الآية:٣٣]

الاستقامة تحتاج إلى معاونة من الله عز وجل :

حتى الاستقامة تحتاج إلى معاونة من الله، وأكبر دليل:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

[سورة الفاتحة الآية:٥]

هذا أقوى دليل بالفاتحة، جُمع القرآن في الفاتحة، وجمعت الفاتحة في:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

[سورة الفاتحة الآية:٥]

أي ما أمرك أن تستعين به إلا ليعينك، يعاونك على وفاء الدين، يعاونك على طاعته؛ تجد همتك عالية، مقاومتك شديدة، أنت في الأعماق بعيد عن المعصية، لكن عندما تضعف مقاومتك تجد شخصاً محترماً جداً زلت قدمه، غلبته نفسه، أين قوة الشخصية؟ حتى في الاستقامة يجب أن توحد، ويجب أن تفتقر إلى الله عز وجل.

المؤمن مستعد أن يبذل جهداً كبيراً ولا يبتغي إلا وجه الله عز وجل :

آخر حديث: يقول عليه الصلاة والسلام:

((رباطُ يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سَوْط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والرَّوْحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها))

[أخرجه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد]

أي لا يوجد إنسان ليس له أعمال يومية، نشاط يومي، كل هذه النشاطات مؤداها كسب الرزق، تحقيق المصالح، لكن لا يوجد أروع من إنسان يتحرك لوجه الله، فالإنسان عندما يتحرك حركة لا يبتغي بها إلا وجه الله، ولا تتعلق بمصالحه أبداً، قال: هذه الروحة والغدوة خير من الدنيا وما فيها، لأن الدنيا تزول، انظر إلى الذي يبذل جهداً لوجه الله ـ النسبة قليلة جداً ـ؛ إذا دلك شخص فلا يتحرك حركة إلا بعمولة، إلا بربح، إلا بأجر، أما المؤمن فمستعد أن يبذل جهداً كبيراً، ولا يبتغي إلا وجه الله عز وجل، بينما أهل الدنيا لا يتحرك حركة إلا بأجر، ولو كلمة تكلمها.

أذكر قصة لها أثر في نفسي، تعطلت مركبتنا، لأن العجلة تعطلت، وآلة الرفع غير موجودة، فتعطلنا، ووقفنا ساعة، ساعتين، نؤشر للسيارات ـ و سيارتنا قد توقفت في أول الطلعة ـ فلم يتوقف أحد، والساعة متأخرة؛ بعد ساعتين توقفت سيارة، قلنا له: نريد رافعة، قال: تفضلوا، فأنا أكبرته كثيراً؛ لأن الدنيا لن تخلى من إنسان شهم، من إنسان صاحب مروءة، من إنسان عنده غيرة، معنا نساء محجبات، فأنا أثنيت عليه في نفسي، والله شيء جميل، الدنيا فيها خير؛ عنده شهامة، مروءة، ـ القصة من حوالي ثلاثين سنة ـ بعد أن انتهينا طبعاً أنا ليس لي علاقة بالسيارة، قال هذا الإنسان لصاحب السيارة: اسمح لنا بخمس ليرات، ماذا قال قريبي؟ قال له: لو طلبت مئة سأعطيك، لكن ليتك لم تطلب خمس ليرات، لما طلب خمس ليرات سقط عمله، كان عملاً عظيماً، مبلغ زهيد لا قيمة له، خذ عشرة، خذ خمسين؛ لأننا مقطوعون، لكن عمله لا يقدر بثمن؛ نجدة، مروءة، إغاثة ملهوف، بقي بخمس ليرات.

من يعمل لوجه الله عز وجل يكافئه الله بالجنة :

أهل الدنيا يحبط الله أعمالهم، العمل العظيم يطلب عليه أجراً، لم يعد له قيمة، إذا قال ملك ـ ولله المثل الأعلى ـ لأستاذ ابنه: أعطِ ابني دروساً، وأنا أحاسبك، كان الملك يريد أن يعطيه بيتاً، وسيارة ـ القصة قديمة فالأستاذ كان يأخذ على الساعة في ذلك الوقت عشر ليرات ـ عندما انتهى من إعطاء ابن الملك خمسة دروس، قال له: أريد الأجرة، فأعطاه خمسين ليرة؛ الملك كان يريد أن يعطيه بيتاً، وسيارة، قال: لا تطلب منه، أنا أحاسبك؛ فعندما يطلب الإنسان من العبد أجرة انتهى، أما عندما يطلب من الله الأجر فيعطيه الجنة.

فهناك أعمال كثيرة عندما تطلب أجراً عليها انتهى العمل، أنا التقيت مع أناس كثيرين يبذلون جهداً كبيراً، و عندما يحاول إنسان أن يقدم لهم شيئاً يقولون له: لا تخرب علينا عملنا، يريدون العمل لوجه الله خالصاً.

هناك قصة قلتها لكم سابقاً: لي قريبة؛ لها تعويض بسيط، أقل من الوكالة، وهي مقعدة، عملت محاولة يائسة، قلت لموظف: هل من الممكن أن تأتي إلى البيت، قلت له: معي سيارة، قال: لا، أنا آتي لوحدي؛ عندما قال: سآتي لوحدي، قلت: معنى هذا أنه لن يأتي ـ نوع من أنواع التملص ـ، والله انتظرت، دق الباب: جاء، ومعه الحقيبة، ومعه الجداول، أين الحجة؟ وقعت، وقبضت المبلغ، قال: أريد أن أصلي العصر، بعد أن انتهى من صلاته قلت له: سيدي الدنيا رمضان هل من الممكن أن أوصلك؟ قال: لا، لاتخرب علي عملي، ولم يرض أن أوصله، قال لي: العمل لوجه الله؛ أنا آتي أبتغي به وجه الله، ليس مكلفاً أن يخرج من بيته بعد الدوام، ويحمل الدفاتر، ويأتي، فالعمل عند الله عز وجل يساوي الجبال، أحياناً الإنسان يدفع قطعة لحم لزوجته، قيل: يراها يوم القيامة كجبل أحد، و هناك إنسان هو يأكل اللحم كله، وهناك إنسان شيء ليس له قيمة، لكن يعبر عن نبل الإنسان؛ يشتهي ابنه فيه، يشتهي زوجته، يؤثر غيره عليه؛ هذا يراه يوم القيامة كجبل أحد.

الإسلام ليس موضوع عبادات شعائرية، الموضوع معاملات راقية جداً، المعاملات تقربك من الله عز

وجل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٣-٤٤) : عبادة في الهرج كالهجرة - أحب الأعمال أدومها وإن قل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله في زمن الفتن فهو مهاجر إلى الله و رسوله :

عن معقل بن يسار رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((العِبَادَةُ في الهرج كهجرة إليَّ))

[أخرجه مسلم والترمذي عن معقل بن يسار]

كيف أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الحج يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، فرصة لا تعوَّض أن الله سبحانه وتعالى سمح لك أن تلغي الماضي كله، بكل ما فيه؛ لمجرد أنك هاجرت، أو حججت، أو اصطلحت مع الله، والنبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح يؤكد أنك إن عبدت الله في زمن الفتنة فأنت مهاجر إلى الله ورسوله، أي ثواب العبادة في زمن الفساد، والفتن، والشبهات، هذه العبادة تشبه تماماً الهجرة إلى الله عز وجل، أي كل شيء له أجر، وكل شيء له قيمة، أن تكون في مجتمع مؤمن، منضبط، لا يوجد فيه انحرافات، لا يوجد فيه معاص، لا يوجد فيه شهوات، الاستقامة سهلة، أما أن تكون في زمن جميع ما حولك يدعوك إلى الشهوات، جميع ما حولك يدعوك إلى المعصية؛ كل شيء له بريق، كل شيء له ألق، وتنضبط؛ فهذا الانضباط له أجر عند الله يفوق أجر الانضباط في زمن التألق الديني.

لذلك ورد أن النبي الكريم يقول:

((اشتقت لأحبابي، قالوا: أو لسنا أحبابك؟ قال: لا أنتم أصحابي أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان الصَّابرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقابضِ عَلَى الْجَمْر، أجره كأجر سبعين، قالوا : منا أم منهم؟ قال : بل منكم، قالوا: و لمَ؟ قال : لأنكم تجدون على الخير معواناً و لا يجدون))

[الترمذي عن أنس]

فالمشقة وصعوبة الانضباط هذه عند الله مقدرة، ولها جزاء يزيد أضعافاً مضاعفة عن جزاء المستقيم في أيام الانضباط.

ارتباط فرح الله عز وجل بكماله :

النقطة الثانية:

((لَلّهُ أشدُّ فَرَحاً بتوبةِ عبده حين يَتُوبُ إليه من أحدِكم كان على راحلته بأرضِ فلاةٍ فانْفَلَتتْ منه، وعليها طعامُه، وشرابُهُ، فَأَيِسَ منها، فأتَى شَجَرة فاضطجَع في ظِلّها، قد أيسَ من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخِطامِها، ثم قال من شِدَّة الفرح: اللهم أنت عَبْدي، وأنا ربكَ، أخطأ من شدة الفرح))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

لله أفرح بتوبة عبده من هذا البدوي بناقته، وهذه الصورة معبرة صورها النبي عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى، أي الله ليس له حاجة بنا، لكن كماله يقتضي أننا إذا استقمنا على أمره، وأقبلنا عليه، وقدرنا أسباب سعادتنا أن الله يفرح، وفرحه يليق بجلاله لا كفرحنا، الإنسان لا يتناسب مع خالق الأكوان، إلا أن فرح الله عز وجل مرتبط بكماله.

قد تجد أحياناً أباً غنياً، وقوياً، وليس له حاجة بأولاده إطلاقاً، لمجرد أن أولاده يسعدون في الدنيا، هذا الأب مع أنه لا يوجد مصلحة مادية بينهما؛ إلا أن كمال الأب وما في قلب الأب من رحمة تجاه أولاده، فإذا سعد أولاده يسعد بسعادتهم؛ من هذا المعنى "لله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته".

الابتعاد عن الفتور الذي يبعد الإنسان عن الله عز وجل :

الشيء الدقيق أن الإنسان أحياناً يتأثر بأمور الدين، ويقبل، ولكن هناك أخطاراً تنتظر هذا التائب، من هذه الأخطار الفتور؛ له فورة، وتنتهي الفورة، ويعود إلى ما كان عليه؛ فلذلك: هذه الفورة لا نعبأ بها إلا إذا استمرت، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((أحب الأعمال إلى الله: أدْوَمُها وإنْ قل))

[متفق عليه عن عائشة]

فأنت حاول أن يكون برنامجك واقعياً، مستمراً، أما كل إنسان يمكن أن يفور فورة، ويتأثر تأثراً بالغاً، ويلزم المساجد، لكن بعد حين تجده غاب، اختفى، أين هو؟ لأن الفورة انتهت إلى تقصير، وانتهت إلى فتور، وانتهت إلى معصية، كأنه لم يفعل شيئاً، على العكس صار هناك خجل من الله شديد، لذلك النبي يؤكد هذه الحقيقة بقوله:

((أحب الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قل))

[متفق عليه عن عائشة]

فالفورة إذا انتهت إلى طاعة، وإلى التزام فهذا جيد، والفورة مستحيل أن تستمر؛ لأن الفورة عبارة عن نقلة مفاجئة، من حال إلى حال، في أول وقت النقلة هناك تأثير بالغ، لكن بعد حين استمر الوضع، مثال: إذا كان هناك حر لا تحتمل، ودخل شخص إلى غرفة مكيفة، خلال عشر دقائق يشعر براحة كبيرة جداً، لكن بعد ساعتين ألِف التكييف، أصبح عادياً، توهم أنه لم يعد له تأثير، أما

لو خرج من الغرفة مرة ثانية لا يحتمل، لكن استمرار التكييف أشعره أن تأثيره قليل، هو تأثيره قوي إلا أنه أَلِف هذا التأثير.

فالإنسان أحياناً له فورة، هذه الفورة سببها أنه كان بشقاء المعصية صار بنعيم الطاعة، كان بشقاء البعد صار بنعيم القرب، لكن بعد حين أَلِف في بيته؛ صلاته، أَلِف الاستقامة، والطهر، والعفاف، والصلة بالله؛ الحال لم يضعف، لكن ضعف تأثيره بالإنسان، الحال هو هو، لكن صار هناك نوع من الاعتدال، فهذه الفورة إذا انتهت إلى طاعة فهذا جيد، أما إذا لم يكن معها علم كان معها انفعال انتهى الإنسان، فهذه الفورة عندئذ لا قيمة لها، على العكس جعلت بينها وبين صاحبها حجاباً.

بطولة الإنسان أن يكون ذا مكانة عند الله عز وجل :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يومَ القيامة لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّه جَناحَ بَعُوضةٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

معنى هذا أن هناك مقاييس عند الناس، و مقياس عند الله؛ فقد يكون الإنسان بمقاييس البشر له مكانة كبيرة؛ قد يكون غنياً، قد يكون قوياً، أما إذا قسته بمقياس القرآن فلا قيمة له عند الله، لذلك ورد:

((ابتغوا الرفعة عند الله))

[أخرجه ابن عدي في الكامل عن ابن عمر]

ابحث عن مكانة عالية عند الله بمقياس القرآن، أما أهل الدنيا قد تكون في أعلى مكانة، وعند الله لا تزن جناح بعوضة، فالعبرة أن تكون عند الله ذا مكانة؛ لأنه:

(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)

[سورة الغاشية الآيات:٢٥ـ ٢٦]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٤-٤٤) : لكل نبي ومستخلف بالأرض بطانتان خير وشر.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان اجتماعي بطبعه و عليه أن يختار البيئة الصالحة ليعيش فيها :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، ولا استَخْلَفَ مِن خَليفةٍ، إلا كانَتْ لَهُ بطانَتان؛ بطانَةٌ تَأمُرُهُ بالمعْرُوفِ، وَتَحُضُّهُ عليه، وَبطانَةٌ تَأمُرُهُ بِالشَّرِّ، وَتَحُضُّهُ عليه، والمَعْصُوم مَنْ عَصمَ اللهُ))

[أخرجه البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري و أبي هريرة]

هذه حقيقة تؤكد أن الإنسان اجتماعي، وأن الإنسان يعيش في بيئة، وأنه إذا اختار بيئة صالحة، هذه البيئة الصالحة تأمره بالخير، وتحضه عليه، وإذا عاش في بيئة سيئة تأمره بالشر، وتحضه عليه. فجزء لا يستهان به في اتجاه الإنسان يأتيه عن طريق التغذية اليومية، هذه التغذية لها أثرها الكبير؛ فكم ترى من إنسان هو طيب في الأصل، ولكن التغذية السيئة التي يتغذاها كل يوم حملته على الشر، وكذلك الإنسان الآخر التغذية الطيبة التي يتغذاها حملته على الخير.

فهناك خطورة بالغة من إنسان يعيش في مجتمع، ويلقي إليه أذنه؛ لأن هذا الإنسان ليس دائماً إنساناً يقظاً، أحياناً تأتيه الكلمة السيئة؛ فتصيب منه موقعاً، تأتيه الكلمة السيئة فيطرب لها، تأتيه الكلمة السيئة فيتبناها، مهما كان الإنسان يقظاً، هذا الصديق الودود؛ المعاشرة اليومية، العلاقة الحميمة، تؤثر فيه، فالمفروض الإنسان كما يختار بيته الجيد، المشرق، ذا الإطلالة، ذا الموقع المناسب، المساحة المناسبة، عليه أن يختار أصدقاءه، وينبغي أن يكونوا من المؤمنين؛ هناك كلمة لبعض الأساتذة: "الإنسان ابن بيئته، وابن وراثته، وابن أمه وأبيه، وابن محيطه".

فلذلك الله عز وجل هذه القضية ذكرها بالتفصيل، قال:

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ)

[سورة آل عمران الآية:٢٨]

أي:

(لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ)

[سورة التوبة الآية:٢٣]

فموضوع الولاء والبراء موضوع خطير جداً.

من علامات إيمان الإنسان أن يوالي المؤمنين و يعادي الكافرين :

من ركائز إيمانك، ومن علامات إيمانك أن توالي المؤمنين، وأن تعادي الكافرين، الملاحظ أن الإنسان حينما يضعف إيمانه يبني ولاءه و براءه على مصالحه؛ فقد يوالي قوياً، وقد يوالي غنياً لا يصلي بل يشرب؛ لأنه يتوهم أن مصالحه مع هذا الإنسان، وقد يشمئز من مؤمن طاهر طيب؛ لأنه فقير يقاطعه.

حينما تبني علاقاتك، وولاءك، وبراءك على مصالحك، فليس في قلبك من الإيمان شيء، فمن أولى بديهيات الإيمان أن توالي المؤمنين، وأن تعادي الكفار، والمنافقين؛ هذه أولى بديهيات الولاء، وأولى بديهيات البراء، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، ولا استَخْلَفَ مِن خَليفةٍ، إلا كانَتْ لَهُ بطانَتان: بطانَةٌ تَأمُرُهُ بالمعْرُوفِ، وَتَحُضُّهُ عليه، وَبطانَةٌ تَأمُرُهُ بالشَّرِّ، وَتَحُضُّهُ عليه))

[أخرجه البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري و أبي هريرة]

لذلك الله عز وجل قال:

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

[سورة الكهف الآية:٢٨]

لو حللت الشر لوجدت أن الشرير يتغذى تغذية شريرة، وأخطر شيء في حياتنا التغذية، الذي تجلس معه، ماذا قال لك؟ بماذا نصحك؟ بماذا وجهك؟ ما الذي يقوله لك كل يوم؟ ما الذي يزينه في نظرك؟ ما الذي يصغره في نظرك؟ فالإنسان ليس دائماً يقظ، أحياناً له خط دفاع؛ فيكون هناك أسلوب ذكي جداً، هذا الأسلوب يتسرب عبر خطوط دفاعه.

القصة من أخطر الاقتحامات لخطوط دفاع الإنسان :

بالمناسبة: من أخطر الاقتحامات لخطوط دفاع الإنسان القصة؛ لأنها تعبير غير مباشر، لو أن إنساناً قال لمسلم: ليتك تزني، مستحيل أن يقبل؛ لأنه يوجد عنده خطوط دفاع، أما أحيانا يقرأ قصة مغزاها: أن الزنا مغنم كبير، أو يشاهد مسرحية مغزاها هكذا، فهذا اسمه تسلل، أو اقتحام خطوط الدفاع، مثلاً: لو إنسان يقود سيارته بطيش، وألقينا على مسامعه النصائح، حول الاعتدال بالقيادة؛ لا يلقي لها بالاً، أما لو شاهد قصة، كيف أن هذا السائق الأرعن فقد أطرافه السفلية، وصار في المستشفى، القصة ذات أثر أبلغ بكثير، من هنا قال الله عز وجل:

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

[سورة يوسف الآية:١١١]

فالأب الصالح يبحث عن أصدقاء أولاده؛ لأنهم يغذونه، أحياناً تلاحظ أن ابنك جاء بأفكار جديدة لم تكن من قبل، معنى هذا أنه يرافق شخصاً، وهذه الأفكار انعكاس لأفكار صاحبه، لا ينكر أبداً أثر الصديق، وأثر العلاقة الحميمة في التغذية اليومية، لهذا قال الله عز وجل:

(وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)

[سورة لقمان الآية:١٥]

هذا الأمر، النهي:

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

[سورة الكهف الآية:٢٨]

أحياناً يكون شخص مع زوجته، من أحسن ما يكون؛ تذهب إلى بيت أهلها، وتعود إنسانة أخرى متبرمة، منتقدة، غير قابلة لحياتها، لأنه حصل لها تغذية هناك.

الإنسان المؤمن قراره إسلامي نابع من الكتاب والسنة :

إذاً لك بطانتان: الأنبياء، والخلفاء، والخبراء، والعظماء، والقادة، لهم بطانتان؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُم بِالمعْرُوفِ، وَتَحُضُّهُم عليه، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُم بِالشَّرِّ، وَتَحُضُّهُم عليه، والمَعْصُومُ مَنْ عَصمَ اللهُ، والإنسان الحر هو الذي لا يتأثر قراره بأية تغذية، والإنسان المؤمن قراره إسلامي، أي قراره نابع من الكتاب، والسنة، مثلاً هناك إنسان عليه زكاة مال، مبلغ بحوالي أحد عشر ألفاً وخمسمئة وثلاثين ليرة، له زوجة متعبة كثيراً، حضته على عدم دفع الزكاة بإلحاح، لأنها تريد ترتيب بيتها، فاستجاب لها، يقول هذا الأخ: عندي سيارة أصابها حادث؛ عندما قمت بإصلاحها أغرب شيء أن يكون مجموع الفاتورة الكاملة بمقدار الزكاة التي لم يدفعها بالتمام، والكمال، الله تعالى أدبه.

فلذلك: المؤمن يصدر في قراره من الكتاب والسنة، ولا يعبأ بأية تغذية، يقال لك: البيئة لها أثر؛ لها أثر على ضعاف الشخصية.

دائماً العباقرة، والمتفوقون يقودون البيئة، يغيرون معالم البيئة، لا يتأثرون بها، يؤثرون بها، أما عامة الناس؛ تسعون بالمئة من الناس يتأثرون بالبيئة، أكثر مشكلة في المجتمع العدوى، الجهة فسدت الكل يفسد معها، أوضح مثل موضوع الأزياء، شخص يهودي، جالس في فرنسا، يصمم موديل، يفرضه على المسلمات، العفيفات، الطاهرات، هكذا الموضة، ماذا نفعل؟ هذا الشرك أساساً، وهذا الكفر، وهذه التبعية:

((حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه))

[أخرجه الحاكم عن أبي هريرة]

التغذية السلبية أخطر شيء على الإنسان :

الإنسان عندما يكون حراً تكون له شخصية قوية؛ حر من أي بيئة سيئة، من أي تغذية سلبية، حر من أي توجيه:

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

[سورة الكهف الآية:٢٨]

هناك رواية أخرى لهذا الحديث:

((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، ولا استَخْلَفَ مِن خَليفةٍ، إلا ولَهُ بطانَتان: بطانَةٌ تَأمُرُهُ بالمعروف، وتَنْهَاهُ عن المُنكر، وبطانَةٌ لا تَألُوهُ خَبَالا، فَمَن وُقِيَ شَرَّهَا فقد وُقيَ))

[أخرجه البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة]

أي عندك خطر اسمه التغذية السلبية، كلمة، أحياناً الإنسان الكلام إذا استمر؛ يعتقد أنه صواب، وهو لا يشعر، يعتقد صوابه، والباطل باطل لو ردَّدته مليون مرة، أحياناً في موضوع الإرث إنسان مثلاً عنده فتاة متزوجة، و هو ليس على علاقة طيبة مع زوجها؛ يقولون له: لا تكتب لها شيئاً، اكتب لأولادك، هؤلاء من صلبك، هؤلاء لك، هؤلاء أهلك، هذا كل يوم، كل يوم، كل يوم فيستجيب ويحرم بناته فيلقى الله عاصياً، قال: تجب له النار، يعبد الله ستين عاماً، ثم يظلم في الوصية، فتجب له النار، من هنا قال عز وجل:

(إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)

[سورة التغابن الآية:١٤]

لم يقل: عداوة حال، عداوة مآل؛ هو يحب زوجته، غذته تغذية معينة فاستجاب لها، يوم القيامة استحق النار، من السبب؟ زوجته فيكرهها، فالإنسان عليه أن ينتبه، القرار كيف اتخذته وفق حكم شرعي أم وفق تغذية مستمرة؟ هذا أخطر شيء في حياة الإنسان.

لذلك:

((وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ))

[أحمد والترمذي عن عمر]

((وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَة، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ))

[الترمذي عن ابن عمر]

((إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقاصيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ))

[أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

عظمة الجماعة تأتي من هنا، أنت بين المؤمنين تتلقى عنهم توجيهات صحيحة، تغذية صحيحة

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٥-٤٤) : الإنسان مخلوق للجنة ، وكل إنسان يعمل في ما أقامه الله وفي الظرف الذي وجد فيه : لاحسد إلا ..

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة الدنيا هدفها أن نؤهل أنفسنا لدخول الجنة :

أيها الأخوة الكرام: الإنسان مخلوق للجنة، خلق يوم خُلق ليسعد بجنة عرضها السماوات والأرض إلى أبد الآبدين، وجيء به إلى الدنيا ليؤهل لهذه الجنة.

الحياة الدنيا ـ هذه دنيا لكنها مرحلية ـ هدفها أن نؤهل أنفسنا لدخول الجنة، والله عز وجل لحكمة بالغة أقام كل إنسان في وَضع؛ هذا أقامه غنياً، هذا أقامه فقيراً، هذا أقامه قوياً، هذا أقامه ضعيفاً، هذا أقامه عالماً، هذا أقامه غير عالم، فكل إنسان له طريق إلى الجنة من خلال ما أقامه الله؛ أما حينما يدخل هؤلاء جميعاً إلى الجنة فهذه الوسائل المتنوعة لا قيمة لها؛ هذا دخل الجنة بماله، هذا دخلها بعلمه، هذا دخلها بخدمته.

فالوسيلة حينما تؤدي الغاية تنتهي قيمتها، هذا المفهوم مفهوم دقيق جداً؛ هذا أقامه الله طبيباً، يصل إلى أعلى درجات الجنة من خلال الطب؛ يتقن عمله، يخلص في خدمة المسلمين، لا يغش أحداً، يرعاهم، يرحمهم، فإذا هو في الجنة؛ الثاني أقامه غنياً، بإنفاق ماله فقط يصل إلى أعلى درجات الجنة، فلان أقامه عالماً، بإنفاق علمه فقط يصل إلى درجات الجنة.

نظام أسري؛ الأب في المحل، والابن جاء بالأغراض، والزوجة تطبخ، والابنة تمسح البيت، عند الظهر جلسوا على مائدة واحدة، مائدة دائرية بالتساوي، كل واحد له دور، الأب جاء بالمال، والأم طبخت، والابنة نظفت، والابن جاء بالأغراض، فهذا المعنى يدفعنا جميعاً إلى إتقان عملنا، والإخلاص فيه، وحينئذ يكون هذا العمل وسيلة إلى الجنة.

لو فرضنا للتقريب أن الجنة مدينة جميلة جداً، وفيها ما لذّ، وطاب، وأنت بينك وبينها مئة كيلو متر، من الممكن أن تطلب سيارة، أو دراجة نارية، أو طائرة، أو على دابة، أو سيارة صغيرة، أو كبيرة، هذه كلها وسائل، هذه كلها إذا أوصلتك إلى هذه المدينة التغت قيمتها، فهذا المعنى أولاً: مريح، ثانياً: يدعو إلى العمل؛ فيجب أن تعبد الله فيما أقامك الله.

من أتقن عمله و أخلص في خدمة المسلمين دخل الجنة :

ليس مقبولاً من الغني أن يتقرب إلى الله بالذكر فقط، مطلوب من الغني أن يتقرب إلى الله بإنفاق ماله، مطلوب من العالم أن يتقرب إلى الله بإنفاق علمه، مطلوب من الخبير أن يتقرب إلى الله بإنفاق خبرته، مطلوب من صاحب الجاه أن يتقرب إلى الله بإنفاق جاهه، وهذا معنى قوله تعالى:

(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

[سورة القصص الآية:٥٤]

مفهوم الأسرة أن الجنة لكل مسلم، وأعلى درجاتها لكل مسلم، وكل إنسان يصلها من طريق. فالإنسان إذا أتقن عمله، وأخلص في خدمة المسلمين، يدخل الجنة؛ إنسان أتقن دعوته، وأخلص فيها لخدمة المسلمين، يدخل الجنة؛ هذا أتقن طبه، وهذا أتقن هندسته، وهذا أتقن تدريسه، هذا أتقن عمل يده، أي لا يوجد حرفة إلا فيها إتقان وعدم إتقان، وإخلاص وعدم إخلاص، لحكمة أرادها الله لأن الإنسان مخير.

كلُّ الحرف حيادية؛ تجد محامياً يدخل الجنة، محامياً يدخل النار، الشهادة واحدة، شخص نذر نفسه لخدمة الحق، فأية دعوى فيها باطل يعتذر عنها ولو فيها ملايين، والله يرزقه، إنسان بطلاقة لسانه دخل الجنة، وظف هذه الطلاقة في نشر الحق، وإنسان آخر وظف طلاقة لسانه في نشر الباطل، هذا معنى يعبد الله فيما أقامه.

وهناك معنى ثانياً: وفيما وضعه من ظرف؛ إنسان والده مريض، عباداته خدمة والده، إنسان عنده ضيف، عباداته خدمة الضيف، إنسان عنده عدو اجتاح البلاد، العبادة الأولى الجهاد في سبيل الله وهذا أهم من كل شيء.

عبادة الهوية و عبادة الظرف :

للإنسان وضعان: له هوية، وله ظرف؛ يجب أن تعبد الله فيما أقامك، وفي الظرف الذي وضعك فيه، بالمعنى هذا يصبح المجتمع البشري ورشة عمل، لم يبق فيه حسد، أنا في الأصل خلقني الله لأدخل الجنة؛ الله أقامني بالحرفة، أقامني بالقوة، هذه امرأة، عند الله أصبحت امرأة، الله جعلها امرأة، تدخل الجنة حينما تؤدي وظيفتها كاملة تجاه زوجها، وأولادها.

لذلك المرأة قد تكون في أعلى مرتبة عند الله؛ لا خطبت، ولا درَّست، ولا سافرت، جالسة في البيت تطبخ، وتنظف، وترعى حق زوجها، وأولادها؛ وهي كالمجاهدة في سبيل الله:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ـ أي يعدل الجهاد في سبيل الله ـ))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

إذا فهمت المرأة هذا الحديث؛ وهي في مطبخها، وهي في بيتها، وهي في تعتيم كامل ـ كما يقولون ـ عند ربها في أعلى عليين.

فكل إنسان يلتفت إلى حرفته؛ يتقنها، يكون صادقاً فيها، وينوي بها خدمة المسلمين يدخل الجنة؛ سمعت عن السلف الصالح كان إذا فتح محله التجاري يقول:" نويت خدمة المسلمين".

هدفه من المحل أن يخدم الناس، طبعاً لو ربح منهم لكنه ينصحهم، لا يغشهم أبداً، لا يبني علاقاته على مصالحهم، هذا مسلم يجب أن أعطيه حاجة جيدة، متقنة، رخيصة الثمن، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((لا حَسَدَ إلا على اثْنَتيْن: رجلٌ آتَاهُ اللَّهُ القرآنَ، فقام به: آناء اللَّيل، وَآنَاءَ النَّهار، ورجلٌ أعْطاهُ اللَّهُ مالاً، فهوَ يُنْفِقهُ: آنَاءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر]

الإنسان عندما يتمنى العمل الصالح يؤجر :

هناك قول لطيف يوضح الحقيقة: العدل حسن لكن في الأمراء أحسن، أي الأمير يصل إلى أعلى درجة في الجنة بالعدل؛ لأن الله أقامه أميراً، والورع حسن لكن في العلماء أحسن، والعالم يصل إلى أعلى درجة في الجنة بالورع؛ الورع جهد، أما العلم فمتعة؛ يمكن أن تتعلم، وتتكلم كلاماً طيباً، أما عندما تطبق فمعنى ذلك أنك صادق، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، من علامات قيام الساعة يرفع الحياء من وجوه النساء، تنظر إليك بحدّة، وتسترجل أحياناً، وترفع النخوة من رؤوس الرجال، وتنزع الرحمة من قلوب الأمراء، الحياء حسن لكن في النساء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، الشاب يصل إلى أعلى درجة عند الله بورعه تجاه النساء؛ بغض بصره يبتعد عن كل مكان مشبوه، الشاب مأخذه المرأة، الغني ليس المرأة بل المال، القوي التسلط، وعدم العدل بين الناس، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، أي أجمل شيء في الغني سخاؤه، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن؛ فصار هناك عالم، وأمير، وغني، وامرأة، وفقير، وشاب، الحديث:

((لا حَسَدَ إلا على اثْنَتيْن: رجلٌ آتَاهُ اللَّهُ القرآن، فقام به آناء اللَّيل، وَآنَاءَ النَّهار، ورجلٌ أعْطاهُ اللَّهُ مالاً، فهوَ يُنْفِقهُ آنَاءَ اللَّيلِ، وآناءَ النَّهار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال :

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْن: رجلٌ آتاهُ اللَّه القرآنَ، فهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيلِ، والنَّهار، فَسمِعَهُ جَارٌ له، فقال: لَيْتَني أُوتيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ: فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعمَلُ، ورجلٌ آتاهُ اللَّهُ مالاً، فهو يُنفِقُهُ في حَقِّهِ، فقال رجل: لَيْتَني أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعمَلُ))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

الإنسان عندما يتمنى العمل الصالح يؤجر؛ هناك إنسان يسمع عن شخص فاسق، فاجر، يتمنى أن يكون مكانه، فهو معه في الإثم سواء، وإنسان يتمنى أن يكون مثل هذا الغني؛ الموسر، السخي، أو مثل هذا العالم المنفق لعلمه، فهو في الأجر سواء، التمني شيء جيد، إنسان يتمنى أن يكون هكذا، التمني هذا يقوده إلى أن يكون هكذا.

الله عز وجل ما أمر الإنسان أن يستعين به إلا ليعينه :

آخر حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: قال الله تعالى:

((قسمتُ الصلاة بيني، وبين عبدي: نصفين ، ولعبدي ما سألَ ـ وفي رواية: فنصفها لي، ونصفها لعبدي ـ فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدَني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثْنَى عليَّ عبدي، وإذا قال: مَالكِ يوم الدين، قال: مجَّدَني عبدي، وإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ* غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل))

[أخرجه مسلم والموطأ والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

واحدة له، وواحدة بينك وبينه، واحدة لك: الحمد لله رب العالمين؛ حمدَني عبدي، الرحمن الرحيم؛ أثنَى عليَّ عبدي، مَالكِ يومِ الدين؛ مجَّدَني عبدي، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ـ بيني وبين عبدي ـ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ* غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، قال: هذه لعبدي، ولعبدي ما سأل).

وهذه {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} خطيرة جداً، ما أمرك أن تستعين به إلا ليعينك، ماذا بقي لك؟ السؤال فقط، السؤال الصادق، قد تصل بهذا السؤال الصادق إلى أعلى درجات في الدنيا والآخرة، أنت ضعيف، في الأصل ضعيف، وما من إله إلا الله، والقوة كلها بيد الله، يعطيها لمن طلبها صادقاً، اسأل الله صادقاً أي شيء تملكه؛ لأن {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ما قال: {إِيَّاكَ نَعْبُد} فقط، لو قال هذا فقط لصار العبء عليك، قال لك: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي الله يعينك على أداء العبادات تامة، وكل إنسان يقول لك: لا أستطيع، فوق طاقتي؛ هذا يكذب قوله تعالى إذ يقول:

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)

[سورة البقرة الآية:٢٨٦]

الإنسان يمكن أن يصل إلى أعلى درجة في أي عصر لأن الله هو هو :

الإنسان أحياناً يستطيع أن يفعل كل شيء؛ يمكن للإنسان أن يعيش في بلد فيه فسق، وفجور، ويكون ولياً، ويمكن أن يأوي إلى كهف، بيته كهفه، كما يمكن أن يصل إلى أعلى درجة في أي عصر؛ لأن الله هو هو؛ إله الصحابة إلهنا، الذي رزقهم يرزقنا، الذي ينصرهم ينصرنا، الذي أكرمهم يكرمنا، الذي مكَّن لهم يمكّن لنا، الذي استخلفهم يستخلفنا، الذي طمأنهم يطمئننا، قد يقول قائل: هذه قضية تفاوت من نحن؟ الله موجود، أي الشيء الذي بدا لكم كالمعجزات في عهد النبي يمكن أن يعاد:

((أمتي كالمطر لا يُدرى أوله خير أم آخره))

[صحيح عن أنس]

((الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة))

[البيهقي عن جابر]

عملية تحريك ذاتي؛ أنا عليَّ أن أتحرك، وعلى الله الباقي.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٦-٤٤) : الدين معاملة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٨-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين المعاملة :

أيها الأخوة: حديث في صحيح مسلم؛ يقرؤه الناس، ويسمعون شرحه، ومع ذلك يفهمون أن الدين هو أن تصلي، وأن تصوم، وأن تؤدي العبادات، مع أن هذا الحديث الشريف فيه من العمق، والخطورة، ما يحمل الإنسان على أن يعتقد أن التدين الصحيح في المعاملة. يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ ـ المفلس بالمفهوم العام: من لا درهم له، ولا دينار؛ لا يملك مالاً إطلاقاً ـ فقالوا: المفْلسُ فينا من لا درهم له، ولا متاع، فقال: إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة؛ بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيَتْ حَسَنَاتُهُ ـ قبل أن يُقْضى ما عليه ـ أُخِذَ من خطاياهم؛ فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

كلام واضح كالشمس؛ إنسان يغتاب، إنسان يطعن، إنسان يأكل ما ليس له، إنسان في الإرث يأخذ النصيب الأكبر بدعوى لا قيمة لها، إنسان غمَّاز لمَّاز؛ ويصلي، ويصوم، ويحج كل عام، ومصيره إلى النار، هذا هو الدين! الدين عبادات تعاملية إن صحت صحت العبادات الشعائرية؛ التعاملية: أن تكون صادقاً، أن تكون أميناً، أن تكون عفيفاً، أن تكون منصفاً، أن تكون رحيماً، أن تكون متواضعاً، هذه العبادات التعاملية إن صحت صحت العبادات الشعائرية؛ عندئذ تصح الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة.

العبادة الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية :

هذا المعنى أيها الأخوة يفتقر إليه المسلمون كثيراً، هم يتوهمون أن كل من دخل، وصلى فهو مسلم؛ المسلم من سلم المسلمون من لسانه، ويده، والمؤمن من أمِنه الناس على أموالهم، وأعراضهم، أي الصفة الصارخة في المؤمن ليست صلاته، ولا صيامه، ولا زكاته، ولا حجه؛ الصفة الصارخة صدقه، وأمانته، وعفته، والصحابة الكرام حينما سئل سيدنا جعفر من قِبل النجاشي عن رسول الله، ما قال: بعث الله فينا رجلاً يصلي، ويصوم، قال سيدنا جعفر: " كنا قوماً أهل

جاهلية، نأكل المَيتَة، نعبد الأصنام، نأتي الفواحش، نقطع الرَّحم، نسيء الجوار ـ هذه جاهلية؛ جاهلية أخلاقية ـ حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه ـ هذا هو النبي، إنسان صادق، أمين، عفيف ـ فدعانا إلى الله؛ لنعبده، ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة، والأوثان، وأمرنا ـ انظر لم يذكر الصلاة ـ بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدينار" هذا الدين.

تعريف جامع مانع للدين، الدين استقامة، وأمانة، وصدق، وعفة، ورحمة، وعدل، وإنصاف؛ هذا الذي يرفع الإنسان، هذا الذي يجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

حدثني شخص، قال لي: والله إنسان يصلي في الصف الأول، وله طلاقة بلسانه عجيبة، ساكن في بيت أجرة، له صاحبة من تركيا فقيرة جداً، البيت ثمنه سبعة ملايين، استطاع أن يأخذه منها بسبعمئة ألف فقط؛ بأساليب، وباحتيالات، وبإيهام، أنا خطر في بالي أن مثل هذا الإنسان الذي أعطى عشر ثمن البيت لصاحبته؛ بأساليب لا ترضي الله، يمكن أن يضع صلاته، وصيامه، وحجه في الحاوية، هذا واقع المسلمين، عداوات، اغتصاب أموال، تطلّع إلى ما عند الآخرين، إطلاق البصر في المحرمات، سهر وراء الأقمار، وفي النهاية نصلي، ونصوم، ونحج، ليس هذا هو الدين، هذا الحديث يجب أن يكون شعار كل مسلم:

((المفْلسَ مَنْ أتى بصلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وقد شَتَمَ هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيَتْ حَسَناتُهُ ـ قبل أن يُقْضى ما عليه ـ أخِذَ من خطاياهم؛ فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

الإنسان يتألق بأخلاقه لا بعباداته :

الشيطان دائماً يُوهم الإنسان أنت صاحب دين؛ تصلي، تصوم، تحج، لا، قل له: صاحب الدين هو الصادق؛ صادق ويصلي، طبعاً بالمقابل مرفوض أشد الرفض أن تقول: إنسان مؤدب لكن لا يصلي، لا، هذا ليس له علاقة؛ صادق ويصلي، أمين ويصلي، رحيم ويصلي، منصف ويصلي، عفيف ويصلي.

فهذا الحديث أيها الأخوة وضع فيه النبي عليه الصلاة والسلام يديه على جوهر الدين؛ هذا الدين، هكذا كان هو وأصحابه.

لذلك التألق لا يأتي من الصلاة، والصوم، شخص يصلي، يصوم، لكنه كذاب، محتال، أي ليس مستقيماً، مُرَاوِغاً، يأخذ ما ليس له بأساليب شتى، مثل هذا الإنسان نقول له: تصلي، وتصوم؛ لكن ليتك تضيف إليهما الطاعة، والاستقامة، وإلا لا قيمة لهذه الصلاة، والصوم.

الشيء الدقيق أيها الأخوة أن فهم الصحابة للدّين هو الذي جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وفهمنا السقيم للدّين هو الذي جعل الناس يخرجون من دين الله أفواجاً، صار هناك قناعات عند الناس عجيبة لا نريد صاحب الدين؛ لأنه غشاش، ومحتال.

قال لي أخ: أنا أعمل دهَّاناً، ولي شريك، صاحب البيت قال لنا: الهاتف على حسابكم، لم يخطر في باله المكالمات الخارجية، خطر في باله أن خبّروا، لا يوجد مانع، فاتصل شريكي بالسعودية؛ لأن له أخاً، وأقرباء، قال لي: أول مكالمة، الثانية، الثالثة، العاشرة، قال لي: الفاتورة أصبحت بالألفات، نصحته كوني شريكاً له قلت له: أنت صاحب دين؛ ولك مظهر ديني، وتصلي، وتغتصب من صاحب البيت آلاف الليرات كمكالمات خارجية؟ قال لك: خبِّر، لا يوجد مانع؛ لكن لم يقصد خارجياً، قصد محلياً.

تجد الإنسان عندما تأتيه فرصة يضع صلاته، وصيامه، وحجه في الحاوية، ويرتاح في البيع، والشراء، و العفة، والاستقامة، والصدق؛ الإنسان يتألق بأخلاقه، ولا يتألق بعباداته، عباداته بينه وبين الله، يتألق بمعاملاته، فإذا صحت معاملاته أحبّ الناس الدِّين، أما الآن: هناك من يكره الصلاة مع أنها عبادة؛ لأنه يعرف أن هناك من يصلي ويكذب، من يصلي ويحتال، من يصلي ويأخذ ما ليس له.

الدين استقامة و ورع و ضبط لسان :

فيا أيها الأخوة: حتى نوفر وقتنا العمر ثمين، أحياناً ألاحظ الحلاق بالمقص عشرين، ثلاثين قصة في الهواء، ثم يضرب بشعرة ، أنا أريد الملايين، أريد الضربة الصائبة؛ من أجل أن تأتي، أن تصيب الهدف؛ دينك يعني استقامتك، دينك يعني ضبط لسانك، دينك يعني ورعك، دينك يعني نزاهتك، انظر:

((الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

المؤمن الصادق لا يمكن أن يأكل درهماً حراماً، ولا قرشاً حراماً، إنسان ورع، والمؤمن الصادق لا يمكن أن يتكلم كلمة من دون علم؛ كلمة شاطحة، فيها تجاوز، لأنه بذلك يفقد اتصاله بالله عز وجل، أما إذا كان الإنسان مقطوعاً عن الله عز وجل لم يعبأ بشيء، أما الذي وصل بالله عز وجل أدنى خطأ يحجبه عن الله، أصبح عنده حساسية، من هنا كان ضبط اللسان.

الحديث السابق يبين لنا حقيقة الدين :

أيها الأخوة: هذا حديث أساسي، مفصلي، حديث يبين حقيقة الدّين، هناك عبادات تعاملية، وعبادات شعائرية، والله لي قريبة توفي زوجها؛ زوجها متزوج امرأة سابقاً وتوفيت، له منها أولاد، فأول ما

توفي الزوج قالت لهم امرأة أبيهم: لأبيكم خمسمئة ألف استثمار في محل تجاري، قال لي مرة: هذا المبلغ لك إذا توفيت، لا يوجد ورقة، ولا يوجد توثيق، ولا يوجد شاهد، الكلام بينه وبينها، فلما توفي بلغت أولاده بذلك، فذهبوا إلى الرجل؛ وأعطوه تنازلاً، وعملوا وصلاً باسمها ببساطة، زوجة أبيهم، وصادقة، الأب قال: الخمسمئة لزوجتي، و بعد فترة أعطوها تسعة آلاف متأخرها، ثم أخذوه منها، قالوا: نحن سألنا الشيخ، فقال: تسعون ألفاً على القيم الجديدة؛ أعطوها تسعين ألفاً، أعطوها الحصة من البيت، فهم أدوا ما عليهم بالضبط، لكن لأن الآن المستقيم نادر، فعلهم كان غريباً جداً؛ أعطوها المتأخر بالسعر الجديد أي بسعر الذهب، وأعطوها الخمسمئة ألف بكلمة تكلمتها؛ من دون أية وثيقة، من دون أية شهادة، انظر، كم أسرة يموت الأب، ترك الزوجة، وعنده أولاد من زوجة أخرى؛ يطردونها من البيت في اليوم الثاني، ثاني يوم يضعونها خارجاً، فهذا الدين! الدين أن تعطي الحق.

أعرف أخاً من أخواننا الأب ترك ابناً، وابنة؛ الابنة متزوجة من رجل ميسور، وتسكن في بيت ملك، ولا يوجد عليها شيء، أما البيت الذي تركه الأب للابنة حصة فيه، وهو جيد جداً، جاء الابن وقيّم البيت فارغاً، وأعطى أخته حقها بالتمام؛ كم أخ يفعل هذا؟ يقول لها: هذا بيت الأسرة، بيت العائلة، تعالي اسكني فيه إذا كنت تريدين؛ يستهلكه لوحده، وحق أخته موجود، وأخته لها زوج، وتسكن في بيت ملك، ليس لها حاجة، لكن هذا الحق.

دين الإنسان يظهر في التعامل المادي :

أنا أشعر أن دينك يظهر في التعامل المادي فقط؛ بالدرهم، والدينار، بضبط اللسان، أما أن أعمل عبادات وأوهم الناس أنني صاحب دين، أنا أسمي العبادات زعبرة، وتلبسة، وهي فارغة من مضمونها كلياً؛ عندما تأكل قرشاً من حرام، فرَّغت العبادات من مضمونها، هذا الدين لا يتحمل غلطاً أبداً، لأنه دين الله:

((إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً))

[مسلم عن أبي هريرة]

لا يقبلك الله إلا مستقيماً، نزيهاً، إذا كنا نحن بهذا الشكل؛ لماذا الناس لم تُسلم؟ لماذا لا تجد الأمة كلها تعلن إسلامها؟ أما الأمة كلها نافرة من الإسلام، المسلم يعني إنسان مخادع، المسلم يعني إنسان يمكن أن يجد فتوى ويأكل المال، المسلم يمكن أن يأكل أموال أخواته، يمكن أن يستولي أكبر أخ على المال كله؛ وله دعوة أنه مسلم، وصاحب دين، هذا المفهوم الخاطئ مفهوم الدين بالعبادات الشعائرية مفهوم مرفوض؛ الدين بالعبادات التعاملية، فإن صحت صحت العبادات الشعائرية.

كنت أضرب مثلاً: طالب تسعة أشهر في المدرسة، ويوجد عنده كل يوم دوام، وكل يوم ست محاضرات، والمحاضرات لها أساتذة، ولها كتب؛ فهذا لم يداوم إطلاقاً، ولم يقرأ، ولم يفتح أي كتاب، جاء الامتحان فذهب إليه؛ ستة أقلام، سندويش، حبة أسبرين، ترمس شاي، ترمس ماء، يريد أن يكتب، ماذا يكتب!؟ ماذا تفعل بثلاث ساعات؟ ثلاث ساعات ليس لهم معنى إطلاقاً، الثلاث ساعات لإنسان دارس، لإنسان يدرس تسعة أشهر، ثلاث ساعات لهم معنى؛ يوجد عنده ورقة، يكتب، أما إنسان لم يدرس إطلاقاً فلا معنى لهذه الساعات أبداً.

العبادة التعاملية هي العام الدراسي، والدوام، والانتباه للمدرس، والقراءة، والمراجعة، والعبادة الشعائرية ثلاث ساعات، الامتحانات ليس لها معنى إطلاقاً إذا لم توجد دراسة، إنسان لم يفتح كتاباً، ولم يقرأ كلمة، لكن ذهب إلى الامتحان.

على الإنسان أن يؤدي الذي عليه و يطلب من الله الذي له :

تجد إنساناً يصلي؛ ليس مع الصلاة، ليس مع الله عز وجل؛ لأن عمله السيئ حجبه عن الله عز وجل؛ ليس مع الله عز وجل، ليس مع الإقبال على الله، فهذا الحديث لا يضعه في جزدانه، يضعه في صدره:

((من هو المفلس؟ الذي أتى بصلاة، وصيام، وصدقة، وقد أكل مال هذا، وشتم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته ، فإن فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ ـ قبل أن يُقْضى ما عليه ـ أُخِذَ من خطاياهم؛ فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

فأنت ديِّن بقدر ما تؤدي الحقوق، تقول: أخي ليس بحاجة؛ هذا ليس عملك، هذا:

(إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا)

[سورة النساء الآية:١٣٥]

غني أو فقير هذا ليس عملك؛ أدِّ الذي عليك، واطلب من الله الذي لك، هذا المؤمن.

أنا أحكي قصة: أحد أخواننا يعمل في دائرة وهو فقير جداً، موظف معاشه محدود، له مدير عام، قدم له إجازة ستة أيام، المدير العام قال له: لا يوجد عندنا وقت لكي نعطيك إجازة، قال له: أنا استهلكت هذه الأيام، قال له: كيف استهلكتهم؟ فشرح له أنه كان يحضر دروساً في الطاووسية، كل يوم مدة ربع ساعة، فجمعهم كلهم حتى أصبحوا ستة أيام فقدم فيهم إجازة، نظر إليه باستغراب؛ لأنه لم يمر معه مثل هذا الموظف؛ يذهب كل يوم ربع ساعة ليصلي الظهر، ويرجع، اعتبر الدوام ملك الوظيفة، هو عندما أخذ الربع ساعة اقتطعها من الوظيفة، فقدم ستة أيام إجازة؛ حتى يكون معاشه

حلالاً، قال لي: والله مديرنا قليل الإيمان، سألني: أين جامعك أنت؟ من هو شيخك؟ و بعد أن سأله تفاجأ في الجمعة الثانية أن مديره كان جالساً في الدرس، قال لي: أنا أعتقد أنه لا توجد قوة تأتي به إلى الجامع؛ و لكن عندما لقي موظفاً يحاسب نفسه على الدقيقة، من الذي رباك على هذا؟

هذا الدين؛ أنت لا تعمل للناس صدمة بورعك، واستقامتك، المؤمن من يقول الحق، ولو على نفسه.

سمعت عن إنسان سمَّان في زملكا له درس؛ طالب علم، لكن عليه إقبال شديد، سبب إقباله استقامته في البيع، والشراء، لا يكذب أبداً، يتكلم الصدق؛ عندك بيض: نعم، إذا لم يوجد عنده بيض يقول للزبون جاري الآن أتى بالبيض، خذ من عند جاري؛ لا يكذب أبداً، و هناك إنسان لا يصدق أبداً، ويأتي إلى الجوامع، ويفعل كل الشعائر الإسلامية، ولكن الكذب جزء من حياته.

الله عز وجل لا يتعامل مع التمنيات يتعامل مع العمل الصادق :

المشكلة الآن: أخواننا الأجانب يسلمون، هم صادقون مع الله عز وجل، يتألقون تألقاً في بلادهم، ثم يأتون إلى الشرق منبع الدين، يتفاجؤون؛ يجدون الكذب، تأتي فتاة مثلاً أمريكية، ألمانية تسلم، تتألق في بلدها تألقاً، تأتي إلى الشرق تجد ليس معقولاً هؤلاء المسلمات يا شيخنا؟ لذلك أنا أقول: لو جاؤوا إلى الشرق قبل أن يسلموا لما أسلموا؛ لكنهم يسلمون نظرياً، يتوهمون أننا نحن في الشرق استقامة، وأخلاق، يجدون العكس؛ لا يوجد عندنا: استقامة، نحن عندنا شعائر إسلامية، عندنا شعائر صارخة فقط، أما استقامة فلا يوجد أبداً.

فيا أيها الأخ الكريم: أنت لا يهمك الناس، الناس كلهم انحرفوا لينحرفوا، أنا عليّ من نفسي، هذا الدين، كن ورعاً:

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]

كن صادقاً؛ لا تكذب أبداً، لا تبع دينك بشيء رخيص، حتى الله عز وجل ينظر إلينا بالعطف، اثنا عشر ألفاً لا يغلبون في العالم، نحن مليار ومئتا مليون قلبنا مقطوع، إذا كان هناك عمل تفجيري في مكان، والذي فعله مسلم، معنى هذا أن الضربة لنا، أصبحنا نحن مستضعفين، المليار والمئتا مليون مستضعف؛ إذا قاطعونا نموت من الجوع، إذا منعوا الطيران عنا نموت من الجوع، ما هذه الحياة؟ هذه ليست حياة عز؛ لأنه لا يوجد استقامة، الله لم ينصرنا لأننا لسنا أهلاً للنصر؛ الله لا يتعامل مع التمنيات، يتعامل مع العمل الصادق، والإنسان إذا كان مؤمناً، صادقاً، الله يعامله معاملة خاصة.

هذا الحديث من أخطر الأحاديث، ويجب على الإنسان أن يحفظه غيباً، ويضعه في ذهنه، يضعه في دفتره، يضعه في جيبته، يعلّمه لأولاده؛ الدين ليس معناه ألاّ تصلوا ـ أعوذ بالله ـ معنى ذلك أن الدين أساسه المعاملة؛ إن صحت صحت العبادة، وإلاّ العبادة لا تقدم ولا تؤخر.

النبي قال:

((بني الإسلام على خمس))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر]

الخمس غير الإسلام؛ هؤلاء أعمدة، أما هذا البناء أخلاقي، أساسه هذه العبادات.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٧-٤٤) : التقييم في الدنيا لا يفيد إلا في الدنيا .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

إليكم الفرق بين موازين القرآن في تقييم الأشخاص، وبين موازين الناس في هذا الشأن، وأيهما الأنفع للعبد في نهاية المطاف ؟

أيها الأخوة الكرام، في مجال تقييم الأشخاص؛ كل إنسان يقيَّم بين الناس بقيمة، المشكلة: أن للناس وسائل للترجيح، وأن في القرآن وسائل أخرى، فالعبرة: أن تكون عند الله كبيراً، لا عند الناس.

((رُبَّ أَشْعَثَ أغبر ذي طمرين، مَدْفُوع بالأبواب، لو أقسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

العبرة: المقياس الذي سوف توزن به، وأنت في القبر، الميزان الذي توزن به أعمالك، وأنت واقف بين يدي الله يوم القيامة، أما لك مكانة في المجتمع، بمقياس المجتمع: هذه تنفعك في الدنيا؛ ولكن لا تنفعك في الآخرة؛ الناس يعظمون أصحاب الأموال، الناس يعظمون الأقوياء، الناس يعظمون الأذكياء، الناس يعظمون أصحاب الحيل، ولكن الله يقرب المستقيم، يقرب المخلص، يقرب الطائع.

فيقول عليه الصلاة والسلام:

((ابتغوا الرفعة عند الله))

[ورد في الأثر]

أنا قد أبتغي الرفعة عند الناس، فأجمع المال الكثير يعظمونني، قد أبتغي الرفعة عند الناس، فأصل إلى منصب رفيع فيعظمونني؛ ولكن عندما أبتغي الرفعة عند الله: أبحث عن الأشياء التي تقربني من الله: (وإن الله طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً).

وطريق أن تكون قريباً من الله؛ طريق مفتوح، وسالك، وقصير، وسهل، ومتاح لكل الخلق، ولكن يحتاج إلى مجاهدة، أما طريق أن تكون عظيماً عند الناس، تحتاج إلى جهد كبير؛ ولكن تنتفع به في الدنيا فقط، يأتي الموت ينهي كل شيء، هذه الفكرة.

يعني: في مقاييس أرضية، في مقاييس علوية، في موازين للدنيا، في موازين للآخرة، في موازين عند الناس، في موازين عند الله؛ موازين الناس: تنفعك وأنت حي، حتى تكون دقيقاً (تنفعك وأنت حي)، لكن موازين الله عز وجل: تنفعك إلى أبد الآبدين، فالعاقل: هو الذي يسعى، ليكون له عند الله مقعد صدق، عند مليك مقتدر:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)

[سورة القمر الآية:٥٤]

(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)

[سورة القمر الآية:٥٥]

ماذا تفهم من هذين الحديثين ؟

أيها الأخوة، أما بهذه العين: قد تجد إنساناً فقيراً، موظفاً في أدنى وظيفة، في دائرة صغيرة، مهملاً، لا أحد يعرفه، لا يُذكر إطلاقاً، بالتقييم: هو عند الله كبير، وقد تجد إنساناً له شأن كبير، يعني: إذا دخل إلى مجلس، هز المجلس، ولا يزن عند الله جناح بعوضة، هذا المعنى الدقيق.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنه ليأتي الرجل العظيم –عند الناس- يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

أبداً؛ حجم المال، ونسبه العريق، منصبه الرفيع، ومكانته العالية، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقد يأتي رجل ضعيف، مستضعف، مدفوع بالأبواب، لا يُؤبَه له؛ إن حضر لم يعرف، وإن غاب لم يفتقد، ومع ذلك: له عند الله شأن كبير.

عن سهل بن سعد -رضي الله عنه-، قال:

((مَرَّ رجل على النبي -صلى الله عليه وسلم، هذا تعليم لنا-، فقال لرجل عندهُ جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال رجل من أشْرافِ النَّاس: واللهِ حَرِيٌّ؛ إن خَطَبَ أن يُنكَحَ، وإن شَفَع أن يُشفَّعَ، فسكت النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم مرَّ رجل، فقال النبي الكريم: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله! هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حَرِيٌّ؛ إن خطب أنْ لا يُنكح، وإن شَفَعَ أن لا يُشَفَّعَ، وإن قال أن لا يُسْمَعَ لقوله، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد]

إذا الأرض تسع لمليار، خذ حجم الأرض، (خذ حجمها ليس سطحها)، لو ملأناها أشخاصاً من نمرة هذا، كم شخص تسع؟.

قال:

((هذا خير من ملء الأرض من هذا))

النبي نظر إلى مقياس الله، إلى المنظوم الذي يميز الإنسان عند الله، الإنسان: يقيم عند الله بقدر نفعه للناس، وبقدر إخلاصه لهم، وبقدر طاعته؛ طاعته، ونفعه، وإخلاصه، وإنسان -الآن مثلاً-

يقول لك: العالم اخترع السلاح الجرثومي، يمكن يأخذ مكافأة على اختراعه مئات الملايين، وله شأن، أما هذا الذي اخترعه، ماذا يفعل بالناس؟ يحرقهم، يدمرهم. مقياسك عند الله: بقدر طاعتك، وإخلاصك، ونفعك للناس.

مرة شخص حدثني عن عمله، له عمل، له شأن كبير، قال لي: عملي اسمه (العمل القذر)، يعني: يمكن مكان عمله، غرفته تكلفتها عدة ملايين؛ تزيينات، وأثاث فخم، في اليوم الثاني: اضطررت أن أصلح سيارتي، في أحد أحياء دمشق النائية، وكان يوم مطير، وفي وحل، والأخ الكريم استلقى تحت السيارة، وفك علبة السرعة، وصلحها بإتقان، وأخذ أجرته المعتدلة، قلت: والله هذا عمل نظيف.

وازنت بين المكتب الفخم الذي زرته، وقال لي: أنا عملي قذر، وبين العمل الذي كله وحل، وزيت، وطين، والعمل متعب؛ لكن أتقن عمله، وأخذ أجرة معتدلة، هذا عمل نظيف.

هذه العين، ترى –مثلاً- محلاً فخماً جداً، في أرقى أسواق دمشق، وتزييناته بالملايين، تدخل النساء، يشترين، ينشأ نوع من العلاقات، نوع من الكلام الذي لا يرضي الله، نوع من التكشف بين هؤلاء النساء، الكاسيات، العاريات، وبين صاحب هذا المحل، أو الموظفين، تذهب إلى المحل في أحد أسواق دمشق المتعبة، الصناعية؛ ضجيج، ورائحة الزيت...... لكن عمل نظيف، لا يوجد ولا معصية، هذه العين؛ مسافة كبيرة جداً: بين هذا العمل، وهذا العمل الذي يرضي الله، العمل الخشن الذي لا يوجد فيه معصية، وهذا المكان الفخم لا يرضي الله.

يمكن تدخل إلى ملهى، أو إلى كزنو في بعض البلاد، يقول لك: القاعة تكلفتها ثلاثمئة مليون، أرقام فلكية، الأناقة شيء لا يوصف، بالعكس: تدخل إلى فنادق خمس نجوم؛ الأناقة، والترتيب، والأذواق، والتزيينات، والفخامة، شيء لا يوصف، لكن ماذا يجري في هذا البناء؟ الله أعلم؛ الحفلات، الخمور، الزنا، أكثر الموبقات في هذا البناء.

تدخل –مثلاً- إلى مسجد من الدرجة العاشرة؛ بناء قديم، متداع، قد لا يعجبك أثاثه، ولا بناؤه، ولا هيكله، ماذا يجري في هذا البناء؟ يجري دعوة إلى الله، يجري في هذا البناء –مثلاً- صلوات، تعليم، ذكر، يأتي الإنسان، يجتمع على الله في هذا البناء.

فأنت –دائماً- ابق مع الحقائق، الصور –أحياناً- مغرية جداً، الصور تبعدك عن الحقيقة، كن مع الحقيقة.

مرة ضربت مثلاً صارخاً: إنسان ورث من والده مبلغاً ضخماً، خمسة أخوة، الأب ترك عشرين مليون، وعنده خمسة أولاد، الأخ الأكبر قوي، وذكي، ومهيمن، أخذ العشرين كلهم له، وحرم

أخوته، واشترى بيتاً فخماً، وزينه، ورتبه، فأنت دخلت لهذا البيت، أنت تؤخذ بفخامة البيت، وأناقة البيت، وتزيينات البيت، والأخ المحروم: اشترى بيتاً في طرف المدينة؛ قبو مظلم، فيه رطوبة، هذه العين، لا يعجبك هذا البيت؛ لكن هذا البيت مغتصب، هذا البيت غير مغتصب.

فدائماً: أنت –كمؤمن-: لا تؤخذ بالمظاهر، يجب أن تأخذ بالحقائق، الذي عمله نظيف، ومستقيم، وشريف، يجب أن تعظمه، وأن تحترمه.

أحياناً أرى: من العبادة أن تكرم إنساناً مؤمناً، ولو كان فقيراً، يأتي على دراجة، لا يوجد معه ثمن مركبة؛ لكن مستقيم، صادق، وترى إنساناً بانياً تجارته على أشياء محرمة، أو على احتيال، له مظهر فخم جداً.

العبرة: موضوع الدرس اليوم......، الصور البرَّاقة الصارخة، هذه تُعمي الإنسان عن الحقيقة، دائماً: أنت انظر إلى الواقع، إلى القيم التي يقيَّم بها الإنسان عند الله عز وجل.

هذه هي مقاييس الإسلام:

حديث آخر: عن عائذ بن عمرو:

((أن أبا سفيان، أتى على سلمانَ وصهيب وبلال، –هؤلاء صحابة فقراء؛ سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، كلهم غرباء-، فقالوا: -قال هؤلاء-: مَا أَخَذَتْ سُيوفُ الله من عُنُق عَدُوِّ الله مأخذها، -مر أبو سفيان، أبو سفيان زعيم قريش، رجل له شأن كبير، الجزيرة هي أرقى مدينة؛ فيها مكة، ومكة أرقى قبيلة، فيها بنو هاشم، وقريش، وأبو سفيان زعيم مكة، فصهيب، وبلال، وسلمان....-، قالوا: مَا أَخَذَتْ سُيوفُ الله من عُنُق عَدُوِّ الله مأخذها، –سيدنا الصديق: سمع كلامهم، لم يرض أن يتجرأ هؤلاء الصغار على زعيم قريش، مع أنه غير مسلم-، فقال رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدِهم؟ -لا يليق لإنسان صغير في مقياس المجتمع: أن يتهجم على إنسان كبير جداً، ولعل سيدنا الصديق له حكمة-، فأتى النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- فأخبره، قال: يا أبا بكر! لعلَّكَ أغضبتَهم، -أغضب بلالاً.....-، لئن كنتَ أغضبتَهم، لقد أغضبتَ ربك، فأتاهم أبو بكر -مسرعاً- فقال: يا أخوتي، أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لكَ يا أخي ما أغضبتنا))

[أخرجه مسلم عن عائذ بن عمرو]

يعني: السبب: النبي اعتبر هؤلاء الصغار، المنبوذون في نظر قريش، من أطراف البلاد، ليسوا من صلب قريش، لأن قال لهم:

((أتقولون لشيخ قريش هذا؟ قال: لعلك أغضبتهم، ولئن أغضبتهم، لقد أغضبت ربك))

فرجع سيدنا الصديق، استسمح منهم، هذا مقاييس الإسلام.

نقطة مهمة قف عندها:

يعني: في نقطة أحب أن أقولها لكم، -دقيقة قليلاً-، أحياناً: أحد أسباب ضعفك استقامتك، خصمك، لا يوجد عنده شيء حرام، ممكن أن يقدم زوجته.....

أحياناً: في أشخاص إباحيين؛ حتى يصل لمركز كبير، حتى يصل لمكانة، السماح باستيراد شركة كبيرة جداً، يصبح وكيل شركة، مثلاً: يأتي بملايين مملينة، يجوز أن يقدم كل شيء؛ يقدم الخمر، يقدم النساء، يقدم......

أنا أعرف شخصاً، يعني يرشي بامرأة، يستطيع المؤمن أن يفعلها؟ المؤمن مقيد، يعني: لا أقول لك: ضعيف؛ لكن أحد أسباب ضعفه: المؤمن مقيده الشرع، ليس كل شيء يستطيع أن يفعله، الطرف الثاني: لا يوجد عنده قيد.

تجد الدول العظمى، من أين أتت بهيبتها؟ من البطش، البطش: من أين يأتي؟ من القلب القاسي، ممكن أن يبطش بشعب بأكمله، يتركه يموت من الجوع، فلها هيبة، المؤمن لا يستطيع أن يفعل هذا الشيء، لا يستطيع الإنسان أن يأتي بمكانته من البطش، أو من الظلم، أو من السحق، أو من العدوان، لا يستطيع. فالمؤمن مقيد، أما الكافر ليس مقيداً، لا يوجد عنده قيد إطلاقاً.

إذا كان صح التعبير: أحد أسباب قوة الكافر: تفلته من أي منهج، مستعد أن يفعل كل شيء، وأحد - إن صح التعبير - أحد أسباب ضعف المؤمن: أن الإيمان قيد، الإيمان يقيدك.

((الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمنا))

يعني: في قصة في ذهني، توضح المعنى: رجل وكيل شركة، فجاءت بذور من بلد عربي مجاور، تهريب لشركته، فبيعت بأسعار قليلة، فضرب سوقه، أتى ببذور رخيصة جداً (بلدية)، وطلب من الشركة الظروف، وعبأ البذور الرخيصة جداً، بظروف من الشركة، وبعثها إلى لبنان، وجاءت تهريباً، الأسعار رخيصة، الناس اشتروا، وفرحوا، زرعوا، لم يطلع شيء! يعني: سبب لحوالي ألف فلاح، خسارة موسم بكامله، تربى الفلاح، لم يعد يشتر ظرف تهريب من الخارج، هل يستطيع المؤمن أن يعمل هذه العملية؟ فيك أن تضحي بموسم مئتي فلاح، يبقى على الحديدة من أجل أن تربي؟ هذه لا يفعلها، في ألف عمل يربحك، لكن حرام، فأنت مقيد، أما الكافر لا يهمه، مستعد أن يفعل كل شيء من أجل المال، بعد ذلك: يأكلها، بعد ذلك: بضربة باطون يأكلها.

فقصدي: أحياناً: تجد عند المؤمن ضعف، أحد أسباب ضعفه: خوفه من الله.

سيدنا رسول الله: أرسل خادماً، أطال كثيراً، فغضب -لأنه بشر صلى الله عليه وسلم-، فلما جاء، كان بيده سواكاً، قال له:

((والله! لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك))

ومع ذلك: خاف من الله.

كلمني شخص، قال لي: لا أعلم كم مئة ألف إنسان، مقتولين في روسيا، أول ما الثورة....... لأنه ألقى عقب سيجارة في الطريق، إذا إنسان يقتل، لأنه ألقى عقب سيجارة، طبعاً: يصبح في هيبة كبيرة جداً، في انضباط..... لكن هذا نظام ثمنه دماء، لا يعد هذا عمل عظيم جداً، ما دام الإنسان يقتل لسبب تافه جداً، أما العبرة: أن يكون في نظام من دون قمع، يكون في نظام نابع من قناعة الناس، هذا يحتاج إلى جهد كبير، كل إنسان يستعمل العنف، قوام، تصبح له هيبة، أما العبرة: أن يكون في انصياع من دون عنف، بالقناعة.....

كيف في عهد رسول الله: يتولى سيدنا عمر القضاء، في عهد سيدنا الصديق سنتين، لم يأته ولا خصم، لم ترفع له ولا قضية، شيء يضيق الخلق، ولا واحدة، الإنسان في العمل يتحرك، يتسلى، ولا مشكلة، هذا آثار المجتمع المسلم.

في عهد سيدنا ابن عبد العزيز: يدور الإنسان أشهراً، ليجد فقيراً يقبل زكاة ماله، لا يوجد أحد يأخذ، الإسلام أغنى الناس. فلذلك: القضية هنا، قضية (مقياس عند الله).

((ابتغوا الرفعة عند الله))

[ورد في الأثر]

عند الناس: القضية سهلة؛ لكن عند الموت!! ينتهي كل شيء، أما عند الله إلى أبد الآبدين.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٨-٤٤) : صلة الرحم وأهميتها .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب زيادة الرِّزق :

١ ـ الاستقامة :

نصوص في القرآن تؤكد أسباب زيادة الرِّزق:

(وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً)

[سورة الجن الآية:١٦]

فالاستقامة أحد أسباب زيادة الرزق.

آية ثانية:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)

[سورة الأعراف الآية:٩٦]

حديث يؤدي المعنى نفسه: قد يُحرم المرء بعض الرزق بالمعصية؛ فبالاستقامة يزداد الرزق، وبالمعصية يقل الرزق:

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)

[سورة طه الآية:١٣٢]

بيت تقام فيه الصلاة يزداد رزقه؛ محل تجاري، معمل تؤدَّى فيه الصلاة، أي يسمح رب العمل للموظفين أن يذهبوا للصلاة؛ أنا زرت معملاً الأوقات الخمس يؤذن المؤذن، وفي المعمل مسجد، يتجه كل العمال إلى المسجد ليصلوا:

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً)

[سورة طه الآية:١٣٢]

٢ ـ الاستغفار :

هناك عامل ثان:

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً

[سورة نوح الآية:١٠]

(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً)

[سورة نوح الآية:١١]

الاستغفار؛ إنسان أخطأ فاستغفر، الاستغفار أحد أسباب زيادة الرزق.

٣ ـ صلة الرحم :

السبب الآخر في زيادة الرزق الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري، ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَن أحب أن يَبسُط اللهُ عليه في رزْقِهِ، أو يَنْسَأ في أثره ـ أي في أجله ـ فلْيَصِلْ رحمه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

طبعاً صلة الرحم لا تعني أنك أنت زرت أختك، بل أبلغ من ذلك؛ زرتها أولاً، وتفقدت أوضاعها ثانياً، ودللتها على الله ثالثاً؛ زيارة، تفقد ومساعدة، دلالة على الله عز وجل، وهذا أكمل شيء بالصلة.

إنسان الله عز وجل نوَّر له قلبه؛ له مجلس علم، له أخوات، ولأخواته بنات، فإذا زارهم يحتاجون إلى مساعدة في الشتاء على موسم المدارس، يحتاجون إلى مساعدة اجتماعية، مساعدة في حل مشكلة مثلاً بدوائر الدولة، فقدم خدمة لأخواته البنات، أو لبنات أخواته، أو لعمته، أو خالته، أو لأية جهة لها قرابة منهم؛ أولاً: اتصل؛ هاتف، زيارة، هذا أهون شيء، لا يوجد تكلف، ثم تفقد الأوضاع؛ هناك مشكلة، هناك مرض، تريد معالجة، هناك تصوير لمرض، لا يملكون ثمن هذه الصورة الغالية؛ اسأل، افهم القصة، ابذل، ادفع، ثم دلّ على الله.

هذا أكمل صلة للرحم، هذا العمل مثلاً يقتضي أن يزداد رزقك، وأن يطول عمرك؛ بمعنى أنه يزداد عملك؛ فهذا سبب من أسباب زيادة الرزق، وهذا الشيء ملاحظ.

الإنسان يُكرم بقدر عمله الصالح ويُضيَّق عليه بقدر بخله:

الملاحظ أن أكثر الأشخاص، الذي له اهتمام بأقربائه، يقول لك: عميد أسرته، هناك كبراء في كل أسرة؛ له هيمنة إحسانية، هيمنة اجتماعية، يتفقد أحوال أسرته؛ أخَوَاته، أخوته، أولاد أخواته؛ يقدم يد المساعدة، ثم يأخذ بيد هؤلاء إلى الله؛ هذا عمل عظيم، هذا يقتضي أن يزداد رزقك، وأن يمد في أجلك.

فكل إنسان له شرف، أو له عمل، يُعطى القوة والمال الكافيين لتحقيق مراده، والحقيقة:

((أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[متفق عليه عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

((أنفق بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالا))

[رواه الطبراني عن ابن مسعود]

أنا أعرف أخَوَين؛ أخ يده طُولى في الخير، له من الأخوة سبع بنات، لا تخلو من مشكلة؛ هناك مشكلة مع زوجها، قضية مالية، معالجة طبية، مساعدة مالية، فهذا الأخ كأنه أب لهؤلاء الأخوة، له أخ ثان ليس له علاقة؛ لا يقدم أية مساعدة، ولا اهتمام، ولا يزور، الفرق بالرزق واضح جداً؛ الأول رزقه وفير، والثاني الأمور عنده شحيحة جداً.

فالإنسان يُكرم بقدر عمله الصالح، ويُضيَّق عليه بقدر بخله؛ فكلما كنت كريماً كان عطاء الله لك كثيراً.

هذه نقطة دقيقة جداً، هذه كلها قوانين، تحب أن يزداد رزقك؟ اهتم بأهلك؛ اهتم بهم صلة، اهتم بهم مساعدة، اهتم بهم دلالة على الله عز وجل.

هناك قصة نموذجية حدثت مع أحد أخواننا؛ قال لي: زرت أختي، فوجدت أن هناك مشكلة بالبيت بينها وبين زوجها، أساسها ـ القصة قديمة جداً ـ ثلاثمئة ليرة في الشهر، تطالب الزوجة زوجها بمبلغ ثابت من أجل الكسوة، والحاجات، والزوج موظف، ودخله محدود؛ فرفض، وهناك مشاحنة بين الزوجين، فقال لي: تبرعت بهذا المبلغ مني، دخلي ليس كثيراً، و لكني قلت: أحل المشكلة، قال لها: المبلغ عندي، فبقي ستة أشهر؛ كل شهر يطرق الباب، ويدفع هذا المبلغ، ثم بادرت أختي وقالت لي: أعطنا درساً يا أخي؛ وأنا لست طالب علم، لكن سررت بهذه المبادرة، و أصبحت أحضر نفسي؛ آية، حديث، قصة؛ أخته وبناتها، ثم أخته الثانية وبناتها، عنده ثلاث أخوات بنات، أصبح يعمل لقاء أسبوعياً؛ يعطي دروساً مبسطة، شرح آية، شرح حديث، سيرة، قصة، قال لي: أعانني الله وبعد فترة أكثر بنات أخواتي تحجبن، وأعانني الله عز وجل فزوجت ثلاثاً منهن لشباب مؤمنين، قال لي: لم أكن أتصور أن كل الخير جاء من هذه المساعدة الشهرية لإحدى أخواتي!

قل لي ما لا ترجو أرجى منك لما ترجو

***

بدأت بمساعدة، انتهت بهداية؛ إنسان يجد بنات أخواته كلهن محجبات، وينصعن له، والله عز وجل أكرمه، فزوجهن من شباب مؤمنين.

كل إنسان له شرف أو عمل يُعطى القوة والمال الكافيين لتحقيق مراده :

يجب على كل إنسان أن يهتم بأهله، المشكلة أن هؤلاء الأهل، هؤلاء الناس العاديون؛ أنت لهم، وغيرك لهم، أما أهلك فمن لهم غيرك؟

إذا كل إنسان اهتم بأسرته؛ ليست الضيقة، ليس أولاده فقط، الموسعة، أي أخواته البنات، أولاد أخواته، الذكور والإناث، أخواته الذكور، أولاد أخواته الذكور والإناث، اهتم بأخواله، بعماته، بأعمامه، هذه الأسرة، الذي يهتم بأقربائه في الدرجة الأوسع اهتماماً اجتماعياً، اقتصادياً، دينياً، الله عز وجل أولاً: يغنيه؛ لأن الله سوف يمده بمقومات عمله الصالح، والأمر بيد الله عز وجل.

مرة أخ من أخواننا توفي ابن عمه وهو أستاذ جامعة، توفي بمرض في الكبد، فقال لي: أول زيارة أثناء تغسيله، سأل ابنه: عليكم ديون؟ قال: والله علينا ديون، قال لي: استحيت أن أقول: كم المبلغ؟ قال لهم: دينكم عليّ، وانطلق ذهنه إلى ثلاثين، أو أربعين ألفاً، وهو يستطيع أن يدفعهم، في اليوم الثاني تفاجأ أن قيمة الديون تقدر بمئة وثلاثين ألفاً، قال لي: دفعتهم، ولهذا الشخص معمل، قال لي: على غير المألوف؛ بعنا في اليوم الثاني بيعاً غير معقول، أقسم لي بالله: أن نصيبه من الربح في يوم السبت وحده كان مئة وثلاثين ألفاً، بقدر ما دفع لأولاد ابن عمه اليتامى:

((أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[متفق عليه عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

إذا كان لك اهتمام بأقاربك؛ تحب أن يكون لك فضل علمي، وديني، واقتصادي، الله عز وجل يمدك بالمال الكافي لتحقيق هدفك، فالإنسان لا يبخل، ولا يغير عوائد عوَّد الناس عليها.

وهناك حديث دقيق:

((مَن أحب أن يَبسُطَ اللهُ عليه في رزْقِهِ، أو يَنْسَأَ في أثره؛ فَلْيَصِلْ رحمه))

[رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

وله رواية ثانية:

((من سرَّه أن يَبسُطَ اللهُ عليه في رزْقِهِ، أو يَنْسَأَ في أثره؛ فَلْيَصِلْ رحمه))

[رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

لا يدخل الجنة قاطع رحم :

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال :

((يا رسولَ الله! إن لي قرابة أصلِهُم ويقطعونني، وأحْسِن إليهم ويُسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم، ويجهلون عليَّ؟))

توجد حالات يقال: الأقارب عقارب؛ هو يعمل واجباته؛ في الأعياد، في المناسبات، هم يترفعون، يزورهم يقطعوه، يمدحهم يذموه، يحسن إليهم يسيئون إليه، هناك حسد أحياناً إذا كان إنسان في بحبوحة، أو في مكانة عالية، الطرف الثاني أحياناً يحسد، بدلاً من أن يعتز بك و يعتبر التفوق له، لا؛ يحسدك، يحاول أن ينتقص منك، يطعن، يشوه سمعتك، فالحسد واضح:

((يا رسولَ الله! إن لي قرابة أصلِهُم ويقطعونني، وأحْسِن إليهم ويُسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم، ويجهلون عليَّ؟ قال: لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ ـ الملّ: صفوة حارة، أي انطفأ الجمر، بقيت الصفوة الحارة، شيء صعب جداً، إنسان يأكل صفوة حارة!ـ قال: فكأنما تُسِفُّهُم الملَّ، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يدخل الجنة قاطع رحم))

[أخرجه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم]

قاطع الرحم لا يدخل الجنة، ولا تعرف أنت كم هي السعادة التي تغمر المرأة حينما يزورها أخوها؟ هناك أخوات كثر في قطيعة؛ أخوها دعاها، أخوها زارها، تعتز أمام أولادها، وزوجها، أما عندما الأهل يقاطعون ابنتهم؛ تصبح مقطوعة، يضعف مركزها أمام زوجها، فأنت تدعمها عندما تزورها، وتدعوها، أنت تجلبها إليك، وتشعر أولادها وزوجها أنها غالية عليك، هذا الشيء يثبت أنه يوجد من يهتم بها.

أما عندما تجد الفتاة مقطوعة، لا أحد يهتم بها، أحياناً الزوج يسيء إليها، يقول لك: ليس لها أحد، لا أحد يهتم بها إطلاقاً، أما في المناسبات أخوتها عندها دائماً؛ هناك زيارات، واهتمام، وهذا يقوي مركزها.

الإنسان الذي يقطع رحمه محروم من الجنة إلا في حالات نادرة هي :

لذلك الإنسان الذي يقطع رحمه محروم من الجنة، إلا في حالات نادرة:

إذا الإنسان زار أقرباءه المتفلتين، والمتفلتات؛ وتشوَّه دينه، واضطربت علاقته مع الله؛ لأنه يوجد تفلت، وبنات خالته، وبنات عمته، يقتحمن عليه، يردن محاكاته، ويضحكن على دينه، إذا كان هذا المستوى، قال: دع خيراً عليه الشر يربو، ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

والصلة أحياناً تتم بالهاتف، إذا كان الدخول لهذا البيت؛ فيه مشكلة، و تفلت، و استهزاء بالدين، و تطاول، يوجد أقرباء هكذا إذا كان عندهم قريب صاحب دين، أصبح شيخاً؛ جاء الشيخ، وصار الشيخ، وهم يسخرون، إذا كان الوضع هكذا فلست مكلفاً بهذه الصلة؛ ويمكن أن تتم صلة الرحم باتصال بالهاتف لخالتك، أو لعمتك.

على كلّ: الأصل ألا تجرك هذه الصلة إلى معصية، ألا تبنى على هذه الصلة معصية.

من قُطعت رحمه فوصلها دخل الجنة :

هناك نقطة مهمة يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ مَنْ إذا قطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هذا نظام اجتماعي؛ أختي زارتني أزورها، لم تزرني لا أزورها، هناك دقة بالغة، انتبهت إلي، أنتبه إليها، هذا عند الله ليس له قيمة إطلاقاً، هذا المكافئ، أي دعتني أدعوها، لم تدعني لا أدعوها؛ هذا إنسان غير إسلامي، قال:

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ مَنْ إذا قطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

لو قاطعت، لو أهملت، إذا قطعت رحمه وصلها، أي أنا دعوة بدعوة، وزيارة بزيارة، هؤلاء النسوة، عندي زيارة لها، لا أزورها ليس لها عندي زيارة؛ ليست قضية إحسان، قضية معاملة بالمثل، ليس لك فضل إطلاقاً.

قال:

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ مَنْ إذا قطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أقرباء الإنسان طريقه إلى الجنة :

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الرَّحِمُ مُعلَّقة بالعرش، تقولُ: من وَصَلَني وَصَلَهُ اللهُ ومن قطعني قطعَهُ اللهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة]

وكل شخص يستطيع أن يصل إلى الجنة بأقربائه، إذا كنت لا تريد أن توسع أمورك، ضمن أقربائك أولاً: أولادك وبناتك، ثم أمك وأبوك، ثم أعمامك، وخالاتك، وأخوالك، وعماتك.

أقرباؤك طريقك إلى الجنة؛ بزيارتهم، بتفقد أحوالهم، بمساعدتهم، بهدايتهم إلى الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (١٩-٤٤) : أدعية ما قبل النوم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمة و العدل سبب التفاف الناس حول النبي صلى الله عليه و سلم :

أيها الأخوة الكرام:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال:

((ألا أحَدثُكَ عني، وعن فاطمة ـ بِنْتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت من أحَبِّ أهْلِهِ إليه، كانت فاطمة من أحب أهل النبي إليه ـ وكانت عندي؟ قلت: بَلَى. قال: إنها جَرَّت بالرَّحى حتى أثَّرَتْ في يدها ـ الرحى الطاحون ـ، واستَقَتْ بالقِربة حتى أثَّرت في نَحرها، وكنَسَتِ البَيْتَ حتى اغْبرَّتْ ثِيابُها، فأتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم خَدَمٌ ـ أتاه خدم ـ فقلتُ: لو أتيتِ أباكِ فسألتيهِ خادماً؟ فأتتهُ فوَجَدَت عنده حُدَّاثاً، فرجعتْ ـ استحيت ـ، فأتاها من الغدِ، فقال: ما كانت حاجتُكِ؟ ـ أي جاءت أباها؛ لتسأله خادماً، رأت عنده خداماً فاستحت، فرجعت ـ قال: ما كانت حاجتُكِ؟ فسكتت، فقلتُ: أنَا أحَدِّثُكَ يا رسولَ الله: جَرت بالرَّحى حتى أثَّرَتْ في يَدِها، وحَمَلَت بالقِربة حتى أثَّرتْ في نَحرها، فلمَّا أن جاءَ الخَدمُ، أمرتُها أن تأتِيَكَ، فتَستَخْدِمَكَ خادماً، يَقيها حَرَّ ما هي فيهِ، قال: اتَّقي الله يا فاطمةُ، وأدِّي فريضة ربِّكِ، واعملي عَمَلَ أهلِكِ، وإذا أخَذْتِ مَضجعكِ: فسَبِّحي ثلاثاً وثلاثين، واحمَدي ثلاثاً وثلاثين، وكَبِّري أربعاً وثلاثين، فتلك مئة، فهي خَيرٌ لَكِ من خادم، قلتُ: رَضِيتُ عن الله وعن رسوله))

[أخرجه البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب]

الحقيقة في هذه القصة ملمح عظيم جداً: هو أن النبي صلى الله عليه وسلم زعيم هذه الأمة، ونبي هذه الأمة، وهو يقع في قمة هذا المجتمع الإسلامي، والأمر كله بيده، والأموال كلها بيده، وأي إنسان آخر يعطي ابنته عشرات الخدَّام.

هذا الحديث: له روايات عديدة، من بعض رواياته:

((قال لها: والله يا فاطمة، لا أؤثرك على فقراء المسلمين))

وهناك رواية أخرى:

((يا فاطمة! لا أؤثرك على أهل الصُّفَّة؛ إنهم يتضورون جوعاً، هم أولى بالمال منك))

هناك عدة روايات.

هل من الممكن إنسان يعد كل المجتمع الإسلامي أسرة واحدة، وأن هناك من يتلوى جوعاً، وأن فاطمة واحدة من هؤلاء، ولم يسمح لها بخادم، وفي الناس من هو جائع.

لذلك: الإنسان عندما يتصور التفاف الناس حول رسول الله، ما سببه؟ الرحمة التي في قلبه لكل الخلق، التفاف الناس حول رسول الله، ما سببه؟ العدل الذي كان دينه: "يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسُّمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك".

قانون الالتفاف و الانفضاض :

هناك قانون مستنبط من هذه الآية:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

[سورة آل عمران الآية:١٥٩]

يوجد في هذه الآية إيجاز عجيب، أي بسبب رحمة ـ يا محمد ـ استقرت في قلبك لنت لهم، فلما لنت لهم أحبوك؛ معنى هذا اتصال، رحمة، لين، التفاف، بالمقابل:

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ)

[سورة آل عمران الآية:١٥٩]

لو لم تكن متصلاً لما استقرت هذه الرحمة في قلبك؛ فكنت فظاً، غليظ القلب، فانفضوا من حولك. هذه الآية يتوهم الإنسان أنها للنبي؛ هذا قانون في أي مجتمع،الأب، الأم، المعلم، في أي منصب، في أي دور اجتماعي؛ اتصال، رحمة، مع الرحمة لين، مع اللين التفاف، أو انقطاع، قسوة، مع الانقطاع فظاظة، مع الفظاظة انفضاض.

فالنبي عليه الصلاة والسلام بهذه المبادئ التي طبقها على نفسه التف الناس حوله.

من علامة نجاعة الإسلام أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً :

الشيء الذي يلفت النظر أن الصحابة الكرام عاشوا في عصر لا توجد الوسائل التي نحن نعيشها، ومع ذلك الإسلام انتشر انتشاراً مذهلاً؛ دخل الناس في دين الله أفواجاً بهذه المبادئ التي جاء بها الإسلام، وحينما أصبح الإسلام عبادات شعائرية؛ صار الإسلام تقاليد، عادات، هناك مظاهر صارخة لكن لا يوجد حب، لا يوجد تطبيق، لا أحد يدخل في دين الله.

لو فرضنا في بلد هناك المسلم، وغير المسلم؛ لو كان المسلم مسلماً حقيقياً لأسلم غير المسلم؛ أسلم تعظيماً لهذا الدين، لهذه القيم، أما عندما يقصر المسلم في علاقته مع الله عز وجل، ستكون علاقته بالناس سيئة؛ لو كان يصلي، وله مظاهر صارخة، هذا لا يدعو الناس إلى أن يسلموا.

من علامة نجاعة الإسلام أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً، ومن علامة ضعف المسلمين أن يخرج الناس من دين الله أفواجاً.

كل يوم جزء من الإنسان فإذا انقضى اليوم انقضى بضع منه :

طبعاً هذا الحديث يُضَمُّ له حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا أتيتَ مَضْجعكَ))

أردت أن تنام، والنوم موت، الإنسان عندما ينام فقد الاختيار، نفسه استردها الله عز وجل:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)

[سورة الزمر الآية:٤٢]

فالنوم وفاة صغرى، والموت وفاة كبرى:

((....إذا أتيتَ مَضْجعكَ، فتوضَّأ وُضُوءك للصلاة، ثم اضْطَجِعْ على شِقِّك الأيْمن، وقل: اللَّهمَّ أسْلَمْتُ نَفْسي إليك، ووجَّهْتُ وجهي إليك، وفوَّضْتُ أمْري إليك، وألجَأتُ ظهْري إليك، رَغْبة ورَهْبة إليك، لا مَلْجأ، ولا مَنْجَا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ، فإنكَ إنْ مُتَّ في ليلتك: مُتَّ على الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخرَ ما تقول، قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت))

[البخاري عن البراء بن عازب]

هكذا صححها له النبي عليه الصلاة والسلام.

معنى ذلك أن الإنسان كل يوم قبل أن ينام عليه أن ينام على إيمان، وأن ينام على طهارة فلعله لا يستيقظ، وكل إنسان يتوقع نفسه دائماً بالمغادرة، يكون مهيئاً نفسه؛ لأن قضية المغادرة قضية خطيرة جداً، فالأبد مبني على الأيام المعدودة التي نحياها؛ أنت تعيش في أيام محدودة، وكل يوم جزء من الإنسان إذا انقضى اليوم انقضى بضع منه: "ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا بن آدم! أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد؛ فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة" .

مفهوم الزمن أن الإنسان بضعة أيام؛ وكلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وأن حياته الأبدية مبنية على نوع استهلاكه للوقت.

من أطاع الله عز وجل عاش في سلام مع كل من حوله :

هناك أعمال كثيرة جداً ليس لها مستقبل، إنسان بالَغ في ترفيه نفسه، هذا الرفاه ليس له مستقبل، لو مات فجأة لا ينتفع من كل هذا الرفاه الذي عاشه أبداً؛ لو بالغ بتحسين أنواع الطعام، لو بالغ بتحسين

ثيابه، لو بالغ بتزيين حياته، كل هذه المبالغات لا تنفعه يوم القيامة شيئاً، أما لو أنه عمل عملاً ينفعه بعد الموت؛ فهذا هو الفالح.

فأحد الأعمال التي يمكن أن تنتفع بها أن تنام على إيمان:

((.......أسْلَمْتُ نَفْسي إليك، ووجَّهْتُ وجهي إليك، وفوَّضْتُ أمْري إليك، وألجَأْتُ ظهْري إليك، رَغْبة ورَهْبة إليك، لا مَلْجأ، ولا مَنْجَا منك إلا إليك))

و هذا الشيء يكون مع الله عز وجل؛ تتقي غضبه برضاه، وتفر منه إليه، وتفر من أسماء الجلال إلى أسماء الجمال، الله له أسماء جلال؛ الله منتقم، جبار:

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

[سورة البروج الآية:١٢]

والله عز وجل رحيم، ولطيف، فإذا فررت من أسماء جلاله إلى أسماء جماله، أي إذا أطعته انطبقت عليك أسماء جماله، فإن عصيته انطبقت عليك أسماء جلاله؛ هناك مصائب، وحوادث، وأمراض، و مشكلات، وقهر، و إذلال، هناك مصائب الإنسان قد لا يحتملها، أما حينما ينحرف انحرافاً شديداً، يُحمّل نفسه ما لا يطيق.

لذلك: الله سلام، من أسمائه: السلام، أي حينما تطيعه تكون في سلام مع كل من حولك؛ أصبحت محسناً، ومنصفاً، ليس لك عدو؛ والعادل ليس له عدو، والمحسن ليس له عدو، أما حينما تبتعد عن منهجه، سوف يبنى على سلوكك عدوان، والعدوان فيه ضحية، والضحية يصبح عدواً.

جوهر الدين أن يتعامل الإنسان مع الله عز وجل بوضوح :

أيها الأخوة: قضية الإنسان أن يتعامل مع الله بوضوح هذا جوهر الدين؛ أحياناً الإنسان حتى ضمن الحلقات الدينية ينشأ نوع من الشرك الخفي، ونوع من قوة الأشخاص، الأشخاص الذين يتعامل معهم قد يؤثرهم على طاعة الله عز وجل فيقع في الشرك وهو ضمن الحلقة الدينية: " الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على جور، وأن تبغض على عدل".

عندما تحب شخصاً عنده انحراف، تحبه لأنه أعطاك، لأنه أكرمك بشيء، وتكره إنساناً نصحك؛ كراهية إنسان نصحك، ومحبة إنسان انحرف لكنه أعطاك، هاتان الحالتان المخففتان؛ فالإنسان ينجو حينما يوحد، حينما لا يرى مع الله أحداً، حينما لا يفيق إلا بالله؛ لا يعتمد إلا عليه، لا يتجه إلا إليه.

القلب السليم رأسمال المؤمن و سبب نجاته :

يقول عليه الصلاة والسلام في تتمة هذا الحديث:

((فإنك إن مت من ليلتك: مت على الفطرة، وإنْ أصبحتَ: أصَبْتَ خيراً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب]

أي لم يبق إلا شيء واحد؛ الإنسان يتابع نفسه، ويتعهد قلبه؛ لأنه:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ)

[سورة الشعراء الآية:٨٨]

(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

[سورة الشعراء الآية:٨٩]

القلب السليم رأسمال المؤمن، والقلب السليم هو سبب النجاة، وأكبر شيء تقدمه لله عز وجل القلب الذي هو منظر الرب:

((عبدي طهرت منظر العبد سنين أفلا طهرت منظري ساعة؟))

[ورد في الأثر]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٠-٤٤) : الإنفاق والزكاة والصدقات وأهميتها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المنفق و الممسك :

أيها الأخوة الكرام: يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَا مِنْ يوم يُصبحُ فيه العبادُ؛ إلا مَلَكانِ يَنْزِلان، يقول أحدُهما: اللهم أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

الذي أمسك يتلف الله ماله، والذي أنفق يخلف الله عليه، ينفق ويخلف الله عليه؛ يكسَب الأجر عند الله، ويُضاعف ماله، والممسك يتلف ماله، ويُحرم الأجر.

أحياناً تكون هذه بتلك؛ أنه أنفق ماله لكنه كسب الأجر، ذهب المال، وبقي الأجر، والذي أمسك ماله خسر الأجر، أما النتائج فمضاعفة؛ الذي أنفق ماله أخلف الله عليه، وكسب الأجر، والذي أمسك ضاع ماله، وكسب الوزر.

أحياناً تجد سلوكاً له نتيجة واحدة؛ أنفق، خسر المال، بقي الأجر؛ أمسك، بقي المال، خسر الأجر؛ أنفق، أخلف الله عليه، وبقي الأجر؛ أمسك، أتلف الله ماله، وعليه الوزر؛ النتائج مركزة، ومضاعفة.

من ضيّق على الناس ضيّق الله عليه و من أعطى أغناه الله :

هناك قصص كثيرة جداً: أخ دفع لأهل المتوفى دينهم المقدر بمئة وثلاثين ألفاً، أقسم بالله دفعهم يوم الخميس، يوم السبت قال لي: بعت في المعمل بيعاً، نصيبي من الربح الصافي كان مئة وثلاثين ألفاً.

الحديث نفسه:

((يقول أحدُهما: اللهم أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

أي خسرت الأجر، وتحملت وزر الشح، وذهب المال؛ أنفقت المال، عوضه الله عليك أضعافاً مضاعفة، وكسبت الأجر.

الشيء مغري، الإنفاق مغري، والإمساك مزري؛ الإنفاق نتائجه كثيرة جداً، والأحاديث كثيرة جداً:

((أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا))

[الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

في الحديث الصحيح:

((ابن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[البخاري عن أبي هريرة]

وهذا الشيء الملاحظ، المنفق الله عز وجل يجعله في بحبوحة، وكأن له استثناء، والممسك في ضائقة.

يوجد بيت عربي قديم، فيه ليمونة تحمل أربعمئة أو خمسمئة حبة؛ فيه امرأة متقدمة في السن، صالحة جداً، من يدق الباب يريد ليمونة تعطيه، أي من ثلاثين سنة الليمونة تحمل أربعمئة أو خمسمئة حبة، توفيت المرأة المسنة، عندها كنة صغيرة لم تفهم شيئاً، عندما طرق الباب عليها بعد وفاة العجوز قالت للطارق: لا يوجد عندنا ليمون، طردتهم، فيبست الليمونة وماتت.

تجد شخصاً يحب الخير فالله يعطيه على قدر حبه للخير، وشخصاً آخر، يدقق جداً فالله يضيق عليه؛ قنن فالله قنن عليه.

الإنفاق يقابله العطاء لأن الله عز وجل أكرم من الإنسان :

هذا الحديث:

((اللهم أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

قال لي أخ مرة: له أخت فقيرة جداً، طلبت خمسة آلاف، هو تاجر، لكنه في أول تجارته، ولا يوجد بحبوحة، قال لي: والله! لا يوجد معي غيرهم؛ معه خمسة آلاف في جيبته، لا يوجد معه غيرهم، أخته طلبت منه خمسة آلاف، قال لي: دخلت في صراع مع نفسي؛ ليس في حوزتي غيرهم، غلب عليه حبه للخير، ودفعهم لأخته، له محل في البذورية، قال لي: دخلنا إلى المحل، جاء شخص سعودي، قال له: هل يوجد عندك قمر الدين؟ قال له: لا والله، قال له: أين يوجد قمر الدين؟ دله على المعمل، فاشترى منه كميات كبيرة، قال لي: بعث لي في المساء عشرة آلاف، قال لي: لم أبع، ولم أشتر، لكن دللته على المعمل؛ يبدو أنه أخذ كميات كبيرة، أحب أن يعرف خاطره بعشرة آلاف، قال لي: دفعت خمسة صباحاً، جاءني عشرة آلاف مساءً.

يوجد من القصص آلاف، ملايين؛ كل إنسان ينفق، يقول الله عز وجل له: أنت ارتقيت عندي بإنفاقك، لكن أنا سوف أعوضهم عليك؛ كل شيء أنفقته على حساب الله عز وجل، ليس على حسابك، إذا أراد الله إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك.

أعرف قريباً لي يده معطاءة جداً، عنده سبع أخوات بنات، كلهن متزوجات، وأزواجهن وسط؛ هذه ولدت يعطيها عشرة آلاف، هذه مرضت يعالجها على حسابه، هذه في المستشفى يعالجها على حسابه، لا يوجد غيره، هو الملاذ لكل الأسرة، سبحان الله! له أخوان اثنان، الأخوان الاثنان دخلهم ضيق جداً، أما هو ففي بحبوحة.

الإنفاق يقابله العطاء؛ الله أكرم منك، بقدر ما تريد أن تكون كريماً، لكن الله كريم، يعطيك.

((ابن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[البخاري عن أبي هريرة]

((أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

[الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

رجل له محل لكنه كريم جداً، إذا جاءه ضيوف لا يقصر، مرة أقسم بالله قال لي: أنا أعرف إتيان الضيوف من الغلة؛ تتضاعف الغلة، معنى هذا أنه سيأتيه ضيوف، هو صادق، قال لي: أبيع في اليوم أعطاني رقماً، أجد الرقم فجأة تضاعف؛ معنى هذا أنه سيأتيني ضيف، يأتي الضيف أكرمه؛ الإنسان صالح، أعماله صالحة على حساب الله عز وجل، ليس على حسابه، لكن له الأجر، وعلى الله التعويض.

آيتان في القرآن الكريم متعلقتان بالإنفاق :

يوجد في القرآن آيتان ـ سبحان الله ـ أو نموذجان من الآيات متعلقة بالإنفاق:

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)

[سورة سبأ الآية:٣٩]

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ)

[سورة البقرة الآية:١٩٧]

لكن أنت هدفك هاتين النقطتين؛ إذا أنفقت لا داعي: إلى رخامة، لا داعي أن تعلق اسمك على المآذن؛ هذا أنشأ مئذنة، لا يوجد حاجة:

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ)

[سورة البقرة الآية:١٩٧]

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)

[سورة سبأ الآية:٣٩]

إذاً: الله يعلم، ويخلف، أنت يهمك هاتين النقطتين بكل الإنفاق؛ أنا يا رب هذا الشيء لوجهك الكريم، لم يأخذ وصلاً، أنا أعرف من دفع؟ لم يأخذ وصلاً، لكن الله يعرف من دفع، يعلمه، وسيعوض عليك أضعافاً مضاعفة، فإن الله يخلفه، هذه واحدة.

التناقض بين الطبع و التكليف ثمن الجنة :

لكن الطبع بحب المال، الطبع بكنز المال، الطبع بأخذ المال، الطبع بتنمية الثروات، التكليف بالإنفاق، هناك تناقض؛ هذا التناقض ثمن الجنة؛ لو كان الإنسان لا تحب المال الإنفاق ليس له قيمة، لو لم ترغب بكنز المال الإنفاق ليس له قيمة.

لكن الإنسان يحب المال الكثير؛ يفتح الصندوق، يجد طبقات طبقات، من كل أنواع العملات، يضعهم في مكان؛ حتى لا يراهم أحد احتياطاً، يقول لك: كنز المال طبع، أما الإنفاق فتكليف، فإذا غلب عليك الإنفاق، معنى ذلك أنت عكست طبعك؛ وبالمعاكسة ارتقيت.

مرة أخ خرج من الجامع، قال لي: معي ثلاثمئة ليرة، طلب منا دفع مبلغ لجمعية خيرية؛ لا أريد أن أدفع، لا يوجد معي غيرهم، ف جاءني خاطر فبكيت أن هل قطعنا عنك الأموال؟ فوضعهم كلهم.

فالشخص إذا عامل الله عز وجل يرى العجب العجاب، يرى شيئاً في التعويض لا يصدق، وأحياناً: يدفع بالمليون مئة ليرة؛ ليس مشكلة، لا يشعر بشيء، في ظروف صعبة؛ معك مبلغ، بقدر ما طلب منك أدفع أم لا؟ هنا المشكلة.

تقنين الله عز وجل تقنين تأديب لا تقنين عجز :

وفي حديث آخر: يقول الله عز وجل:

((ابن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))

[البخاري عن أبي هريرة]

وقال:

((يَدُ الله: مَلأى، لا يَغِيضُها نفقة، سَحَّاءُ الليلَ والنهار ـ سحَّاء: أي: دائمة العطاء، الليل والنهار أي طوال الليل والنهار ـ وقال: أرأيتم ما أنفق مُنْذُ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يَغِضْ ما في يده، وكان عرشُهُ على الماء، وبيده الميزان يَخْفِضُ، ويَرفَعُ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

ولا يليق بالله عز وجل أن يقنن إلا تقنين تأديب؛ لأنه:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُه)

[سورة الحجر الآية:٢١]

هؤلاء الأجانب يخوفوننا دائماً؛ هناك حرب الغذاء، نقص المواد الغذائية، أي الله لم يعد عنده غذاء، سوف تأتي حروب أساسها الغذاء، أول شيء: يخوفوننا بالنفط، حرب النفط، الآن: حرب المياه؛ المياه محدودة، واستهلاك الفرد لا يكفي، لذلك هناك قطع للمياه، والحقيقة صار هناك تقنين مياه في

الأردن؛ لا يوجد مياه أبداً، فاستوردوا مياهاً من إسرائيل، باعتبار أن هناك اتفاقية بينهم؛ صارت إسرائيل تعطيهم مياه المجاري، نصف الناس في المستشفيات، سقوهم مياه المجاري؛ أنتم لم تحددوا لنا أي نوع من المياه؟ نحن لا يوجد عندنا مياه للشرب! شيء بديهي، فالتقنين الإلهي تقنين تأديب، علبة بقين صار سعرها في الأردن مئة ليرة.

أنت لا تعرف أنه يوجد عندك حنفية ماء في البيت؛ هذه نعمة من نعم الله العظمى، أنت لا تعرف قيمتها، ماء نظيف، بارد، جاهز، بدون دفع.

نحن في الحج بيت فخم جداً بالعزيزية، لقيت في مدخل البيت ماء كله بعوض، وكله حشيش، هذا ماء البناية؛ ينضخ للأعلى، ومن الأعلى يأتي إلى الحنفيات؛ هذا للغسيل فقط، نريد أن نشرب؛ كل علبة بثلاث ليرات تشربها شربة وحدة؛ والدنيا حارة، وعطش.

هناك طريقة ثانية: قيل: هناك ماء مثل الكازيات؛ تأخذ معك شيئاً لتعبئ به الماء، تحتاج إلى سيارة لكي تأخذ الماء؛ وازنت بين وضع دمشق بالماء، وبين وضع هذه البلاد الأخرى بالماء؛ الماء كالخبز يشترى، وبأسعار غالية جداً، فربنا عز وجل يقنن تقنين تأديب، لكن ليس تقنين عجز.

الله عز وجل ما من شيء إلا عنده خزائنه :

الحج الماضي كنت في المدينة، اشتريت جريدة، هناك خبر لفت نظري: اكتشفوا بمراصد عملاقة بأوروبا تعمل بالأشعة تحت الحمراء سحابة، أو سحابة من عدة سحب؛ هذه السحابة يمكن أن تملأ محيطات الأرض ستين مرة بأربع وعشرين ساعة ماء عذباً؛ سحابة واحدة يمكن أن تملأ محيطات الأرض ستين مرة بأربع وعشرين ساعة، أي فيها ماء يعادل ستين حجم مياه البحار في العالم، وممكن أن تفرغ محتواها بأربع وعشرين ساعة، فالله عز وجل:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ)

[سورة الحجر الآية:٢١]

فإذا الله قنن فتقنينه تقنين تأديب، إذا قنن عليك بالدخل؛ أخي لا يوجد مال، لا يوجد معنا ثمن الأكل، لا يوجد معنا ثمن اللباس، تقنين تأديب.

(اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)

[سورة الروم الآية:٣٧]

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ)

[سورة الشورى الآية:٢٧]

عفة الفقراء أجمل من إنفاق الأغنياء :

((يا بنَ آدم، إنَّكَ إن تَبْذُلَ الفضلَ خير لك، وإن تُمْسِكَهُ شرّ لك، ولا تُلامُ على كَفاف، وابدأ بمن تَعُولُ، واليدُ العليا خير من اليد السُّفْلى))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي أمامة الباهلي]

والإنسان إذا كان يملك مصروف أولاده؛ موظف، له دخل، محدود المعاش، مصروف بيته، وأولاده، المصروف الأساسي ليس الثانوي، فإذا لم ينفق لا يلام؛ لأن أولاده في رقبته، وأولاده في الدرجة الأولى، وابدأ بمن تعول، أما معه زيادة؛ متى يأتي اللوم؟ إذا كان هناك زيادة عن حاجتك، الزيادة إن لم تنفقها، فأنت ملام ولا تُلامُ على كَفاف.

((إنَّكَ إن تَبْذُلَ الفضلَ خير لك، وإن تُمْسِكَهُ شرّ لك، ولا تُلامُ على كَفاف، وابدأ بمن تَعُولُ، واليدُ العليا خير من اليد السُّفْلى))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي أمامة الباهلي]

يقال: ما أجمل إنفاق الأغنياء ـ غني ينفق ـ والأجمل منه عفة الفقراء.

كنت مرة في الحج هناك إنسان خدمني، أعرفه فقيراً جداً، قدمت له مبلغاً معقولاً على أنه هدية؛ لم أترك طريقة، لم أترك أسلوباً، ترجيته، قال لي: شكراً، لست بحاجة، بقيت شهراً، ما هذا الإنسان؟ ما هذه العفة؟ هو بأشد الحاجة، هو حضر لي عدداً من الدروس فشعر بسرور.

فأجمل من سخاء الأغنياء عفة الفقراء.

هناك حديث عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

((لا تُوكي فيوكى عليكِ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر]

أي تربطين رأس الكيس؛ أنت ربطت الكيس أي شنقته، الآن: فيوكى عليه:

((لا تُوكي فيوكى عليك))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر]

فالإنسان عندما يضيق على الناس يضيق الله عليه، والمعنى واضح جداً.

الأغنياء بإمكانهم أن يصلوا إلى أعلى مرتبة في الجنة بمالهم لأن المال قوام الحياة :

آخر حديث:

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فهو يَقْضِي بها، ويُعَلِّمُها ـ أي عند الله يوجد اثنان متوفقان جداً؛ الذي يعلم العلم، والذي ينفق ماله ـ ورجلٌ آتَاهُ اللَّهُ مالاً فَسلَّطَهُ على هَلَكَتهِ في الحقَّ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

ولعلهما في الأجر سواء؛ فالأغنياء بإمكانهم أن يصلوا إلى أعلى مرتبة في الجنة وهم لا يتكلمون، المال قوام الحياة؛ لأن الأغنياء بإمكانهم أن يصلوا إلى أعلى مرتبة في الجنة؛ ولم يقرأ، ولم يعلم، وهو مشغول دائماً، لكن لأنه أنفق ماله، لأن المال شقيق الروح، والمال قوام الحياة.

لكن أنا أعجب من إنسان يمكن أن يحل بماله مئة مشكلة و لكنه ينفق ماله على عرس في ليلة واحدة، للمظاهر فقط! تحل مشكلة مئة شاب، تزوج مئة شاب، بنفقات عرس واحد؛ كيف ينفق أمواله الطائلة على المظاهر، وبإمكانه بهذا المال أن يصل إلى أعلى درجات الجنان!؟ لكن هناك في جهل.

فالنبي عليه الصلاة و السلام لو أنه له مثل أحد ذهباً لم يمض عليه يوم؛ إلا أنفقه في سبيل الله. لكن الأغنياء متاح لهم أن ينافسوا فيه أكبر العلماء بإنفاق المال.

هذا الذي درس؛ مات بالعلم، مات موتاً حتى استطاع أن ينقل الحقيقة للناس، يأتي شخص غني؛ معه مال حلال، يوظفه بالحق، لا أقول يسبقه، لكن يصبح مثله.

هكذا الحديث:

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

إما أن تنفق من علمك، وإما أن تنفق من مالك، وإنفاق المال شيء كبير.

من ينفق يشعر بقيمته في الحياة لأنه سبب سعادة الآخرين :

كنت مرة في احتفال لتخريج طلاب القرآن الكريم، فقام الوزير السابق ـ رحمه الله ـ و ألقى كلمة، هناك فقرة دمعت عيني.

قال: أنا أشكر الطلاب؛ الذين حفظوا القرآن.

قال: أنا أشكر أولياءهم؛ الذين حرصوا على إرسالهم لهذه المعاهد.

قال: أشكر الأساتذة؛ الذين جهدوا في تعليمهم.

قال: أشكر الشيوخ؛ الذين فحصوهم.

قال: أشكر الأغنياء؛ الذين قدموا الجوائز.

فالأغنياء قدموا لكل طالب حفظ كتاب الله عمرة على حسابهم، وهناك غني قدم عشرة آلاف لكل طالب.

قال: المال شقيق الروح.

انظر إلى التكامل، طالب انتسب لمعهد، والده حرص على المعهد فأرسله إليه، أستاذه علمه، الشيخ فحصه، الغني شجعه، أسرة؛ كل واحد من زاوية.

فالمال شقيق الروح، والإنسان حينما يُنفق، يشعر بقيمته في الحياة، هو سبب سعادة الآخرين.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلى شيء في الإسلام هو الجهاد وتعليم القرآن من أعظم أنواع الجهاد :

أيها الأخوة الكرام: الإنسان مخلوق للجنة، وجيء به إلى الدنيا ليؤهل نفسه لدخول الجنة، ليدفع ثمنها في الدنيا؛ ثمنها الجهاد، والجهاد ذروة الإسلام، وهناك رواية: الجهاد ذروة سنام الإسلام.

أعلى شيء في الإسلام هو الجهاد، والجهاد أنواع ثلاث؛ جهاد النفس والهوى، والجهاد الدعوي، والجهاد القتالي، وفي نص القرآن الكريم أعظم أنواع الجهاد الجهاد الدعوي؛ لأن الجهاد القتالي وسيلة إلى الجهاد الدعوي.

فإذا أتيح لك أن تعلم، وأن ترسخ القيم، وأن تنشر المبادئ؛ فهذا الجهاد الدعوي بنص القرآن الكريم هو أعظم جهاد، لقول الله عز وجل:

(وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)

[سورة الفرقان الآية:٥٢]

جاهدهم به: أي بالقرآن؛ أي تعلُّم القرآن، وتعليمه من أعظم أنواع الجهاد؛ لأن الجهاد القتالي وسيلة لنشر الحق، فإذا أتيح لك أن تنشره، فهذا في أعلى مستوى، ولكن لن تستطيع أن تقول كلمة واحدة إذا كنت منهزماً أمام نفسك؛ لن تستطيع أن تقول كلمة واحدة أمام نفسك، فيأتي جهاد النفس والهوى كمرحلة أولى.

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)

[سورة العنكبوت الآية:٦٩]

فحينما تجاهد نفسك، وهواك، حينما تحمل نفسك على طاعة الله، حينما تجبرها أن تلتزم الأمر والنهي، الآن أنت انتصرت على نفسك.

نظام الحياة الدنيا مبني على بذل الجهد ونظام الآخرة مبني على نيل الثمرة

وكنت أدعو دائماً وأقول: "اللهم انصرنا على أنفسنا حتى نستحق أن تنصرنا على أعدائنا".

مستحيل إنسان مهزوم أمام نفسه، أمام شهواته، شهواته مسيطرة؛ هذا مستحيل أن يستطيع أن يقول كلمة، أو أن يرفع سلاحاً.

في كتاب الترغيب والترهيب، ولاسيما الكتاب الذي أدرِّس منه: إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم، هناك باب عن الجهاد، أي يجب أن نقف عنده وقفة متأنية.

الحقيقة أن الجهاد هو بذل الجهد؛ نظام الحياة الدنيا مبني على بذل الجهد، نظام الآخرة مبني على نيل الثمرة، بالآخرة:

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ)

[سورة ق الآية:٣٥]

(قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

[سورة الحاقة الآية:٢٣]

الفواكه في الآخرة:

(لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ)

[سورة الواقعة الآية:٣٣]

(سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ)

[سورة الغاشية الآية:١٣]

أي كل شيء يطيب للنفس هناك؛ لا يوجد منغص إطلاقاً، لا يوجد مرض، لا يوجد تقدم في السن، لا يوجد عقوق أولاد، لا يوجد زوجة سيئة، لا يوجد عدو متربص، لا يوجد همّ، لا يوجد حزن، كل متاعب الدنيا منفية في الآخرة:

(فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ)

[سورة التوبة الآية:٢١]

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)

[سورة آل عمران الآية:١٣٣]

و :

((أعددت لعبادي الصالحين؛ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

ليس شرطاً أن يغزو الإنسان بنفسه إذا جهَّز غازياً أو خَلَّف غازياً في أهله فقد غزا

لكن الذي لفت نظري في هذه الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني]

والنبي:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

[سورة النجم الآية:٣]

(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

[سورة النجم الآية:٤]

أحياناً أب فاته أن يكون عالماً؛ نشأ في بيئة متواضعة، وعمل في التجارة، أو في الصناعة، لكنه يستطيع أن ينشِّئ ابناً عالماً، إذا استطاع أن يربي ابناً تربية إسلامية صحيحة، أو يجعله داعية كبيراً، فكأنه صار هو الداعي.

((من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزَا، ومن خَلَّف غازياً في أهله بخير فقد غزا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني]

أي ذهب الغازي إلى الجهاد، وهو اعتنى بأهل هذا الإنسان، وهذا النص دقيق جداً.

مرة سمعت كلمة أعجبتني كثيراً: إذا لم تكن داعية تبنى داعياً؛ عندنا طلاب علم من كل حدب وصوب، كل إنسان يقدم خدمة حقيقية؛ يرعاهم، يسكنهم في بيت، ينفق عليهم، يتعلمون، ويعودون إلى بلادهم دعاة، خطباء، عاملين، فكل هذا الأجر في صحيفة من يرعاهم في بلدهم، كل هذا الأمر في صحيفة من أنفق عليهم، من أكرمهم، من أحاطهم بالرعاية.

الحديث يعمل حالة للنفس عجيبة:

((من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني]

إذا أنفقت على طالب علم، وهذا الطالب تفوق؛ فكل عمله في صحيفتك، إذا ربيت شاباً ليكون خطيباً، ليكون داعية، كل جهدك في تربيته في صحيفتك، فليس شرطاً أن يغزو الإنسان بنفسه؛ إذا جهَّز غازياً فقد غزَا، إذا خَلَّف غازياً في أهله بخير فقد غزا.

المال قوام الحياة والذي يجنيه بطريق مشروع ثم ينفقه دعماً للحق فله أجره :

وقد ورد:

((يؤجر صانع النَّبل، والملقِّن، والمنبل))

[ورد في الأثر]

أي هذا النبل الذي صنعه في سبيل نشر الحق مثلاً له أجر، والذي جهزه له أجر، والذي لقنه له أجر، لا أقصد أنا المعاني المباشرة، أقصد ما وراء النصوص، أي كل إنسان له علاقة بشكل أو بآخر بدعوة له أجرها، أحياناً يعمل دعوة بالمال.

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ علماً، ورجلٌ آتَاهُ اللَّهُ مالاً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

المال مشروعيته في الإسلام، أتمنى أن يكون المسلم غنياً؛ أن يعمل في التجارة، والصناعة، حتى يحصّل أموالاً طائلة، حتى يوظفها في الحق، والمال قوام الحياة قطعاً؛ فالذي يجنيه بطريق مشروع، بطريق صحيح، ثم ينفقه دعماً للحق، فله أجره.

أحياناً أهل الدنيا يقول لك: هذا المدرس شخص غني في لبنان، عشرون ألف طالب يأخذون الدكتوراه على حسابه، من أجل الدنيا؛ عنده مكاتب، هؤلاء الطلاب يُختارون، يذهب بهم إلى بلاد الغرب، يوزعون في الجامعات على حسابه الشخصي.

فالإنسان حينما يجمع المال بإمكانه أن يصل بالمال إلى ذروة المجد عند الله عز وجل، والذي عنده علم بإمكانه أن يصل بعلمه إلى ذروة المجد، والذي عنده قوة وسلطان؛ إذا أنصف المظلوم، وعمل على نشر الحق، أيضاً بإمكانه أن يصل إلى ذروة المجد.

فقضية الجهاد بالمعنى الواسع غير الضيق أي دعونا من الجهاد القتالي الغير متاح الآن، الجهاد الدعوي متاح بينما القتالي غير مباح.

على الإنسان أن يبذل جهداً لأن الجنة تحتاج إلى جهد :

أكبر أو أقرب شيء لكل أب أولاده؛ إذا استطاع أن يعتني بهم، أن يتابع تعليمهم الديني، يتابع تعليمهم القرآني، يتابع تعليمهم النبوي، أن يحببهم بأهل البيت، بأهل بيت النبي، بأصحابه الكرام، أن ينشئهم على الصدق، هذا أكبر جهاد، اكفنا أولادك يا أخي:

((إني مباه بكم الأمم يوم القيامة))

[أبو داود و النسائي عَنْ أبي الحَسَن الرِّضَا]

يأتي بأولاد فسقة، فجار، هكذا يريد أن يباهي بهم! يريد أن يباهي النبي بأشخاص من أعلى مستوى؛ الكم ليس له قيمة عند رسول الله، المقصود النوع.

فلذلك لو وسعنا هذا الموضوع، الإنسان ينبغي أن يبذل جهداً، والجنة تحتاج إلى جهد:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)

[سورة آل عمران الآية:١٤٢]

أبداً:

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)

[سورة آل عمران الآية:٩٢]

(أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)

[سورة العنكبوت الآية:٢]

ليست القضية صلينا ركعتين، دفعنا ليرتين، القضية أخطر من هذا بكثير؛ أنت في الحياة الدنيا، تعد نفسك لحياة أبدية، والدليل: عندما يغادر الإنسان هذه الحياة الدنيا، لا يندم إلا على شيء واحد هو العمل الصالح، عند الموت:

(رَبِّ ارْجِعُونِ)

[سورة المؤمنون الآية:٩٩]

(لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

[سورة المؤمنون الآية:١٠٠]

آداب النبي صلى الله عليه و سلم :

من آداب النبي صلى الله عليه وسلم:

((كان إذا استيقظ ـ أول ما يفتح عينيه ـ يقول: الحمد لله الذي ردّ إليّ روحي))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

والله المؤمن يعد حياته بالأيام؛ استيقظت: الحمد لله، سمح لي الله أن أعيش يوماً سعيداً، هذه فرصة لا تعوض، ينبغي أن يُستغل هذا اليوم إلى أعلى درجة بالعمل الصالح، بطلب العلم، بتعليم العلم، بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، بخدمة الخلق، بمواساة الناس، بعيادة المرضى، بمعونة الفقراء، لذلك:

((لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قرباً))

[ورد في الأثر]

فاليوم الذي لا تزداد فيه علماً، ولا تزداد فيه قرباً؛ يوم ضائع، يوم خاسر.

الآن بالمقياس البشري لو فتح شخص محلاً تجارياً، واستطاع أن يبيع في اليوم مئتي ألف، ربحه عشرون ألفاً، في اليوم الثاني باع ثلاثمئة؛ بالمقياس الديني إذا لم يزدد في هذا اليوم علماً، وقرباً من الله، هذا اليوم خسارة؛ لأن الله عز وجل يقول:

(وَالْعَصْرِ)

[سورة العصر الآية:١]

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر الآية:٢]

خسارته محققة؛ لأن مضي الزمن يستهلكه.

الخاسر من لا يعد العدة لليوم الآخر :

هناك شخص تجده أمامك ملء السمع والبصر، بثانية انتهى، كيف انتهى**!**؟ شخص يكون مؤسس عمل فرضاً بدولة نفطية، يقول لك: المحل كلفني عشرين مليون ريال فرضاً، فإن أعطوه مغادرة بلا عودة، دُمر بيته، لا يستطيع أن يرجع، وكل واحد منا عنده مغادرة بلا عودة، لم يعد له مكتب تجاري، لم يعد له منصب معين، لم يعد له بيت اشتراه.

أنا أكثر شيء يؤثر فيَّ أثناء التعزية أجد بيتاً فخماً، هذا الذي عمّره، الذي رتبه، الذي وضع الجبصين، الذي وضع الفرش الفاخر، أين هو؟ جالس في باب صغير، أين البلاط؟ أين الرخام؟ أين هذه الأشياء الرائعة؟

فهذه النقلة المفاجئة إلى القبر إذا لم يعد لها الإنسان، والله يا أخوان**!** لا أرى في الحياة كلها إنساناً أعقل ممن عمل لهذه الساعة كل يوم، هذه ساعة المغادرة لا بد منها؛ قم أيقظ أباك فيقول لك: رضي الله عليك يا بني، الأكل جاهز؛ فإذا هو ميت**!**

من حوالي سنة أحد أخواننا ينام لوحده في الغرفة، يصلي الصبح حاضراً كالعادة في الجامع، الساعة التاسعة الأكل جاهز، قام الابن ليوقظ أباه، فوجده ميتاً، لم يعرفوا متى مات؟ يا ترى صلى الصبح أم لم يصلِّ؟

زوجة مسكت يد زوجها في الليل، فقامت مذعورة، لأن جسمه بارد؛ الموت قريب جداً، أقرب إلى أحدنا من كل شيء؛ تجده بينما هو ملء السمع والبصر، فإذا هو على الجدران خبر.

معرفة الله عز وجل أول مهمة من مهمات الإنسان في الحياة الدنيا:

إذاً نحن في الحياة الدنيا المهمة الأولى أن نعرف الله، وأنا بصراحة أحب التسلسل، لا تتصور أحداً يلقي إليك أذنه إذا أنت مهزوم أمام نفسك، يجب أن تنتصر على نفسك، أهم شيء عندك الشهوات، ثم تدعو إلى الله عز وجل، لا تستطيع، لكن ألا تستطيع أن تربي ابنك لأن يكون داعية**!**؟

الحمد لله**!** فتحت ثانويات شرعية بأعداد كبيرة جداً، فلما جعلت علامات الشرعية كعلامات الصف العاشر أغلقت الثانوية؛ لأن الناس آثروا أن يكون ابنهم في العام، لا يريدون علماً شرعياً، هذا خطأ، أين الخطأ؟ الخطأ منا، لا أحد يضحي أن يكون ابنه عالماً بالشريعة؛ ينصح الناس، يريده طبيباً، هناك شعب أغلقت لأنه لا يوجد طلاب، والناس تريد أن يكون الابن طبيباً، أو محامياً، أو مهندساً، لا تريد أن يكون عالم دين:

((من خلف غازياً في أهله فقد غزا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني]

أنت تبنيت طالب علم، هناك أخوان كثر يقولون لك: أنا أريد أن أتبنى طالب علم، أريد أن أتبنى طالباً فقيراً، جاء من آخر الدنيا؛ من آسيا، من شمال روسيا، من إفريقيا، لا يملك شيئاً، فالإنسان إذا تبنى طالب علم كأنه صار داعية.

عظمة الدين إذا كنت أنت السبب كل أعمال المسبَّب في صحيفتك، من دون أن يُنقص من عمل هذا شيء، نحن متاح لنا خيرات لا يعلمها إلا الله، والناس يعيشون وقتهم؛ يأكل، ويشرب، وينام، الحياة الروتينية الرتيبة.

تكلمت كلمة البارحة في جامع الأحمدية قلت: ـ وهذه الكلمة مزعجة، لكن الحقيقة المرة خير من ألف مرة من الوهم المريح، وأنا معكم ـ يمكن أن نستيقظ كل يوم مثل البارحة دائماً! لا، لا بد من يوم فيه مشكلة، فيه شعور معين، فيه ألم معين، فيه ضيق معين، هذه المشكلة تتفاقم، ثم تعلق نعوة الإنسان، أليس هذا الذي يحدث دائماً بالعالم كله؟ لم ينجّ نبي منها، لم ينجّ ملك، لم ينجّ غني؛ نأخذ الأقوى، الغني، والقوي، حتى الأنبياء، الآية الكريمة:

(أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً)

[سورة آل عمران الآية:١٤٤]

معنى هذا أن الدنيا دار ابتلاء، وانقطاع، فمن هو العاقل؟ هو الذي يُعد نفسه الإعداد الكافي لهذه اللحظة، لحظة نزول القبر، هذا لا يمنع أن تدرس، وأن تتاجر، وأن تؤسس معملاً، وأن تعمل تجارة، وأن تأخذ شهادات عليا، وأن تتزوج، أنت تمشي على منهج، لكن النهاية واضحة، هناك ساعة مغادرة.

الاستقامة على أمر الله عز وجل تحتاج إلى جهد كبير :

أنا أردت من هذا الدرس ـ درس الجهاد ـ أن الإنسان يهيىء نفسه لبذل الجهد؛ مبدئياً الاستقامة تحتاج إلى جهد؛ فضبط اللسان ليس قضية سهلة، اللسان هذا:

((أو نؤاخذ بما نقول؟ ويحك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصاد ألسنتهم؟))

[أخرجه الترمذي عن معاذ بن جبل]

اضبط لسانك، اضبط عينك، اضبط سمعك، اضبط يدك، اضبط رجلك، الآن: اضبط بيتك، اضبط زوجتك، وبناتك، وأولادك؛ هذا الجهاد جهاد النفس والهوى.

الآن: اطلب العلم، وعلّم، النبي قال:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو]

هناك شخص أعرفه لا يستطيع أن يقول كلمة، اشترى مئة شريط؛ أقرباؤه، أولاد خالته، أولاد عمته، وجيرانه، وزملاؤه، خذ اسمع الشريط، قال لي: بعد شهرين أو ثلاثة، جاء إلى المسجد سبعة؛ هذا عمل داعية، هذا ليس عنده إمكانية أن يتكلم، فوجد شيئاً يحل محل الكلام، وزع أشرطة على أقربائه ليدعوهم إلى المسجد.

شخص سمع شريط العفو ـ خطبة ألقيتها مرة ـ لكن الخطبة كانت مؤثرة، فسمع هذا الشريط إلى أسرتين على وشك أن يأخذ بعض أفرادهما بالثأر من أسرة أخرى، في جريمة قتل، سمعوا الشريط؛ فانتهى هذا الأخذ بالثأر، فقام واشترى خمسمئة شريط، ووزعهم، القصة في حمص.

إذاً يمكن أن تنشر الحق وأنت لا يوجد عندك إمكانية أن تتكلم ولا كلمة، الآن: الأمور كلها ميسرة.

كل إنسان يندم على ساعة مرت لم يذكر الله فيها أو على عمل صالح تركه :

هناك موضوعات معالجة عميقة جداً، إن تأثرت بها أسمع الشريط للناس، والله عملت خطبة عن الدخان، يمكن أن توزع من الخطبة بضع مئات.

شخص يعرف أخاً يدخن، ابن أخ يدخن، تعال اسمع؛ الدعوة تمشي.

النبي قال:

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو]

فأنت تستطيع أن تُبلغ مئة آية، تستطيع أن تبلغ سورة بكاملها، الكهف كلها؛ عملت في الكهف خمس خطب دقيقة جداً، دروس بليغة.

فالإنسان يتحرك؛ ابدأ بأولادك، ابدأ بأولاد أخيك، بجيرانك، بأصحابك، ليس فقط أن أتلقى، أسمع، كل عمري أسمع، ونهايتها، متى تتكلم؟ كل عمري أتلقى، متى ألقي؟ كل عمري سلبي، مثل القمع، متى أنا أصب في الآخرين؟ القضية مصيرية، والقضية خطيرة، والإنسان سوف يندم، لا يوجد إنسان إلا وسوف يندم، حتى المؤمن سوف يندم على ساعة مرت لم يذكر الله فيها، سوف يندم على عمل صالح أتيح له فتركه.

يمكن للإنسان أن تكون أكبر داعية إذا تبني داعية أو أنفق على داعية :

محور الأحاديث كلها:

((من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزَا، ومن خَلَّف غازيا في أهله بخير فقد غزا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني]

تستطيع أن تكون أكبر داعية، يمكن أن تتبنى طالب علم غريب، والشيء الذي لا يصدق البلدة مباركة، أي لها سمعة في العالم الإسلامي شرقاً: الهند، باكستان، شمالاً: روسيا، وكل دول روسيا الإسلامية، وإفريقيا، يأتي الطلاب إلى الشام التي ترعى طلاب العلم رعاية حقيقية.

والله هناك أخوان كثر برمضان الماضي ـ جزاهم الله خيراً ـ: جمعوا طلاب العلم كلهم؛ من إفريقيا، ومن آسيا، ومن تركيا، عملوا لهم عشاء، وهذا له معنى كبيراً؛ أنت ضيفنا، ليس شخصاً غريباً، أنت ضيفنا، ما دمت قد قدمت من هذه البلاد البعيدة لطلب العلم؛ هناك ترحيب، واستقبال حار، واهتمام.

فأنت يمكن أن تكون أكبر داعية إذا تبنيت داعية، يمكن أن تكون أكبر داعية إذا أنفقت على داعية، يمكن أن تكون أكبر داعية إذا كنت مجاهداً، أو جاهدت نفسك، وهواك، يمكن أن تصل إلى أكبر جهاد إذا استطعت أن تتعلم القرآن، وأن تعلمه، فالأمور واضحة جداً، وما علينا إلا أن نتحرك، والموت ينتظرنا جميعاً.

العاقل من أدى الحقوق إلى أصحابها و قام بما عليه قبل أن يلقى الله عز وجل :

حتى نكون دقيقين: بعد مئة سنة، لن تجد أحداً منا في هذا المكان؛ ولا إنسان، ولا بالشام، لكنهم موزعون في الجبل، أو في باب صغير، هذا الواقع، فلنجهز أنفسنا.

كنت في العمرة، حدثني أخ عن شخص قال لي: عنده قطعة أرض شمال جدة، فلما توسعت جدة، و اقتربت من أرضه، ـ هو بدوي ـ جاء ليبيعها، قدم ثلاثة شركاء مخادعين، اشتروها بربع قيمتها، ضحكوا عليه، وعمروها بناية من اثني عشر طابقاً؛ مكتب عقاري، هم ثلاثة شركاء؛ الأول وقع من الأعلى فنزل ميتاً، الثاني دهس بالسيارة، الثالث انتبه، علم ماذا فعل شركاؤه؟ هو معهم، بحث عن البدوي أكثر من ستة أشهر حتى وجده، أعطاه الفرق، أعطاه ثلاثة أمثال حصته، فقال له البدوي: ترى لحقت حالك.

ونحن علينا أن نجهز أنفسنا؛ إذا كان هناك خطأ سابق، أو حسابات مع الناس، أو حقوق لم نؤدها، فلنجهز أنفسنا.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٢-٤٤) : الدين ورده إلى صاحبه مع عدم المماطلة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

انظر إلى علاقة الترابط بين هذين الحديثين من خلال الأمثلة :

أيها الأخوة الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتواتر:

((إنما الأعمال بالنيات))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب]

إنما: أداة قصر، يعني قيمة العمل: محصورة في نيته.

هذا الحديث أصل، يعده العلماء ثلث الدين، فنية العمل: أصل في العمل.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من أخذ أموال الناس يُريدُ أداءها: أدَّى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يُريدُ إتْلافها: أتلفه الله))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

العامل المرجح: الإرادة الداخلية، في الظاهر:

((أخذ أموال الناس يريد أداءها: أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يُريدُ إتْلافها: أتلفه الله))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

إنسان يمشي في الطريق، رأى ليرة ذهبية، انحنى وأخذها، وضعها في جيبه، صورناه صورة متحركة، إنسان آخر وجد ليرة ذهبية، انحنى وأخذها، صورناه، الصورتان متطابقتان تماماً؛ الأول: نوى أن يبحث عن صاحبها، فارتقى عند الله، الثاني: نوى أن يأخذها دون أن يبحث عن صاحبها، فسقط في المعصية، شكل العمل لا يتغير أبداً .

العامل المرجح: هو النية؛ الأول: نوى أن يبحث عن صاحبها، الثاني: نوى أن يأخذها دون أن يبحث عن صاحبها، واحد ارتقى، واحد سقط، والشكل متشابه تماماً.

إنسان ذهب إلى بلاد الغرب، وعقد عقده على امرأة، العقد شرعي، في مركز إسلامي: إيجاب وقبول، ليس على العقد أي مأخذ، لكن في نيته، حينما ينتهي دراسته أن يطلقها، ويعود إلى بلده.

عند الإمام الأوزاعي السنوات الأربع التي يقضيها معها زنا؛ لأنه في نيته هذا الزواج، ليس مؤبداً، هذا زواج مؤقت، أراد أن يستمتع بها السنوات الأربع، وبعد ذلك يطلقها، الطلاق مباح، الإنسان يتزوج، وقد يطلق بعد يوم، ولا شيء عليه، أما حينما عقد العقد، العقد على التأبيد:

((من تزوج امرأة على صداق، وفي نيته ألا يؤديه: لقي الله زانياً))

ممكن إنسان أن يتزوج، ولا يدفع المهر، لكن ليس في نيته ألا يؤديه، لقي الله زانياً، قضية النية: قضية خطيرة جداً، وقد تجد إنساناً موفقاً، غير موفق، والعامل المرجح: هو النية.

رجل يقسم بالله: رأى أرضَين على طرفي نهر، مزروعتين قمحاً، والذي زرعهما واحد، الأرض الأولى: القمح بشكل عجيب، والثانية: بشكل عجيب، الأولى: بشكل عجيب نموه، والثانية: بشكل عجيب تراجعه، فلما سأل واستقصى؛ الأول: عم له أولاد أخ أيتام، في نيته أن يمنحهم نصف محصول هذه الأرض، والثاني: رجل مالك الأرض، رجل في نيته أن يأكل أتعاب مرابعه، تجد هذه النية تظهر في كل شيء، يعني قضية النية: قضية مرجحة.

تجد محلين مثل بعضهم: الأول: الزبائن فوق بعضهم، والآخر: لا يوجد ولا زبون، وقد يكون المحل الثاني أقوى، وبضاعته أجود، وسببه: نية الأول: أن ينفق هذا المال للمسلمين، الثاني: أن ينفق هذا المال على متع رخيصة؛ لما تجد الظروف المادية متشابهة، والنتائج مختلفة، ابحث عن العامل المرجح: وهو النية.

((من أخذ أموال الناس يُريدُ أداءها: أدَّى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يُريدُ إتْلافها: أتلفه الله))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

رأس مالك الوحيد: القلب السليم:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ)

[سورة الشعراء الآية:٨٨]

(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

[سورة الشعراء الآية:٨٩]

انظر كيف يهلك الإنسان وهو لا يشعر ؟

أيها الأخوة، في حالتين من حالات التعامل مع النية؛ إنسان في البيت الحرام لم يفعل شيئاً، إلا أنه أراد:

(وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)

[سورة الحج الآية:٢٥]

ذنبه أنه أراد، لم يفعل شيئاً؛ يحاسب على إرادته لقدسية هذا البيت، وفي العلاقة بين المؤمنين:

(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ)

[سورة النور الآية:١٩]

ماذا فعل؟ لم يفعل شيئاً أبداً، لكن ارتاح أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، ارتاح لهذا، هذا أيضاً يعد ذنباً كبيراً، فالذي يتمنى أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، هذا ارتكب ذنباً كبيراً.

فأحياناً الإنسان تزل قدمه، ويتمنى شيئاً لا يرضي الله عز وجل، هذا التمني بحد ذاته معصية كبيرة.

الأحاديث التي وردت عن النبي التي تخص بشأن هذا البحث :

أيها الأخوة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((يؤتى بالرجل الميت إليه، فيسأل: أعليه دين؟ -هل ترك لدينه قضاء؟- فإن حدث: أنه ترك وفاء، صلى عليه، وإلا قال: صلوا على صاحبكم))

انظر: ترك لدينه وفاء، إنسان يتدين، لكن يوجد عنده دكان، يتدين، يوجد عنده أسهم، يتدين، يوجد عنده بيت، يتدين، يوجد عنده دين مقابل، يتدين، يوجد عنده ذهب، الإنسان لما يتدين: يجب أن يفكر ألف مرة، كيف سيفي هذا الدين؟ .

في شخص: المهم أن يحقق مصلحته، يكون دخله فرضاً خمسة آلاف في الشهر، يطلب أن يتدين مئتي ألف، طيب كيف تسدده؟ يقول لك: تدبر، كيف!؟ أعطيك في الشهر مئة ليرة، خمسمئة، طيب، قسم مئتي ألف على خمسمئة، لا تنتهي طوال عمرك.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- كان من توجيهه:

((هل ترك لدينه قضاء؟ فإن حدث أنه ترك وفاء صلى، وإلا قال: صلوا على صاحبكم؛ مرة أحد الصحابة قال: أنا علي دينه يا رسول الله! -ورد في بعض الزيادات لهذا الحديث- في اليوم الثاني: سأل الذي تكفل الدين: أديت الدين؟ قال: لا، سأل في اليوم التالي قال: لا، سأله في اليوم الثالث قال: أديته، قال عليه الصلاة والسلام: الآن ابترد جلده))

[أخرجه البزار والإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله]

فابتراد جلد الميت، الذي عليه دين؛ ليس بالتعهد، ولكن بالأداء، قال له:

((الآن ابترد جلده))

أنا أتعجب: إنسان عليه دين؛ المطالب تهلكه، بعد ذلك يمل، يتركه، مرتاح، عليه مبالغ ضخمة لم يسددها، ماطل حتى ملّ صاحب الدين، والأمر مشي هكذا، هو مرتاح، وينفق، هذا الإنسان الذي عليه دين، ولا يؤديه، هذا اسمه: مطل الغني.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

ومطل الغني: يُحلُّ أن تغتابه، يحل عرضه، إذا قلت: واحد سلعة، لا يدفع، قنَّاص، لا يوجد مانع، سمح لك النبي أن تحذر الناس منه، إنسان غني معه وفاء لهذا الدين، لكن لا يحب أن يدفع وفاء الدين.

يعني في شخص، معه ملايين مملينة، معين موظف بجامع، ينزل من مكان بعيد ليقبض الراتب؛ تعال غداً، بعد غد، والراتب ثلاثة آلاف ليرة، ومعك ملايين، نازل من مكان بعيد، راكب ساعة، يريد أن يأخذ معاشه، تعال في اليوم الثاني.

((مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

يحل عرضه، فالغني إذا كان ماطلاً في دفع ما عليه، وصاحب الحق اغتابه، لا شيء عليه. وعن وائل بن حجر -رضي الله عنه-، قال:

((جاء رجل من حَضْرَمَوْت، ورجل من كِنْدة، إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال الحَضرمي: يا رسول الله! إن هذا قد غَلَبني على أرض كانت لأبي، فقال الكِندِي: هي أرضي في يدي، أزرعها، ليس له فيها حق، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- للحضرمي: أَلَكَ بينة؟ -يعني معك دليل، معك سند، معك شاهد- قال: لا، قال: فلك يمينه، قال: يا رسول الله! إن الرجل فاجر، لا يبالي على ما حلف عليه، -جاءه الفرج بهذه العملية (يحلف)- وليس يَتَوَرَّع عن شيء، فقال: ليس لَكَ منه إلا ذلك، فانْطَلَقَ لِيَحَلِفَ، فقال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- لما أدْبَرَ: أما لئن حَلَفَ على ماله ليأكله ظلماً: لَيَلْقَيَنَّ الله، وهو عنه معرض))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر]

أحياناً الإنسان: يتهرب من دفع الزكاة بطريقة احتيالية، أحياناً يتهرب من دفع مهر زوجته؛ يطلقها قبل أن يموت، يتهرب من دفع ما عليه بحيلة معينة، فهذا الذي يفعل هذا، يقول هذا، يلقى الله وهو عنه معرض، والشيء بالشيء يذكر.

كثيرون جداً من الذين هم على فراش الموت، لا يؤدون لبناتهن حقهن، يعني في تصوره، هذا المال ينبغي ألا يذهب للصهر، لأنه هو يرى رؤيا خلاف الشرع؛ هذه ابنتك، ومن صلبك، وهي في أمس الحاجة للمال، لماذا تعطي الأبناء بغير حساب، وتحرم البنات، وأنت تصلي؟.

فأحياناً الإنسان: يضر في الوصية، فتجب له النار، فأد الذي عليك، أد المال لأصحابه.

أنا أعرف رجلاً، يعني له بيت، توفي والده، وخلف له ابن وابنة، يعني أخ وأخته، والأخت متزوجة، ولها زوج، والزوج له بيت، ودخله يكفيه، ولا يوجد أي مشكلة، البيت الذي يسكنه الابن؛ بيت فخم جداً، في حي راق جداً وغال، ماذا فعل هذا الابن؟ قيم البيت فارغاً، وأعطى أخته حقها بالتمام والكمال، ولو نظرت في هذا الموضوع، لو أحصيت مئة شاب ورث عن أبيه بيتاً، ولأخته حق في هذا البيت، يقول لها: هذا بيت العيلة، اسكني فيه إذا كنت تريدين، لا يدفع شيئاً أبداً، وأخته متزوجة، وعندها بيت، والله قيم البيت فارغاً، ودفع حق أخته بالتمام والكمال، هذا المؤمن، الحقيقة: هذا أصل الدين الورع.

(ما عومل الله بأكثر مما افترض علينا: أداء الحقوق)، والإنسان عندما يؤدي الحقوق، يشعر الطريق إلى الله سالكاً، قريباً من الله، لا يوجد عنده حجاب بينه، وبين الله، حينما يأكل المال الحرام حجب عن الله عز وجل.

أيها الأخوة، آخر حديث: يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنِ اقتطعَ حَقَّ امرئ مسلم بيمينه: حرّم الله عليه الجنة، وأوجب له النار))

[أخرجه مسلم والنسائي ومالك في الموطأ عن إياس بن ثعلبة الحارثي]

إذا كان القضية تتعلق بالأرض، لم يبق غير اليمين، لم يأخذ وصلاً، ليس له غير اليمين، حلف نفد من عبد الله، أما من الله لم ينفد، هنا المشكلة.

فكل إنسان يحلف يميناً، ليقتطع مال امرىء مسلم بغير حق، وجبت له النار، لذلك: سمي هذا اليمين (يميناً غموساً)، لأنه يغمس صاحبه في النار، هذا ليس له توبة، هذا ليس له كفارة، هذا له أن يعيد إسلامه، بأن ينطق الشهادة، لأن اليمين الكاذبة أخرجته من الدين.

اليمين الغموس أخطر يمين، تجد القاضي ليس أمامه إلا اليمين، يحلف، يكسب الدعوة، كسبها في الأرض، أما عند قاضي السماء لم يكسبها.

مرة شخص يطوف حول البيت، يقول: رب اغفر لي ذنبي، ولا أظنك تفعل، إنسان كان ماشياً خلفه، قال له: يا هذا، ما أشد يأسك من رحمة الله! قال له: ذنبي عظيم، سأله: ما ذنبك؟ قال له: كنت جندياً في فرقة لقمع فتنة، فلما جمعت الفتنة، أبيحت لنا المدينة –طبعاً: أبيحت المدينة للجنود-، قال:

دخلت أحد البيوت، رأيت فيه رجلاً، وامرأة، وولدين، فقتلت الرجل، وقلت لزوجته: أعطني كل ما عندك، أعطته كل ما عندها، فقتل ابنها الأول، فلما رأته جاداً في قتل الثاني، أعطته درعاً مُذهبة من الذهب، قال: تأمل فأعجبته؛ فإذا عليها بيتان من الشعر، فلما قرأهما وقع مغشياً عليه، مكتوب على هذه الدرع المُذهبة:

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فويل ثـم ويـل ثم ويل لقاضي الأرض مـن قاضي السماء

لا تفرح بحكم من قاض، ولست محقاً فيه، لا تفرح، إن الله عز وجل ينفذ أحكاماً ثانية، ممكن أن تأخذ مالاً ليس لك، يخسر الإنسان إحدى أعضائه بحادث، الله منتقم وجبار:

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

[سورة البروج الآية:١٢]

لا تفرح أبداً بحكم من محكمة لصالحك، إن لم تكن محقاً، فلا تنجو من عذاب الله، بل الأغرب من ذلك: لو أن النبي الكريم، هو الذي حكم لك، ولم تكن محقاً، لا تنجو من عذاب الله.

((ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر، فإذا قضيت له بشيء، فإنما أقضي له بقطعة من النار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أم سلمة]

لا تفرح بحكم، ولو من رسول الله، ولو أنت لم تكن على حق افتراضاً، لأن النبي لا يحكم إلا على حق، لكن افتراضاً: افترض أن النبي حكم لك؛ كنت طليق اللسان، وذكياً، وعندك حجة قوية، وخصمك يضلك بالتعبير العامي، فالنبي حكم لك لا تنفد، فإذا كان شخص لا ينفعه فتوى النبي، هل ينفعه فتوى شخص عادي؟ علاقتك مع الله، والله عز وجل حاضر، وناظر، ومطلع، ويعلم.

عندي قضية أعجبتني: شخصان مختلفان على عشرة آلاف، قلت لهم: ادفعوها لجامع، ادفعوها صدقة، الله يعرف من هو صاحب الحق؟ يعني المبلغ هذا: ادفعوه لجامع، ادفعوه لفقير، الله يعلم من صاحب هذا المبلغ؟ لا يوجد حاجة أن تختلفوا، والاثنان في بحبوحة، بغنى عن هذا المبلغ.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٣-٤٤) : أساس العلاقات العامة - العلاقة الزوجية خاصة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف يسعد الزوج بزوجته ؟

أيها الأخوة الكرام، السعادة الزوجية: أساس في استقامة حياة الإنسان، والنبي عليه الصلاة والسلام: يعطينا قاعدة في السعادة الزوجية، هذه القاعدة:

((إذا رأى الرجل من زوجته ما يكره، عليه إنصافاً أن يفكر في محاسنها، أيضاً: فإذا بقي في مساوئها كرهها، أما إذا وضع إلى جانب مساوئها محاسنها توازن الأمر، ورضي بها، وإذا فكر في مساوئها، فليفكر في مساوئه هو، وإذا ذكر نقصها، فليفكر في نقصه))

فهذه النظرة المتوازنة، المنصفة: أساس السعادة الزوجية، وهذه قاعدة ذهبية في الحياة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كَرِه منها خُلُقاً، رضي منها آخَرَ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

والإنصاف: أحد أسباب السعادة في الحياة؛ أن تنصف الناس من نفسك، أن تعرف ما لهم وما عليهم، أن تضع مساوءهم، وأن تضع محاسنهم، أن تضع السلبيات، وأن تضع الإيجابيات.

فحينما تضع الإيجابيات مع السلبيات: الأمر يتوازن، وحينما تتحدث عن مساوئها، ذكر نفسك بمساوئك، وحينما تضع نقائصها، ذكر نفسك بنقائصك، فإن لم تكن كاملة، فأنت لست بكامل، إذا كان فيها نقص، وعندك نقص، النظرة الموضوعية نظرة أخلاقية.

فالإنسان ...... يعني أنا لا أتكلم من فراغ: ألاحظ أن هناك عشرات حالات الشقاء الزوجي، سببها: أن الزوج ناظر إلى هذا النقص، ولم ينظر إلى هذه النواحي الإيجابية، فكره الزوجة، وإذا حصلت هذه الكراهية بين الزوجين، انعكس هذا على الأولاد انعكاساً سيئاً، والشريعة السمحاء لحكمة أرادها الله: سمح للرجل...... مع أن الكذب من أكبر الكبائر.

((يطبع الرجل على الخلال كلها: إلا الكذب والخيانة))

يعني مقبول أن يكون المؤمن ذا مزاج عصبي، لكن وفق الحق، مقبول أن يكون المؤمن انطوائياً، مقبول أن يكون المؤمن منفتحاً، مقبول أن يكون المؤمن اجتماعياً، هذه كلها طباع لا تطعن في إيمانه، فلان عصبي هكذا العوام يقولون، فلان هادىء، فلان صرِّيف، فلان ليس بخيلاً، دقيقاً في مصروفه، هذه الطباع لا تطعن في إيمان الإنسان، أما أن يكذب ليس مؤمناً، الكذب يتناقض مع الإيمان، أما أن يخون ليس مؤمناً، الخيانة تتناقض مع الإيمان، ومع أن الكذب يتناقض مع الإيمان، سمح لك أن تكذب على زوجتك، ليس في كل الموضوعات، وهذا الخطأ الشنيع الذي توهمه الأزواج، كل شيء يكذب عليها؛ بالأسعار، بأسعار الحاجات، أين كان؟ مع من تلقى؟ بالنهاية أصبح عندها كذاباً، سقط، مسموح لك أن تكذب عليها.....

في موضوع دقيق جداً: لو قالت لك: أتحبني؟ وأنت لا تحبها كثيراً، فقلت لها: وصفاً يفوق الواقع، أو سألها: أتحبينني؟ مسموح لها أن تكذب عليه كذباً يطيب قلبه، أن يكذب عليها كذباً يطيب قلبها، لأن الحياة الزوجية، لأن زواج الإنسان أحد فصول حياته، لكن زواج المرأة كل فصول حياتها، فإذا فشلت أو أخفقت في زواجها تحطمت، يعني يكفي أن يعيرها بنقص فيها أو بعلة فيها حتى يحطمها، لأن كل طموحها أن تكون مقبولة عنده.

فالشرع الحكيم نظر إلى هذا قال:

((لا يحل لأجل أن يكذب على زوجته، ويحل لها أن تكذب عليه فقط))

في موضوع الحب الذي بينهما، وما كل بيت يبنى على الحب، آلاف البيوت تبنى على المصالح، هذه أم أولادي، وهذه نصيبي، وهذه قدري، ولم أجد في الأرض امرأة ترعى أولادي كأمهم.

في رجل عاقل بعد أن ينجب أولاداً، يضع حظوظه تحت قدمه، هؤلاء الأولاد ثروتك في الحياة، هؤلاء زادك إلى الله، هؤلاء استمرار لوجودك، فإذا الزوج لاحظ حظوظه، وعنده أولاد، حطم أولاده.

فلذلك: الزوج العاقل، المؤمن يضع حظوظه الدنيوية من النساء تحت قدمه، إكراماً لأولاده، هذا الزواج أصبح زواج مصلحة، لم يعد زواج حب، وما كل بيت يبنى على الحب، لو سألته: أتحبني؟ قال: أحبك، وأنت أمل حياتي فرضاً، هذا مسموح به.

والشيء الثاني:

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

يعني في آلاف النعم، الزوج قد لا ينتبه إليها، إحدى هذه النعم الكبرى، أنك تذهب إلى عملك، وأنت مطمئن، لن يدخل إلى البيت أحد، لن يحادث امرأتك أحد في غيبتك، لن تسمح لأحد أن ينظر إليها،

مثلاً: لن تخرج إلى الشرفة مبتذلة في غيبتك أبداً، لن تفتح النافذة أمام الجيران، تعرض عليهم مفاتنها أبداً، هذه نعمة لا تعد لها نعمة، لكن أنت لم تنتبه لها، وقد تكون نظيفة، وقد تكون ذات طبخ ماهر، وقد تكون مرتبة، لها طباع معينة، لما تنشأ مشكلة لا تنس إيجابياتها، حينما تنظر إلى إيجابياتها تسعد بها.

أنا في تجربة معي: مرة جاءني أخ غاضب أشد الغضب من زوجته، وهو على وشك أن يطلقها، فاستدرجته، قلت له: تخونك؟ قال: أعوذ بالله، ما هذا الكلام! لم ينتبه لها، أعوذ بالله، لا يوجد أشرف منها، قلت: طبخها سيء؟ قال: أعوذ بالله، طباخة من الدرجة الأولى، قلت له: وسخة؟ قال: لا والله، نظيفة يا أستاذ، لم ينتبه، هو يذكر ميزاتها واحدة واحدة، ثم استحيا أن يتابع الطريق إلى طلاقها.

أبعاد هذا الحديث: لا يفرك مؤمن مؤمنة..... :

أيها الأخوة،

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كَره منها خُلُقاً، رضي منها آخَرَ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

هذا الحديث لو وسعته أوسع؛ في علاقاتك مع الناس، لك أخ، لك شريك، لا تشك بأمانته، لكن طبعه صعب، لما تكره طبعه، لا تنس أنه أمين، لما تكره طبعه، لا تنس أن هذا الشريك يحمل....، يعني غيور على المصلحة.

فالإنسان دائماً لا ينسى ميزات الآخرين إذا غضب منهم، لا ينسى ميزاتهم حتى يكون متوازناً، إذا كان إنسان أحب إنساناً، يتعامى عن كل أخطائه، وإذا أحببت إنساناً، لا تنس بعض السلبيات، من أجل أن تتوازن.

ورد حديث ليس ثابتاً مئة في المئة، لكنه لطيف:

((أحْبِبْ حبيبَك هَوْناً ما، عسى أن يكونَ بَغِيضَكَ يوماً ما، وأبْغِضْ بغيضَك هَوْناً مَا، عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما))

فالإنسان حينما يتوازن، وأروع مثل ضربه النبي بالتوازن: نظر إلى الأسرى، فإذا صهره بين الأسرى، ما معنى صهره بين الأسرى؟ يعني جاء يقتله، ولو تمكن منه لقتله، لو تمكن العاص أبو الربيع زوج زينب لقتله، نظر به بين الأسرى، قال:

((والله ما ذممناه صهرا))

كصهر ممتاز أنصفه، يعني ذكر الناحية الإيجابية؛ صهر ممتاز، زوج وفي، لأن أولاد أبو جهل طلقا ابنتي النبي نكاية به، فلما دعي لتطليق زينب نكاية بالنبي رفض.

وبالمناسبة يا أخوان: لما الإنسان يعمل تطليقاً كيدياً، يكون سلك سلوك أبي جهل، أبداً، أنا لا أصدق مؤمناً، يطلق امرأة من زوجها، ليغيظ أباها، وهو مؤمن، هذا عقد الزواج أقدس عقد في الوجود:

(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)

[سورة النساء الآية:٢١]

فكل إنسان يدفع إلى الطلاق بين زوجين متفاهمين، مخلصين، محبين لبعضهما، نكاية بالأب، هذا إنسان جاهلي، يسلك سلوك أبي جهل.

والله سمعت قبل أيام: أن رجلاً طلق امرأة من زوجها، ليغيظ أباها، ويدعي أنه مؤمن، هذا عمل كبير جداً، هذا ما فعله أبو جهل، وهذا ما رفضه أبو العاص الربيع، لم يطلق ابنة النبي استجابة لرغبة كفار قريش.

إذاً: هذا الحديث: أنا أعده منهجاً كاملاً:

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كَره منها خُلُقاً، رضي منها آخَرَ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الآن: وسعه على أخواتك، على جيرانك، على شركائك، على أصحابك، متوازن، الكمال لله، الكمال المطلق لله عز وجل، والنبي معصوم بمفرده، بينما أمته معصومة بمجموعها، وكل إنسان تفوق في جانب، وغاب عنه جانب، فهذا التوازن في النظرة، يسبب علاقات طيبة مع الناس.

وقد قيل: أن النبي صلى الله عليه، كان يصلي في أصحابه، دخل صحابي متأخر، حرصاً منه على أن يتابع مع النبي في الصلاة، أحدث جلبة وضجيجاً في المسجد، ليلحق الركعة مع النبي، فلما انتهت الصلاة، قال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((زادك الله حرصاً، ولا تعد))

يعني فهم موقفه فهماً إيجابياً، يعني حريص أن يصلي معنا، لكن أحدث جلبة وضجيجاً، شوش على الصحابة صلاتهم، قال:

((زادك الله حرصاً، ولا تعد))

إذا كنت مدير دائرة، كنت مدير معمل، كنت صاحب مؤسسة، مدير مستشفى، مدير مدرسة، ورأيت خطأ من موظف عندك، حاول أثناء توجيه الموظف إلى هذه الملاحظة، أن تذكره بفضائله.

لما الإنسان يتعامى رئيسه عن فضائله يضوج، لما يعرف فضائله....، عندك موظف يتأخر، لكن أمين، يجب أن تقول له: أنا معجب بأمانتك، لكن عليك مأخذ، معجب بأمانتك، لكنك متأخر، لم يعد يغضب، معنى ذلك: ميزاته يعرفها رئيسه، إمكاناته العالية يعرفها، ذكاؤه، إخلاصه، خبرته بالعمل، لكن النقطة هذه، تشويش بيني وبينك، وهذا منهج في معاملة الآخرين، لا تنس خصائصهم الإيجابية،

((زادك الله حرصاً، ولا تعد))

وكل مدير عمل يحاسب الموظفين، ويعلمهم أنه على علم بخصائصهم الإيجابية، ولكن له عليهم مأخذ، هذا النقد مقبول، وساري المفعول، وله آثار إيجابية ولو نقدهم.

أحياناً: الابن مع الأب؛ الابن يخدم في البيت، يعمل، يتعب، يخطأ خطأ، يقيم عليه القيامة، الابن يكاد يخرج من جلده، أنا البارحة خدمتكم، البارحة عملت......فالأب يتعامى عن كل ميزات الابن .

أحد أسباب المشكلة في الأسرة الواحدة: الأب لا يرى الإيجابيات عند الابن، خطئ خطأ، قام عليه القيامة، أحياناً الابن ينفجر ويتطاول، السبب: انضغط جداً، وأنت تؤنب ابنك، لا تنس أن عنده فضائلاً، أنا لم أنس خدمتك البارحة لأختك، خدمتك لأمك، لم أنس حرصك على صلاح الأسرة، لكن هذا خطأ يا بني!.

دائماً: ذكر بالإيجابيات، تجد السلبيات سرت سرياناً مقبولاً، عامل ابنك هكذا، وعامل الجيران هكذا، وعامل الشريك، وعامل الآخرين هكذا، وعامل زوجتك هكذا، الله يحب الإنصاف، لأنه لا يوجد شعور يهز النفس كالظلم، لا يوجد شعور يسحق الإنسان سحقاً، أن الناس يتجاهلون ميزاته، ويكبرون أخطاءه، هذا عمل شيطاني، أنا أسميه: أسلوب القنص، القنص تمكن منك ضربك.

في شخص يبني حياته على القنص، إذا أراد أن يقرأ كتاباً: أين الخطأ؟ إذا رأى خطأ يرتاح، لأنه هو قناص، إذا عاشر شخصاً، رأى منه خطأ ارتاح، شهر فيه، هذا أسلوب يفعله الشيطان وحده.

((وكل بني آدم: خطاء، وخير الخطائين: التوابون))

يقولون: رجل دعا إلى الله في العصور السابقة، يبدو أنه كان مخلصاً، والناس اجتمعوا له، طبعاً له خصوم، دائماً المحترفون لهم خصومات كثيرة، فتكلم الناس به حسداً.

دائماً: الاختلافات بين المسلمين، تعود إلى ثلاث حالات: اختلاف طبيعي، واختلاف قذر، واختلاف محمود؛ اختلاف التنافس: محمود، واختلاف نقص المعلومات: طبيعي، والاختلاف الذي أساسه الحسد والبغي: اختلاف قذر .

أنا من الممكن أن أختلف مع أخي اختلاف وجهات النظر، اختلاف علمي، هذا اختلاف معه اختلاف تنافس، أنا أرى أن الدعوة إلى الله، أفضل عمل من أعمال الخير، وأخي يرى العكس: أن إطعام الفقراء، ورعاية الأيتام، أفضل من الدعوة إلى الله، فأنا مجد في الدعوة، هو مجد في خدمة الخلق، نحن مختلفون لكن اختلاف تنافس، أنا أعمل في حقل، هو يعمل في حقل، هذا اختلاف محمود، لقوله تعالى:

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)

[سورة المطففين الآية:٢٦]

أنا لما أختلف مع أخي اختلاف حسد، لأن الله رفع شانه، أريد أن أحطمه حسداً من عند نفسي، هذا اختلاف قذر، أما في قضية غير واضحة، أنا توهمت أدلة، هو توهم أدلة فاختلفنا، هذا اختلاف طبيعي.

على كل: الاختلاف كما قالوا:

((لا يُفسد في الود قضية))

إذا كان في اختلاف الود لوحده، ممكن أن أختلف مع أخي في تفسير آية، لكن أخي، وأنا أحبه ويحبني، وأزوره ويزورني، أما أن ينقلب الخلاف إلى عداء، هذا عمل شيطاني، وهذا عمل الشيطان في كل العصور،

((إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي في التحريش بين المؤمنين))

فهذا الحديث رأيته منهجاً من مناهج الحياة:

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كَره منها خُلُقاً، رضي منها آخَرَ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

تعيش حياة سعيدة، ومسالمة، والناس كلهم يحبوك، وتحب الناس كلهم، وليس لك عدو، لأنك كنت منصفاً، أما إذا لم تنصف، لك مليون عدو.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٤-٤٤) : له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس...

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو رزقك أيها الإنسان :

البارحة: أخ كريم، حدثني عن مشكلة يعانيها، اقترض مبلغاً ليستثمره، فيربح منه، فذهب المبلغ، وبقي الدين، يعني شيء ما انتفع منه، الآن مكلف أن يسدده.

الإنسان حينما يكلّف أن يسدد، ولم ينتفع، هذا الشيء مؤلم جداً.

الفكرة هذه: تتناسب مع هذا الحديث الشريف:

((يقُولُ العَبْدُ: مَالي، مَالي، وإنَّما لَه من مَالِهِ ثلاثٌ: ما أكَلَ فأفْنَى، أو لَبسَ فأبْلَى، أو أعْطَى فأقْنَى، وما سوى ذلك، فَهُوَ ذاهِبٌ وتاركُهُ لِلنَّاس))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

يعني رزقك الذي انتفعت به فقط؛ الذي أكلته، والذي لبسته، والذي أنفقته؛ الذي أكلته: ذهب، والذي لبسته: اهترأ، والذي أنفقته: بقي، وما سوى.....؛ الذي أكلته، ولبسته، وأنفقته ليس لك، لكنك محاسب عليه، من أين اكتسبته؟ .

فالإنسان يحاسب عن كل درهم في حوزته، ولم ينتفع به.

القدرة على الانتفاع محدودة، مهما كنت تملك من الأموال، وجبة الطعام لا تزيد عن كيلو فرضاً؛ مع المقبلات، مع..... أكثر من كيلو يجهد الإنسان أن يأكل، حتى مع الفواكه، أو كيلو ونصف بقدر ما كان حجمك المالي كبيراً، القدرة على الاستمتاع محدودة، وبقدر ما كان حجمك المالي كبير، القدرة على ارتداء الثياب محدودة؛ ثوب واحد، تنام على سرير واحد، ترتدي ثوباً واحداً، الإنسان عندما يشبع، لا يستطيع أن يرى الطعام، ومعه ملايين مملينة، فكل هذا القابض النقدي محاسب عليه.

فالرزق: هو الذي تنتفع به، والكسب: هو الذي تملكه، وفرق كبير بين الرزق، وبين الكسب، الكسب الذي يوجد بحوزتك، لكنك محاسب عليه، الرزق ما انتفعت به.

فالإنسان حينما يفاجأ في الآخرة: أن كل درهم، كان في حوزته، سيحاسب عليه؛ من أين اكتسبته، وفيم أنفقته؟ .

((والإنسان يسأل عن ثلاث: عن عُمُره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله سؤالان: من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟))

هذا الحجم المالي محاسب عليه، أما الانتفاع بالمال محدود جداً، وكاد يستوي الفقير مع الغني، يعني الغني يزيد عن الفقير بالمظاهر؛ أما صحن الفول واحد، الزواج واحد؛ يعني خادم، حاجب، ناطور، وأغنى إنسان في البناء؛ الزواج واحد، الطعام واحد، إذا كان صحته طيبة، الناطور يستمتع بالطعام أضعاف ما يستمتع به صاحب البناء نفسه.

فهنا الحديث:

((يقُولُ العَبْدُ: مَالي، مَالي، وإنَّما لَه من مَالِهِ ثلاثٌ: ما أكَلَ فأفْنَى، أو لَبِسَ فأبْلَى، أو أعْطى فأقْنَى))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الفرق بين نظرة أهل الدنيا وبين نظرة أهل الإيمان إلى المال، والأحوال التي تطرأ على كل منهما عند مجيء الموت، والفرق بينهما :

في نظرة دقيقة للمال: أهل الدنيا يرون الإعطاء مغرماً، أهل الإيمان يرون العطاء مغنماً، هو يسعد حينما يعطي.

وهذه قاعدة مهمة جداً:

((إن أردت أن تعرف نفسك من أهل الدنيا، أم من أهل الآخرة؛ ما الذي يسعدك: أن تعطي، أم أن تأخذ؟))

أهل الآخرة يسعدون بالعطاء، كل شيء بذلوه، مثل: إذا إنسان بخيل جداً، أتى بمبلغ ضخم، وضعه في الصندوق، قفل عليه، يرتاح، كلما دخل للصندوق مبلغ يرتاح.

المؤمن كلما عمل عملاً صالحاً، وخبأه للآخرة يرتاح، هو يعلم إذا انتقل إلى الآخرة، له رصيد ضخم.

يعني أحياناً: يكون في بلد، في أزمات اقتصادية كبيرة جداً، في تشديد شديد جداً، يأتي إنسان يبيع بيته ويحوله، يبيع معمله ويحوله، يبيع سيارته ويحولها، إنسان فعلها أساساً، لم يبق شيء لم يبعه، بقي عليه أن يسافر، يلحق ماله، فلما أخذ تأشيرة الخروج، وأخذ الفيزة، وأخذ بطاقة صعود للطائرة، وركب الطائرة، رأى نفسه ملكاً، الآن قدم ماله أمامه، سره اللحاق به، هذا الوضع الاستثنائي

لإنسان باع كل أملاكه، وحولها إلى بلد أجنبي، وركب الطائرة، ولحقها، ليستمتع بالحياة هناك، هذا الحال مشابه للمؤمن، كلما صح له عمل عمله، وكأنه أحاله على الآخرة، فتجد قضية الموت عنده ليست مزعجة، لا أقول: محببة، لكن ليست مزعجة، إذا ذهب إلى الآخرة، له عند الله الشيء الكثير:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)

[سورة القمر الآية:٥٤]

(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)

[سورة القمر الآية:٥٥]

أما إذا الإنسان وضع البيض كله في الدنيا بسلة وحدة، يعني أي قضية في جسمه، إذا كان مرض خطير، ينهار، كل شيء جمَّعه سوف يتركه.

لي صديق، دخل لعند شخص، له شأن كبير، معه مرض خطير، فقال لي: وضعه النفسي لا يحتمل من الضيق؛ بيته فخم جداً، ومهتم به، والمرض خطير، يمكن أن ينهي أجله، بنت الحرام –زوجته-، إذا توفيت تتزوج، يأتي شخص آخر على البارد، يجلس في البيت، رأى نفسه أنه قد خسر، حتى وصل لهذا البيت؛ رتبه، ونظمه، والآن يريد أن يغادر، وزوجته شابة، فبعد أن يغادر، سوف تختار زوجاً، يأتي إنسان آخر، وجد بيتاً فخماً جداً، الأمور كلها ميسرة، أموال طائلة استولى عليها، وتمتع فيها.

هذا حال أهل الدنيا، عنده قلق عميق جداً، إذا انتهت حياته، لم يعد له شيء، أما المؤمن آخذ معه كل شيء سلفاً، محول أمواله كلها للخارج، والآن يريد أن يلحقها.

لذلك: القرآن الكريم يقول:

(وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)

[سورة آل عمران الآية:١٥٨]

(وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

[سورة الزخرف الآية:٣٢]

والله في مواعظ -يا أخوان- كبيرة جداً، لا أحد يتعظ، تجد شخصاً، فجأة صار من أهل قبور؛ أين بيته الفخم؟ أين دنياه؟ كل هذا تركه، وهو رهين عمله.

لذلك من باب الذكاء: لا يوجد أذكى من إنسان، يعد لساعة الفراق التي لا بد منها، هذا الشيء حتمي، لا يوجد إنسان ينجو من هذه الساعة؛ ساعة وضعه في القبر، ساعة أذن يؤذن، يفتحون النعش، ملفوف بالكفن، ينزل شخص للأسفل، ينزلونه، يضعون الحجر، يهيلون التراب، انتهت العملية، الآن الأولاد أخذوا الأموال، وتمتعوا في الحياة، يحزنون حزناً ظاهرياً فترة، وبعد ذلك....

أيها الأخوة، العمل للآخرة:

((ليس لك إلا ما أكلتَ فأفْنَيتَ، أو لَبستَ فأبْلَيْتَ، أو تصَدَّقتَ فأمْضَيْتَ))

[أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن الشخير]

وإذا الإنسان لم يكن معه مالاً، في ألف عمل صالح؛ التعلم والتعليم عمل صالح، تربية الأولاد عمل صالح، خدمة المؤمنين عمل صالح، نشر الحق عمل صالح، عندك من الأعمال الصالحة ما لا يعد ولا يحصى، وهذا كله مدخر لك يوم القيامة.

في شخص يموت، يعني لم يخسر شيئاً، لأن كل رصيده في الآخرة، ذاهب إليه، ذاهب ليستمع بماله، وهذه الآية الكريمة:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)

[سورة القمر الآية:٥٤]

(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)

[سورة القمر الآية:٥٥]

تجد فرقاً كبيراً بين حال أهل الدنيا إذا غادروها، وحال الإيمان إذا غادروا الدنيا.

هذا تاريخ الصحابة عند استقبالهم للموت :

أيها الأخوة، سألت مرة طبيباً: هل يوجد إنسان يموت أمامك؟ قال لي: جداً، هذا عملي أساساً؛ شخص يضرب حاله، شخص يندب بويله، تفتح على الصحابة في أعلى درجات سعادتهم أثناء فراقهم الدنيا.

سيدنا سعد بن الربيع، مات شهيداً في أحد، فالنبي افتقده، لم يجده، فأرسل من يتفقده، فأحد الصحابة وجده بين الجرحى بالنفس الأخير، فقال له:

((أنت مع الأحياء، أم مع الأموات؟ قال له: مع الأموات، قال: النبي أرسلني أن أتفقدك، قال له: أقرئ رسول الله مني السلام، وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وقل لأصحابه: لا عذر لكم إذا خُلص إلى نبيكم، وفيكم عين تطرف))

اقرؤوا تاريخ سبعين، ثمانين صحابي، الشيء القاسم المشترك: أنهم كانوا في أعلى درجات سعادتهم، وهم يفارقون الحياة الدنيا، حتى قول النبي عليه الصلاة والسلام كما قالت له فاطمة:

((واكربتاه يا أبت! قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم))

هذه قالها أيضاً سيدنا بلال، قال:

((غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه))

الفرصة أمامك فاغتنمها :

أيها الأخوة، الأمور ميسرة، ممكن أن تصل إلى أعلى درجة: بعلمك، أو بمالك، أو بقوتك، وكل عمل صالح صدقة، لا تظن أن الصدقة فقط: إنفاق المال، إنفاق المال أحد أبواب الصدقات، أما الكلمة الطيبة صدقة، تزور أخاك صدقة، أن تدعو إلى الله صدقة، أن تقنع الناس بهذا الدين العظيم صدقة، أن تحملهم على طاعة الله صدقة.

لذلك ورد:

((لا بورك لي في طلوع شمس يوم، لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم، لم أزدد فيه من الله قرباً))

[ورد في الأثر]

إذا كنت تزداد علماً، وتزداد قرباً، فهذا اليوم لصالحك، وهذا اليوم مغنم كبير، والحياة بضعة أيام، إذا الإنسان عاش ستين سنة، عمر وسطي، طبعاً: الخمسة عشر الأولى قبل البلوغ فرضاً، كم بقي؟ خمس وأربعون، نصفه نوم، بقي عشرون، يعني في أعمال روتينية احذفها أيضاً، الإنسان في النهاية بضعة أيام، مجموعة مواقف يقفها، مجموعة أعمال يعملها، مجموعة مشاعر تغتابه، كله محدود، وبعد حين لا تجد أحداً منا فوق سطح الأرض، بعد حين قولاً واحداً.

فهذه الساعة التي لا بد منها، إذا الإنسان أعد لها، فهو أسعد الناس، وإذا غفل عنها، فهو أشقى الناس، والفضل لله عز وجل في بلادنا الموت موجود، في بلاد أخرى لا ترى الموت أبداً لسياسة دقيقة، حتى في الخليج، حتى في أوروبا، لا يوجد موت أبداً، يعني إعلان بالمآذن، نعوة على الجدران، جنازة تمشي، لا ترى شيئاً إطلاقاً، من المستشفى إلى المقبرة.

فالإنسان لما يرى جنازة تمشي....من هذا الذي في النعش؟ يقول:

((يا أهلي، يا ولدي، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حل وحرم، فأنفقت في حله، وفي غير حله، فالهناء عليكم، والتبعة علي))

تأمل في هذا، واحفظ في ذاكرتك: أن الموت لا بد منه :

أيها الأخوة، في موعظة كبيرة جداً، فكلنا على هذا الطريق سائرون، تاجر درس وأسس مشروعاً، لا يوجد مانع، نحن لسنا ضد أن تكون في الدنيا متفوقاً، لكن ضد أن تعصي الله، ضد أن تغفل عن ذكر الله، هذا المحذور.

فإنسان لما يضع الموت نصب عينيه، وينضبط وفق منهج الله، يكون الموت عنده إيجابي، وكل شخص منا يوجد حوله أناس، كان يعيش معهم ماتوا، كان شخصاً، صار كلمة، صار نعوة، صار ذكرى، وأكثر موعظة بالموت الذي عشت معه، وخالطته، وسهرت معه، وسمعت منه، وسمع منك، وافتقدته، موعظة كبيرة جداً.

فلذلك:

((يقولُ ابنُ آدمَ: مالي، مَالي، وهَلْ لَك يا بْن آدَمَ مِنْ مَالِكَ: إلا ما أكلتَ فأفْنَيت، أو لَبستَ فأبْلَيْتَ، أو تصَدَّقتَ فأمْضَيْتَ؟))

[أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن الشخير]

هذا إذا كان المال حلالاً، ولا يوجد مشكلة، ليس لك، كيف إذا كان حراماً؟ .

يعني كنت في لبنان قبل أيام، سمعت درساً لأحد العلماء، الذين توفاهم الله عز وجل، تأثرت، هذا ممكن أن يسمع الناس دعوته لمئة سنة، وهو تحت الأرض صار عظاماً، وفي مغنيين أيضاً، أصوات أغانيهم منتشرة في الآفاق، وهم تحت التراب .

وازنت بين مغن وقارئ، وازن بين مضلل، وداع إلى الله، وازن بين إنسان عنده ملهى، وإنسان أنشأ مساجداً، والاثنان توفاهم الله، الأول رهين عمله السيء، والثاني طليق لعمله الطيب.

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)

[سورة المدثر الآية:٣٨]

(إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ)

[سورة المدثر الآية:٣٨]

أصحاب اليمين طلقاء:

(فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ)

[سورة المدثر الآية:٤٠]

(عَنِ الْمُجْرِمِينَ)

[سورة المدثر الآية:٤١]

(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)

[سورة المدثر الآية:٤٢]

فيا أيها الأخوة، الحديثان:

((ليس لك إلا ما أكَلت فأفْنَيت، أو لَبست فأبْلَيت، أو أعْطيت فأقْنَيت، وما سوى ذلك ليس لك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لأن قضية الموت، لأن النبي قال:

((أكثروا))

اذكروا في اليوم عشرات المرات، وفي خواطر مزعجة لكنها واقعية، إذا توفيت: ماذا سيحدث بعد وفاتي؟ .

كل إنسان يعرف شخصاً توفي، اختلف الأولاد أم لم يختلفوا، باعوا البيت، تركوا البيت، اختلفوا على المحل التجاري، سلموه، الأخ الأكبر سيطر، الصغار ظلموا، كل إنسان منا رأى شخصاً مات، وماذا فعل أولاده من بعده؟ عليه أن يفكر، القصة يقيسها على نفسه، إذا توفيت: ماذا سيحصل؟ ماذا يفعل هؤلاء الذين من حولي؟ .

أيها الأخوة، فمغادرة الدنيا حدث لا بد منه، بل هو أخطر حدث في حياتنا، لأن الله عز وجل قال:

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)

[سورة الملك الآية:٢]

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ)

[سورة الملك الآية:٢]

بدأ بالموت؛ لأن أخطر حدث في حياتك.

الإنسان لما يولد، عنده خيارات عديدة، أما عند الموت، عنده خياران:

((فو الذي نفس محمد بيده، ما بعد الدنيا من دار: إلا الجنة، أو النار))

يعني تسمع فلان مات، وله أعمال طيبة جداً، أخذ معه كل شيء، تسمع إنساناً آخر مات، ترك كل شيء، انظر: الأول أخذ كل شيء، الثاني ترك كل شيء، والأمر: قريب وبعيد.

على كل:

((كل متوقع آت، وكل آت قريب))

لا تسموه تشاؤماً، سموه واقعية، لا تسموه سوداوية، سموه عقلاً، الإنسان العاقل يعيش المستقبل، في المستقبل أخطر حدث: الوفاة، الإنسان العاقل يعيش المستقبل، وأخطر حدث في المستقبل: هو الوفاة.

فإذا الإنسان أعد لهذه الساعة عدتها، أعد لها توبة، أعد لها بيتاً إسلامياً، أعد لها خضوعاً لله عز وجل، أعد لها عملاً صالحاً.

هذه هي الحقيقة :

أيها الأخوة، ما من شيء يسعد المؤمن كالعمل الصالح، يكون الله سمح له أن يكون جندياً للحق، يشعر أنه مرتاح، لا يوجد عنده قلق عميق، لا يوجد عنده خوف من المجهول، هو يعلم في إله عظيم، له منهج، أنا أمشي على هذا المنهج، لعلي أرضي الله عز وجل، شعورك أنك في رضا الله:

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ)

[سورة محمد الآية:٢٨]

إنسان يعيش في سخط الله، تجد كثيراً..... في شخص له عمل حساس؛ يؤذي الناس، يبتز أموالهم، هكذا يعيش، هذا إذا كشفت له الحقيقة، هو أشقى الناس، وتجد إنساناً آخر همه خدمة الناس، همه هدايتهم، فإنسان في الشقاء، وإنسان في النعيم.

هذا هو فلسفة المال، ضعه في بالك، الذي تملكه: كسب، والذي انتفعت به: رزق، الذي تملكه: تحاسب عليه، ولم تنتفع به، والذي تملكه: هو الرزق، وأعظم أنواع الرزق: هو الذي بقي، والذي يبقى: هو العمل الصالح.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٥-٤٤) : الرحمة العامة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الفرق بين الرحمة الكسبية وبين الرحمة الفطرية :

أيها الأخوة، من المعروف عند معظم الناس: أن الأم ترحم أولادها، لكن زوجة الرجل قد لا ترحم أولاده، يقسو قلبها عليهم كثيراً، قد لا تطعمهم، قد تحملهم ما لا يطيقون، هذا في الأعم الأغلب في المرأة التي لا تعرف الله، المرأة التي لا تعرف الله، ترحم أولادها.

إذاً: هذه الرحمة التي في قلب امرأة التي لا تعرف الله ليست منها، وليست من كسبها، إنما أودعت في قلبها، من أجل أن تستمر الحياة، ولولا هذا لما استمرت الحياة، أودع الله في قلب كل أم رحمة بأولادها، أما أنها مأجورة، أو غير مأجورة، هذا موضوع آخر، وفي الأعم الأغلب أجرها قليل جداً، لأن هذه الرحمة ليست من كسبها، ليست من خلال اتصالها بالله عز وجل، وإنما فطرة أودعت فيها.

والشيء الواضح تماماً: أن المرأة ترحم أولادها رحمة بالغة، بينما تقسو على أولاد زوجها قسوة بالغة، وكأن قلبها قُدَّ من صخر، قد لا تطعمهم، قد تحملهم ما لا يطيقون.

إذاً: الرحمة شيء ثمين جداً؛ في رحمة كسبية، ورحمة فطرية، الرحمة التي تأتيك من اتصالك بالله عز وجل، هذه رحمة كسبية لا تتجزأ، يعني ترحم ابنك، وترحم الغريب، وترحم ابن عدوك، وترحم دابة، وترحم حيواناً، الرحمة لا تتجزأ، الذي يرحم ابنه فقط، ولا يرحم غير ابنه، رحمته هذه لا قيمة لها إطلاقاً، لأنها رحمة فطرية أودعت فيه ليست من كسبه.

من أقوال النبي بشأن بحثنا :

أيها الأخوة، ورد في كتاب (الترغيب والترهيب) عن ابن عمر رضي الله عنهما:

((أنه مرَّ بفتيان من قريش، قد نصبُوا طيراً أو دَجاجة يترَامونَها، وقد جعلوا لصاحبها كلَّ خاطئة من نبْلِهم -جعلوها هدفاً لسهامهم، ليتدربوا على الرمي-، فلما رأوا ابنَ عمر تفرَّقوا، فقال ابن عمر: مَنْ فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لَعَنَ من اتخذ الروح غرضاً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير]

يعني هدفاً، يعني قريب من هذا: في أسواق بيع الدجاج: تذبح الدجاجة فوراً، وتغمس في ماء يغلي، ليس هناك ثانية، ولا ثوان، تذبح فوراً، وتغمس في ماء يغلي، كي يسهل نتف ريشها، فهذا الذي يفعل هذا: لا رحمة في قلبه، هذا حيوان تميته مرتين .

رأى النبي عليه الصلاة والسلام رجلاً، يذبح شاة أمام أختها، قال له:

((هلا حجبتها عن أختها، أتريد أن تميتها مرتين؟))

لذلك: لا يجوز أن تذبح غنمة أمام أختها تدرك، يجب أن تذبحها في غرفة، وأن تحجبها عن أختها.
أيها الأخوة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَن لا يَرْحَمْ، لا يُرْحَمْ))

[ورد في الأثر]

((مَن لا يَرحمِ الناسَ، لا يَرحمْهُ اللهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله]

اعلم علم اليقين أن...... :

أيها الأخ الكريم، يجب أن تعلم علم اليقين: أن الرحمة تقابل الاتصال بالله تماماً، فأنت بقدر اتصالك بالله، ترحم الخلق، والمؤمن قلبه رحيم، والكافر قلبه قُدَّ من صخر، والقلب القاسي بعيد عن الله عز وجل.

((وإذا أردت أن تعرف مقامك: فانظر فيما استعملك))

هذا الذي يعمل عملاً أساسه: إيذاء الناس، أساسه: ترويع الناس، أساسه: إلقاء الرعب في قلوب الناس، هذا أشقى إنساناً على الإطلاق؛ لأن الله استخدمه في تأديب خلقه، ولولا أن قلبه قد من صخر، لما استخدمه الله هذا الاستخدام، بينما المؤمن يستخدمه الله لبث الخير في الناس، لبث الطمأنينة، والأمن في الناس.

وكل إنسان يراقب عمله، إذا كان عملك مبنياً على إيذاء الناس، أو ترويعهم، أو تخويفهم، فأن تبيت جائعاً خير لك ألف مرة من أن تتقلب في نعم، تأتيك من خلال قسوتك على الناس.

((مَن لا يَرْحَمْ، لا يُرْحَمْ))

[ورد في الأثر]

إليكم هذا الحديث وجزء من الآيات التي وردت بشأن القلب القاسي البعيد عن رحمة الله :

أيها الأخوة، هذا حديث:

((دَخَلت امْرَأةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ ربطتها، فلم تُطعِمها، ولم تَدَعْها تأكُل مِن خَشاشِ الأرض))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر]

الحقيقة: الأحاديث خطيرة: أن الإنسان يستحق النار إلى الأبد، لأنه عذب هرة.

((دَخَلت امْرَأةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ ربطتها، فلم تُطعِمها، ولم تَدَعْها تأكُل مِن خَشاشِ الأرض، وفي رواية: عُذِّبت امرأةٌ في هِرَّةٍ سجنتْها حتى ماتت، فدخَلتْ النَّار، لا هيَ أطْعَمتها وسقتها، إذ هي حَبسَتها، ولا هي تَركَتها، تَأكُل مِن خَشاشِ الأرض))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر]

يعني في قوله تعالى:

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ)

[سورة التكوير الآية:٨]

(بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)

[سورة التكوير الآية:٩]

تصور فتاة كالوردة، يأخذها أبوها إلى مكان بعيد في الصحراء، يحفر لها حفرة، يضعها في الحفرة، ويهيل عليها الرمل حتى تموت، ما هذا الإنسان؟ وحش.

فأنت أحياناً: قس إيمانك برحمتك، في شخص لا يحتمل أن يؤذي نملة، هذا رحيم، هذا مؤمن، ليست العبرة بكثرة العبادات التي تؤديها، العبرة بالرحمة التي استقرت في قلبك، فإن لم تكن رحيماً، فأنت بعيد عن الله قطعاً، وهذه الصلوات التي تؤديها، لا قيمة لها عند الله أبداً، إنها حركات وسكنات، وليست اتصالاً، ولو كانت اتصالاً، لرحمت الخلق.

ومرة ثانية: الرحمة لا تتجزأ، الرحمة التي تأتيك من الصلاة، والتي ترقى بك، والتي تنقلك إلى دار النعيم، هذه رحمة لا تتجزأ.

إليكم هذه الأمثلة من الواقع التي مثلت دور تلك المرأة التي تحدث عنها النبي أنها في النار :

أيها الأخوة، في قصص أنا مرة وجدتها، أنا رأيت بعيني رجلاً، يحمل صانعاً عنده من الأثواب ما لا يطيق؛ أول ثوب، ثاني ثوب، ثالث ثوب، رابع ثوب، إلى أن صرخ هذا الطفل، لم أعد قادراً على الحمل، قال له: أنت شاب، ابنه من سن الصانع، حمل ثوباً واحداً، قال له: انتبه على ظهرك يا بني، ثقيل عليك، هذه الرحمة بالابن، لا قيمة لها إطلاقاً؛ لأنها رحمة أودعت في قلبه، من دون اختيار منه، كي تستمر الحياة.

لذلك: لن تجد في القرآن آية واحدة، توصي الآباء بأبنائهم، إلا في آية المواريث، بمعنى قسموا الإرث هكذا، أما شيء فطري....، كما إنه من المضحك، أن تصدر قانوناً، تلزم المواطنين بتناول

طعام الفطور؛ الجوع وحده يكفي لمتابعة هذا الأمر، شيء فطري، لكن الله عز وجل أمر الأبناء ببر آبائهم، لأنه ليس تكليف.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

((ودنت مِنِّي النارُ، حتى قلتُ: أيْ ربِّ، وأنا معهم؟ وإذا امرأة حسبتُ أنه قال: تَخْدِشُها هِرَّة -هذه في الإسراء والمعراج- قلتُ: ما شأن هذه؟ قالوا: حبسَتْها حتى ماتت جُوعاً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر]

حدثني مرة أخ، يعرف أقرباء، أمهم قاسية جداً، عندها صانعة صغيرة، يكون في البيت وليمة، في هذه الوليمة من الطعام ما لذ وطاب، تلزم هذه الفتاة الفقيرة، البائسة، اليتيمة، أن تأكل الطعام القديم جداً، ولا تطعمها لقمة واحدة من هذا الطعام النفيس، هذه امرأة مثل الهرة تماماً إلى النار.

قضية الاستقامة، قضية كبيرة جداً، امرأة تقسو.....، في أطفال يعذبون، في أطفال يحملون فوق طاقاتهم، يعني من قسوة البشر: صار في يوم الطفل العالمي، من قسوة البشر: في أطفال في آسيا يباعون في سوق النخاسة، يقول لك: انتهت العبودية.

في سوق الرقيق الأبيض في العالم، أنا أعده وصمة عار في جبين الإنسانية، وصمة عار في أطفال يباعون، ويقتلون، وتؤخذ أعضاؤهم إلى بنك، لبيعها قطع غيار، في أطفال تؤخذ دماؤهم، لتستخدم في حالات الإسعاف.

فإذا الإنسان ابتعد عن الله عز وجل، أصبح وحشاً، بالمقابل: دنا رجل إلى بئر، فنزل فشرب منها، وعلى البئر كلب يلهث، فرحمه، فنزع أحد خفيه، فسقاه، فشكر الله له، فأدخله الجنة، كما أن امرأة عذبت في النار، لهرة حبستها، نعم.

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، قال:

((كنتُ أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعتُ صوتاً من خلفي: اعْلَم أبا مسعود، فلم أفهم الصوتَ من الغضب، قال: فلما دنا مني، إذا هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: اعلم أبا مسعود، أن الله أقْدَرُ عليك منك على هذا الغلام، قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً، وفي رواية: فقلتُ: يا رسول الله! هو حُرّ لوجه الله تعالى، فقال: أمَا لو لم تفعل للَفَحَتْكَ النار، أو لَمَسَّتْكَ النارُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي مسعود البدري]

نتائج التربية الصالحة في تنشئة الإنسان :

تجد أحياناً: ابن يعيش في أسرة متوازنة، أسرة مسلمة، مؤمنة، في رحمة بقلب الأب والأم، هذا الابن في الأعم الأغلب، لو لم يكن ملتزماً بالدين، لا يؤذي أحداً .

ترى أشخاصاً في مناصب حساسة، يوجد في قلبهم رحمة، هذه الرحمة أخذوها من أمهاتهم وآبائهم، تجده لا يظلم، لا يقسو، عنده روادع، وإذا كان في البيت قسوة بالغة، في شقاق بين الزوجين، في ضرب مبرح، فإذا الإنسان تلقى قسوة، ولم يعرف الله عز وجل، ولم يتصل به، يقسو بدوره على الناس.

أحياناً: التربية الصالحة ضمانة للإنسان من أن يذل في إيذاء الناس.

من رحمة الإسلام وعدالته :

أيها الأخوة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من ضرب غُلاماً، له حَدّاً لم يأْتِهِ، أو لَطمَهُ، فإن كفَّارَتَهُ أن يُعتِقهُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن زاذان]

يعني بمفهوم ذلك العصر: الغلام له ثمن باهظ، تخسر هذا الغلام إذا لطمته أو ظلمته.

((مَن قذف مملوكه، وهو بريء مما قال، يقام عليه الحدُّ يوم القيامة))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

شخص يقول له: أنت حرامٍ، رأساً من دون تحقق، يكون شخصاً بريئاً، صار في سوء تفاهم، فقبل أن تقول لشخص: أنت حرامٍ، وقبل أن تتهمه بالزنا، عد للمليون، إذا كنت قد اتهمته بشيء، هو بريء منه، أقيم على سيده الحد يوم القيامة.

تجد المؤمن وقافاً عند كتاب الله، المؤمن مقيد، الحق قيده، هو طليق، لكن الحق قيده ذاتياً، يعني لا يتسرع .

اسمع هذا الحديث :

آخر حديث:

((للمملوك: طعامه، وكسوته، ولا يكلف إلا ما يطيق، فإن كلفتموهم فأعينوهم، ولا تعذبوا عباد الله، خلقاً أمثالكم))

[أخرجه مسلم ومالك في الموطأ عن أبي هريرة]

سيدنا عمر بن عبد العزيز، عنده ضيف، فالسراج كاد أن ينطفئ، فقام سيدنا عمر بنفسه، وأسرج هذا السراج، قال له الضيف:

((أنا أفعل هذا عنك، قال: لا، من لؤم الرجل أن يستخدم ضيفه، وغلامي قد نام، فكرهت أن أوقظه))

وفي بعض الأحاديث:

((النهار لكم، والليل لهم))

يتعب في النهار، اجعله أن يرتاح في الليل، ينام نوماً مريحاً .

أيها الأخوة، في قصة قديمة: في خادمة صغيرة، تنام الساعة الثانية، عندهم عزيمة، الساعة الرابعة توقظها ليس للصلاة، من أجل أن تمسح البيت، يوجد نساء قاسيات جداً، لا يرحمن، وإذا ترحم أولادك، ليس لك فضل، شيء طبيعي جداً، القطة ترحم أولادها.

إليكم بيان الغرض المقصود من هذه الأحاديث :

النبي قال:

((ولكنها رحمة عامة))

رحمة لكل الخلق، وإن كان موازنة صعبة، لكن: أنا قناعتي، إذا كنت لا ترحم الطفل الصغير، الذي يعمل عندك في المحل التجاري، كما ترحم ابنك، فلست مؤمناً.

أعرف أطفالاً أيتاماً، يعملون في محل، أحب أن يتعلم الطفل، طلب ساعة من معلمه قبل نهاية الدوام، أن يلتحق بمدرسة ليلية، لم يرض ولا بشكل، أما ابنه، قال لي: وضع له مليون ليرة دروس خاصة، يريده طبيباً، أما هذا ابن الناس، إذا أحب أن يأخذ الشهادة الإعدادية، لا يرضى، هذه القسوة.

انظر إلى هذا التناقض الشديد: ابن الناس ينبغي أن يبقى جاهلاً، ابنه يريده طبيباً، قال لي: والله مليون دفع له من أجل دروس خاصة، ولم ينجح ابنه بعد ذلك، أما هذا الطفل، إذا أحب أن يأخذ ساعة، يخرج قبل أن ينتهي الدوام، من أجل أن يأخذ الشهادة الإعدادية في الليل.....

فكلما رحمت الناس أحبك الله، ويعني بشكل أو بآخر: كلهم عباد الله، لا تفرق، أي إنسان أمامك عبد لله؛ اخدمه، أنصفه، ارحمه، أمنه، لا تخوفه، في شخص إذا لم يخوف الناس لا يرتاح، لا تخوف، المرعبون في النار، الذين يلقون في قلب الناس رعباً في النار، نعم.

نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه أيضاً، الضرب في الوجه محرم، الإنسان وجهه موضع كرامته، حتى إذا ذكر الله، فأمسكوا، قال لك: إذا تحب الله، يجب أن تقف، مراعاة لحرم الله عز وجل.

عن جابر، عن النبي الكريم:

((مرّ عليه حِمَار، قد وُسِمَ في وجهه، فقال: لَعَنَ الله منْ وسَمه))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله]

يعني يأتوا بآلة، يحموها على النار بشكل حرف، حتى يتعلم، الحمار لفلان بدلاً من النمرة، هذا حمار لفلان، هذا لا يجوز، هذا مخلوق، له إحساس .

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه:

((أنه مر بالشام على أناس من الأنباط، -الأنباط: فلاحون من العجم، ينزلون بالبطائح- قد أقيموا في الشمس، وصُبَّ على رؤوسهم الزيت، فقلتُ: ما هذا؟ قيل: يُعَذَّبون في الخراج، -عليهم ضرائب لا يدفعونها، وضعوا في الشمس، وصب عليهم الزيت، حبسوا في الجزية- فقلت: أما إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يُعَذِّبُ الذين يُعَذِّبُونَ في الدنيا، فدخل على الأمير فحدثه، فأمر بهم، فخلوا سبيلهم))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن هشام بن حكيم بن حزام]

هذه الأحاديث ملخصها: يجب أن ترحم كل المخلوقات، وألا تعذب أحداً، وألا تؤذي أحداً، وألا تروع أحداً، أو ألا تخيف أحداً، بما في ذلك الحيوان، وهذا هو المؤمن .

ويقول سيدنا عمر:

((أتمنى أن أغادر الدنيا: لا لي، ولا علي))

يقول سيدنا عمر:

((لو علمت أن الله معذباً رجلاً واحداً، لظننت أنني أنا، ولو علمت أن الله سيرحم واحداً، لرجوت أن أكون أنا))

هذا الدين رحمة، النبي قال:

((إنما أنا رحمة مهداة))

وهذه الرحمة في قلوب الخلق، هذه تنعكس رضاً من الله عز وجل، فإذا الإنسان له عمل في قسوة لا يقبله، يأكل خبزة يابسة، ولا يقبل عملاً له دخل كبير، لكن أساسه إيذاء الناس.

يوجد الكثير من الوظائف؛ تجد مراقب دخل، لا يوجد في قلبه رحمة أبداً، يأتيه –مثلاً- مطرح ضريبي، يضع أعلى رقم متخيل، يأتي المواطن قد فتح محلاً جديداً، يقول له: ثمانمئة ألف، يبرك، وكم من إنسان أصيب بجلطة، لأنه سمع رقماً فوق طاقته.

فإذا شخص، له عمل بالمالية، بالجمرك، لا تظن القضية سهلة عند الله عز وجل، تأخذ أعلى رقم، تبلغه إياه، ترتاح أنت، هكذا القانون يا أخي، تستطيع أن تلفها أنت، تستطيع أن تعطيه الحد الأدنى، وتقول له: اعترض، وتحل المشكلة، أما هذا الذي يكلف الناس ما لا يطيقون، هذا له أعلى مكانة في النار.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٦-٤٤) : علاقة المؤمنين ببعضهم البعض .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إليكم هذا القانون وتطبيقاته :

أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام عاش مع أصحابه الكرام، وحرص على الحب، والود بين أصحابه، وهذا هو روح الإسلام، والذي يلفت النظر: أنك تجد في هذا العصر إسلاماً صارخاً؛ مساجد، دور علم، معاهد شرعية، مكتبة إسلامية ضخمة جداً، مؤتمرات، لكن لا تجد الحب بين المؤمنين، لا تجد الود بين المؤمنين، قال تعالى:

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

[سورة الأنفال الآية:٤٦]

لذلك: إن أردنا لهؤلاء المؤمنين أن يتقدموا، يجب أن يتحابوا فيما بينهم، وهذا الحب أساسه: طاعة الله عز وجل:

(فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

[سورة المائدة الآية:١٤]

هذا قانون بقدر طاعتك لله: تحب أخاك، وبقدر تفلتك من منهج الله: تبغض أخاك، فالبغض والحب أساسه: الطاعة والعصيان، وما اجتمع رجلان أو مؤمنان، إلا كان أقربهما إلى الله تعالى، أشد حباً لصاحبه، الأقرب لله أشد حباً.

والإنسان حينما يعيش في مجتمع؛ كله ود، وحب، وتعاون، وتضامن، وتناصح، وتضحية، وإيثار، يعيش في جنة، ومصائب الحياة مهما عظمت، تهون أمام هذا الحب.

المجتمع المسلم حينما يرى أن الجميع لواحد، والواحد للجميع، يعني إنسان الله عز وجل أعطاه، هذا العطاء ملك جميع المؤمنين، وأحياناً المؤمن يقع، المؤمنون جميعاً، يجب أن يقفوا إلى جانبه، هذا المجتمع الذي أراده الله عز وجل.

من هذا المنطلق: يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تَقاطَعُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عبادَ الله إخوانا، ولا يَحِلُّ لمسلم أن يَهْجُرَ أخاه فوق ثلاث))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

من وصايا النبي التي حذر منها في أكثر من محفل :

الآن في موضوع ثان: يجب أن يكون الانتماء إلى جماعة فقط على حساب انتماء مجموع المؤمنين، تنشأ عداوات، وينشأ بغضاء......

أخطر اتجاه في الإسلام: أن تعتقد كل جماعة، أنها على حق، وما سواها على ضلال، تمزق الإسلام، صار الإسلام ممزقاً شر تمزيق، وهذا لصالح العدو.

دائماً: عندنا قاعدة تفسير الأحداث مثلاً: حصل انفجار بأمريكا، اتهم به مسلم، لصالح من هذا الاتهام؟ لصالح اليهود، إذاً: الذين أجروا هذا الانفجار، هم اليهود، لأنه لصالحهم لإقامة هوَّة بين هذه الدولة وبين المسلمين.

الآن: إذا أغريت أو إذا كانت عداوة بين المؤمنين، لصالح من؟ لصالح الشيطان، لأن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي فيما دون ذلك؛ من التحريش بين المؤمنين.

أكبر مهمة للشيطان: التحريش بين المؤمنين، لذلك: أي خصومة، وأي خلاف، وأي مهاترة، وأي طعن، وأي سباب، وأي تحريش، لصالح الشيطان، الذي يفعله شيطان.

وهذا توجيه النبي:

((لا تَقاطعُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عبادَ الله إخوانا، ولا يَحِلُّ لمسلم أن يَهْجُرَ أخاه فوق ثلاث))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

العلماء قالوا: (لا تقاطعوا): لا تفعلوا شيئاً يؤدي إلى القطيعة.

(لا تدابروا): لا تفعلوا شيئاً يؤدي إلى التدابر.

(لا تباغضوا): لا تفعلوا شيئاً يؤدي إلى التباغض، والتحاسد.

(وكونوا عباد الله إخوانا).

أقول لكم هذه الكلمة: جهود كبيرة جداً؛ متتابعة، ذكية، مخلصة، تشد إنساناً لإنسان، تصرّف أحمق واحد يصرفه، يبعده، يقطعه، القطع سهل، التخريب سهل، البناء صعب.

أنت لاحظ البناء، تحتاج إلى سنتين لكي يعمر البناء، الآن: في قنابل تهدمه داخلياً؛ بساعة، نصف ساعة، سنتان بناء، وربع ساعة هدم، ائت بجهاز غال جداً، حتى صار سنوات، ائت بمطرقة، وكسره، بساعة تكسر، التخريب سهل جداً، البناء صعب جداً.

فلذلك: المؤمن يحرص على العلاقة الطيبة مع أخيه المؤمن، كيف؟ بالتواضع، بالسخاء، بالتبادل، بالتعاون، بالتضحية، بالزيارة، بالصلة، بالهدية، يحرص على الود مع أخيه بأي ثمن، لأنه إذا كان يوجد ود، توجد قوة، انظر إلى المعنى المخالف:

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

[سورة الأنفال الآية:٤٦]

لذلك: دائماً أعداء الدين يحرصون حرصاً لا حدود له على الإيقاع بين المؤمنين، وهذه مهمة الشيطان، والذي يأمر بالقطيعة، والذي يكرّس الانتماء إلى جماعة، ويضعف الانتماء إلى المجموع، هذا يفعل فعل الشيطان، وهو لا يدري.

يقول عليه الصلاة والسلام في حديث آخر:

((لا يَحِلُّ لمسلم أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاث ليال؛ يلتقيان: فيُعرِضُ هذا، ويُعرضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي أيوب]

تجد بين أسر سنوات قطيعة، سنوات لأسباب تافهة، وعندنا قاعدة:

((لا نكفر أهل القبلة))

كل إنسان وقف، وصلى باتجاه القبلة، إذا صلى باتجاه الشمال، لا تكلمه، الحق معك، أما كل إنسان صلى باتجاه القبلة، يجب أن لا تكفره، وأن لا تتهمه.

أحياناً: الإنسان ينتقل من جامع إلى جامع، يُكفَّر؛ لا ترك الاستقامة، ولا خرق الاستقامة، ولا ترك الصلاة، ولا أكل مالاً حراماً، ولا أطلق بصره في الحرام، ولا فعل شيئاً من هذا، الانتقال من جامع إلى جامع، يسمى كافراً، هذا تخلف؛ تخلف شديد جداً، تخلف قذر، أن تتهم إنساناً بالكفر، لأنه استقى من جهة ثانية.

لذلك:

((لا يَحِلُّ لمسلم أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاث ليال؛ يلتقيان: فيُعرِضُ هذا، ويُعرضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي أيوب]

الذي أتصوره: أن المؤمن حريص حرصاً أسطورياً على حسن علاقته بأخيه، تبدأ هذه العلاقة الطيبة؛ من بشاشته، من كلامه المعسول، من زيارته، من تفقد أحواله، من التقرب إليه: بهدية، من التقرب إليه: بالسلام، بالمعاونة، بالخدمة، هذا كله بناء، وكلمة قاسية: هدم؛ والهدم سريع جداً، ويوجد مع الهدم: حمق.

أنا أقول كلمة: لأن تربح الدنيا، وتخسر أخاك، فأنت أكبر خاسر، لأن تخسر الدنيا، وتربح أخاك، فأنت أكبر رابح.

الحقيقة: المسلمون كثر؛ تجد مليار، ومئتي مليون، ضعاف من العداوات، ضعاف جداً، مليونين يتحدوهم، مليونين تجدهم متعاونين، متماسكين.......

جاء أخ من أمريكا، قال لي: هذه المقولة المؤلمة، قال لي: أعداؤنا يتعاونون تعاوناً أسطورياً على قواسم مشتركة، تساوي (٥% فقط)، ونحن نتقاتل، وبيننا قواسم مشتركة، تزيد عن (٩٥%)، يتعاونون على (٥%) من القواسم المشتركة، المسلمون: إله واحد، كتاب واحد، ما عليه خلاف الكتاب، السنة واحدة، القيم واحدة، التاريخ واحد، الآلام واحدة، الآمال واحدة، وهم ممزقون شر تمزيق أينما ذهبت.

والشيء المؤسف بأوروبا؛ الجامع: هذا للسلفية، هذا للصوفية، هذا للقاضيانية، هذا............تجد، وكل فرقة تتهم الثانية بالكفر؛ بأمريكا هكذا، بأوروبا هكذا، بالشرق هكذا، أمراض المسلمين في بلادهم، يصدرونها إلى البلاد الأخرى، متى ينظر الله إليهم نظرة عطف، وتأييد، وتوفيق، وهم على هذه الحال!؟ .

لذلك: أرى أن الخلاف بين المؤمنين كفر، يوجد في القرآن آية غريبة جداً:

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

[سورة آل عمران الآية:١٠١]

هذه بتاريخ المدينة المنورة، رجل يهودي آلمه هذا الود بين الأوس والخزرج، آلمه جداً، فكان يوجد حروب قديمة بينهم، وفي دماء، وفي خصومات، فأرسل غلام له، وقرأ قصيدة من جاهليتهم على الطرف، فصار في غضب؛ الغضب انتقل إلى حمية جاهلية، والحمية الجاهلية انتقلت إلى ملاسنة، وإلى هجر، ثم سلت السيوف، وكادت تسيل الدماء، فخرج النبي غاضباً أشد الغضب، وقال:

((تفعلون هذا، وأنا بين أظهركم؟))

فنزل قوله تعالى، هذه أسباب النزول:

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

[سورة آل عمران الآية:١٠١]

الله عز وجل: سمى هذه الخصومة (كفراً):

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

[سورة آل عمران الآية:١٠١]

وفي أكثر التفاسير؛ أسباب نزول هذه الآية: هي هذه الحادثة، فالذي أتمناه أن يعيش الناس مع بعضهم بعضاً في ود؛ راع شعور الآخرين، حاول أن تتعاون في المتفق عليه، وتتناصح في المختلف عليه، حاول أن تفهم وجهة نظر أخيك المؤمن، حاول أن تحسن الظن فيه، حاول أن تتقرب منه، حاول أن يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

أيها الأخوة، هذا الضعف عند المسلمين، لو اتفقوا على ترك الاستيراد من الأجانب اتفاقاً كاملاً، لركع الأجانب أمامنا، لكن لا يوجد اتفاق، يعني يتلقون منهم أشد الضربات، واقتصادهم مبني على استيرادنا.

لو تعاون المسلمون، وتناصحوا، لشكلوا قوة كبيرة جداً، ولكن ضعفهم في تفرقهم، ضعفهم في تخاذلهم، ضعفهم في العداوات بينهم، ضعفهم في هذه التناقضات التي يكرسها الشيطان في حياتهم.

هذا الحديث؛ أصل، منهج:

((لا تَقاطعُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عبادَ الله إخوانا، ولا يَحِلُّ لمسلم أن يَهْجُرَ أخاه فوق ثلاث))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

((لا يَحِلُّ لمسلم أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاث ليال؛ يلتقيان: فيُعرضُ هذا، ويُعرضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي أيوب]

الحديث الثالث:

((إن الشيطان قد يَئِسَ أن يَعْبُدَهُ المصلُّون في جزيرة العرب –يعني أن يعبد الشيطان، انتهى الأمر، هذا الشرك انتهى- ولكن في التحريش بينهم))

[أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله]

مهمة الشيطان الأولى: التحريش بينهم، لقيت في جفوة، اسأل أخاك في شيء، أنا مقصر معك، هل آلمتك كلمة مني؟ اعتذر، وبين، ووضح، وتقرب، واخدم، لتنشأ هذه المحبة الشديدة.

إليكم هذه الأحاديث الثلاثة التي تصب في هذا الخصوص :

اسمعوا أيها الأخوة، هذه الأحاديث الثلاثة:

((من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما -أحدهما كافر قطعاً- فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه، ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه -يعني رجع عليه- ومن قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما))

[ورد في الأثر]

وفي حديث أضيفه إلى هذه الأحاديث:

((من قال: هلك الناس، فهو أهلكُهُمْ))

[ورد في الأثر]

أخي؛ الناس كلهم لا يوجد فيهم خير، فقط نحن، أنت لوحدك:

((من قال: هلك الناس، فهو أهلكُهُمْ، وفي رواية: فهو أهلَكَهم))

[ورد في الأثر]

هو الذي أهلكَهم، وليسوا كذلك، أهلكَهم: فعل، فهو أهلكُهم: اسم خبر، أشدهم هلاكاً، فهو أهلكَهم، هو الذي اتهمهم بهذا، وهم ليسوا كذلك.

((من قال: هلك الناس، فهو أهلكُهُمْ))

[ورد في الأثر]

مهمتك أيها المسلم :

أيها الأخوة، النفس البشرية، قال:

((يا داود، ذكر عبادي بإحساني إليهم، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها))

الكلمة الطيبة، والابتسامة، والوجه المشرق، والاعتذار، والوفاء بالعهد، وإنجاز الوعد، والتواضع، وحفظ غيبة الأخ.

أجمل شيء بالمسلمين، فلان ليس له مأثم، تجد مجاملات بين الدعاة مجاملات رائعة، في غيبتهم يبدأ الطعن، المسلمون هكذا؛ تسمع مديحاً يفوق حد الخيال باللقاء، في الغياب يأتي الطعن، يطعن بهؤلاء واحداً واحداً، هذا مجتمع لا يستحق رحمة الله عز وجل.

مرة في وزير أوقاف، توفي رحمه الله، يوم تسلم المنصب، دخل إليه وفد، شخص طعن بالذي قبله، فقال له: اسكت، فلان أفضل مني، وهو صديقي، انتهى؛ بقي سنتين، ثلاثة، أربعة، لا يستطيع إنسان أن يتكلم كلمة، أخذ موقفاً جاداً، قال له: فلان صديقي، أفضل مني، انتهى الأمر.

لا تسمح أن يتكلم في مجلسك شيء لا يرضي الله عز وجل، هذا التوجيه الذي يجعلنا كتلة واحدة، نتعاون.

المؤمنون فريق عمل مدهش، كل واحد سد ثغرة، لا يوجد أحد أفضل من أحد، كل إنسان له أجر عند الله .

أحياناً: تجد شخصاً يسميه العلماء: مريد خدمة، تجده خدوماً، يلبي متطلبات المسجد، هذا لا يقل عن أكبر أخ في المسجد، لأنه يحل كل مشاكل المسجد بجهده، بعضلاته، وفي إنسان له دعوة، وفي إنسان له خبرة ....كل شخص سد ثغرة، المؤمنون فريق عمل فقط، لكن عندما تصل إلى هذا المستوى، الأجانب لهم ميزة، لا يوجد عندهم تنافس، يتعاونون؛ أنا مختص بشيء، أؤدي واجبي بالتمام والكمال، لا أسمح أن أحطم من حولي، لا أحطم أحداً، أنا أؤدي واجبي، وينتهي الأمر.

إذا كنا فريق عمل نكون قد اقتربنا من الصحابة، كل إنسان يعترف لأخيه بالفضل؛ يتعاونون، يتناصرون، يتناصحون، وانتهى الأمر، لكن هذا الشيء الواقع مؤلم جداً، بعيد عن هذا المستوى، ينبغي أن نحققه، المشكلة: لا يمكن لأحد أن يحترمك، إذا لم تكن مطبقاً لما تقول.

فنحن بهذا المجتمع الصغير، المتواضع، ننفتح على كل المجتمعات المؤمنة، نتعاون معها، نكون مثلاً أعلى في الفهم العميق، للود بين المؤمنين.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٧-٤٤) : التشفع في حدود الله .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٩-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ما الذي ينقذ الشعوب التي تميل إلى التطرف من هذا الضياع، وما الذي يتميز به الدين الإسلامي؟

أيها الأخوة الكرام، دين الله عز وجل دين وسطي، والتطرف دائماً في نقص، التهور نقص، والجبن نقص، والشجاعة بينهما إسراف، والتبذير نقص، والبخل نقص، والاعتدال في الإنفاق وسط بينهما، والفضيلة وسط بين الطرفين، هذه قاعدة.

فأكثر تاريخ الشعوب في تطرف: نحو اليمين، أو نحو اليسار، إلى حقبة قريبة، كان هناك نظامان عالميان؛ نظام يعتمد الفرد، ويسحق المجموع، ونظام يعتمد المجموع، ويسحق الفرد، وكلاهما باطل، والإسلام منهج وسطي، والمنهج الوسطي هو الواقعي، هو الكامل، هو المستمر، والآن أكثر الشعوب تعود إلى الوسط مقهورين؛ لا عن اختيار، ولا عن عبودية، ولكن وجدوا أن التطرف ينتهي إلى طريق مسدود، فلا بد من الوسطية.

إليكم قول المصطفى في وسطية الإسلام :

أيها الأخوة، من أروع ما قال النبي عليه الصلاة والسلام في هذا المنهج المتوسط، الذي يسع الجميع، والذي يقيم التوازن بين الجميع، قال:

((مَثَلُ القائِمِ في حُدُودِ اللَّه والْوَاقِعِ فيها، كَمثَل قومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ، -قوم لهم سفينة، وراكبون في السفينة، فاقتسموا أماكنهم في السفينة، معنى استهموا: أي اقتسموا أماكنهم- فأَصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أسْفَلَهَا، فكان الذي في أسفلها، إذا استَقَوْا من الماء، مَرُّوا على مَنْ فَوقَهمْ، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نَصِيبِنَا خَرقاً، ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقنا؟ -يعني الافتراض: أن الماء عذب، فيها ماء عذب، هم بحاجة إلى الماء، فبدلاً من أن يصعدوا أعلى السفينة، ويؤذوا من فوقهم، يأخذون بالدلو من الماء، قال: نحن نثقب من الأسفل مكان جلوسنا، نثقب ثقباً صغيراً، نأخذ الماء دون أن نؤذي من فوقنا- فإن تَركُوهُمْ وما أرَادوا هَلَكوا، وهلكوا جَميعاً، وإنْ أخذُوا على أيديهمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَميعا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير]

إليكم تفسير قول المصطفى :

معنى ذلك: المجتمع الإسلامي في قارب واحد، أو في سفينة واحدة، فإذا كان لا يوجد تعاون، وتناصح، وتضامن، يغرق الجميع معاً، وحينما يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ينتهي الإسلام، وهذا ما يحدث الآن، الإنسان ليس له مصلحة أن ينصح أحداً، كل إنسان يتحرك وفق ما يريد، الذي يحدث: أن الشر له قوة انفجار، وله قوة جذب، فالشر يستطير، ينتشر، يتفاقم، والخير يتضاءل، وينحصر.

فالإنسان إذا قال: ليس لي دخل، علي من نفسي؛ هلك، وهلك من حوله، لا بد من التعاون، لا بد من التضامن، فهذا الكلام في منطق: أنا هذه حصتي، وهذا مكاني، أفعل به ما أشاء، ولن أؤذي به فوقي، على العكس في كلام طيب، لن أؤذي من فوقي، أنا أحفر ثقباً صغيراً في مكاني، وآخذ الماء العذب.

قال: فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا، لأنه في طبيعة للإنسان في شيء يتفجر من شهوات لها وهج، فالله عز وجل قال:

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا)

[سورة البقرة الآية:١٨٧]

قبل فترة كنت في جلسة، طرح موضوع المحطات الفضائية، إنسان قال كلاماً، ظاهره منطقي، قال: يجب أن نقرر أن نرى كل شيء، أن نرى الطرف الآخر، كان في منافسات بين ملحد ومسلم، والملحد يفوز على المسلم، اختاروا مسلماً من الدرجة الثانية، وملحداً قوياً جداً، مكنوا هذا الملحد من أن يدلي بحججه، وآرائه أمام مئات الملايين، والناس ضعاف، فرددت عليه بالشكل التالي: قلت له: سأعكس الآية، لو قال أب: إلى متى أنا أتحدث عن الفضيلة بين أولادي؟ يجب أن يعلم أولادي، من هو الطرف الآخر؟ ماذا يفعل الكفار في بيوتهم؟ لا بد من أن أري أولادي أفلاماً إباحية حتى يتنوروا، هل يسمح أن يكون في بيته مثل هذه الأفلام؟ لأنه سيؤدي إلى دمار كامل، المجتمع إذا أطلق يد كل إنسان، يفعل ما يشاء، ينتهي المجتمع، لذلك: حينما قال الله عز وجل:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)

[سورة آل عمران الآية :١١٠]

يعني خيرية هذه الأمة، علة خيرية هذه الأمة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحينما يُهمل الناس هذا الواجب السادس، الذي يعد الفريضة السادسة، تنتهي الأمة، لأن الآية الكريمة:

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)

[سورة الأنفال الآية:٢٥]

أوضح مثل: أن حريقاً شب في حي، لم يقم كل سكان الحي بإطفاء هذا الحريق، الحريق سيأتي على بيوتهم واحداً واحداً، وهذا مثل دقيق: ما لم ننهض جميعاً لمحاصرة المنكر، لإزالة المنكر، للأمر بالمعروف، هذا المنكر يستشري، وتمتد أصوله إلى كل بيت، لذلك ربنا عز وجل عد التواصي بالحق أحد أركان النجاة، قال تعالى:

(وَالْعَصْرِ)

[سورة العصر الآية:١]

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر الآية:٢]

(إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

[سورة العصر الآية:٣]

التواصي بالحق أحد أركان النجاة، ففي توازن، الإنسان حر، وصاحب حق، لكن هناك ما يسمى في الشرع: التعسف في استعمال الحق، هذا الذي يخرق مكانه في السفينة، ليأخذ الماء، يقول لك: هذا المكان مكاني، وأنا أفعل به ما أشاء، فلو أنه ثقب السفينة، لغرق كل من في السفينة، فهذا الحق اسمه: التعسف في استعمال الحق، أنا أستعمل حقي وفق منهج الله، أما أن أتعسف في استعمال الحق، هناك من يرد عني.

أنت حر إلى حد لا تؤذي الجماعة، فإذا آذيتم الجماعة فلست حراً، ويا أيها المجموع، أنتم أحرار إلى حد: أن لا تؤذوا الفرد، فإذا آذيتم الفرد، فأنتم مقيدون، فهذا التوازن الدقيق: بين مصلحة الفرد، ومصلحة الجماعة، موضح في هذا المثل الرائع......

أحياناً: تكون القضية جدلية، أو قضية نظرية، أو قضية مجردة، قضية أفكار دقيقة، لا تتوضح بشكل جلي إلا بالمثل، انظر إلى دعوى هذا الإنسان، يقول: هذا مكاني، الحق مقدس، هذا مكاني، أفعل به ما أشاء، يقول له: إن نحن سمحنا لك هكذا، غرقنا جميعاً، هنا حرية الفرد، وهذا ما يحدث في العالم الآن، كل فرد حر أن يفعل ما يشاء.

في محطات تتحدث في موضوعات لا يمكن أن تكون، إن قلنا: أنت حرة، أن تفعلي ما تشائين، انتهى المجتمع، فلا بد من أخذ التوازن بينهما.

وهذا مثل دقيق: أحياناً: الأسرة في قارب واحد، التعبير حديث: نحن في قارب واحد، بمعنى أن كلاً منا إذا لم يراقب أخاه، ولم ينتبه لأفعاله، يغرق الناس جميعاً، فهذا المثل الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام من أوضح الأمثلة .

ماذا تفهم من هذه الأخبار عن الصحابة في هذا المقام ؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((إنَّ قُرَيشاً أهَمَّهُمْ شَأنُ المرأةِ المَخزوميَّةِ التي سَرَقَتْ -امرأة سرقت، وقريشاً أهمهم شأن هذه المرأة- فقالوا: مَنْ يُكلّمُ فيها رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومَنْ يَجترئُ عليه إلا أسامَةُ بن زَيدٍ، حِبُّ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم؟

-يعني هنا: نضحي بألف امرأة، ولا نضحي بالمبدأ .

سيدنا عمر أسلم في عهده ملك من ملوك الغساسنة اسمه: جَبَلَة بن الأيهم، يعني إسلام شخص عادي شيء، وإسلام ملك شيء آخر، سيدنا عمر رحب به، وهذا مكسب، فهذا الملك بقي بنفسية ملك، أثناء طوافه حول الكعبة، بدوي داس طرف إزاره، فالتفت نحوه، وضربه ضربة هشمت أنفه، انتهى الأمر.

هذا البدوي الضعيف، المستضعف، ليس له غير سيدنا عمر، فشكا إليه، سيدنا عمر استدعى هذا الملك: جبلة بن الأيهم، يعني جرى حوار، أنا أذكره كثيراً:

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟ قال:

لست ممن ينكر شيـــا أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيديا

وفي إنسان صاغه على شكل شعر، قال:

أرض الفتى لابد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه

أو يهشمنَّ الآن أنفـــك وتنال ما فعلته كفـــك

قال:

كيف ذاك يا أميـــــر هو سوقة وأنا عرش وتاج

كيف ترضى أن يخر النجم أرضا!؟

قال له سيدنا عمر:

نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديدا

وتساوى الناس لدينا أحراراً وعبيدا

قال:

كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز

أنا مرتد إذا أكرهتني

قال:

عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبنيه كل صـــدع فيه

بشبا السيف يـــداوى وأعز الناس بالصعلوك تساوى

ارتد جبلة، وسافر إلى بلاد الشام، وتنصَّر، وشرب الخمر، وعاد إلى ما كان عليه.

التعليق على هذه القصة: أن سيدنا عمر، ضحى بملك، ولم يضح بمبدأ، يعني خسارة رجل أهون ألف مرة من خسارة مبدأ، هذه قاعدة .

فهذه المرأة المخزومية التي سرقت-

فقالوا: مَنْ يُكلّمُ فيها رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومَنْ يَجترئُ عليه إلا أسامَةُ بن زَيدٍ، حِبُّ رسولِ اللّه صلى الله عليه وسلم؟ -ورطوه- قالوا: فكلّمَهُ أسَامَةُ، فقال رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: أتَشفَعُ في حدٍ مِنْ حُدودِ اللّه؟ ثم قام فاخْتطبَ، ثم قال: إنَّما أهلك الذين قبلكم، أنَّهمْ كانوا إذا سَرقَ فيهم الشَّريفُ تَركُوه، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وَايْمُ اللّهِ! لَوْ أنَّ فاطمةَ بنْتَ محمدٍ سَرَقت لقطعتُ يَدَهَا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة]

هذا الدين بهذه المبادئ، الإسلام وصل للصين.

يروى أن سيدنا عمر له ابن، زلت قدمه، فأقام عليه الحد، ورجمه، ومات، يقال: قال له:

((أبلغ رسول الله! أن أبي أقام علي الحد))

كان سيدنا عمر إذا أراد إنفاذ أمر، جمع أهله وخاصته، وقال:

((إني أمرت الناس بكذا، ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير؛ إن رأوكم وقعتم وقعوا، وايم الله! لا أوتين بواحد وقع، فيما نهيت الناس عنه، إلا ضاعفت له العقوبة، لمكانته مني))

فكانت القرابة من عمر مصيبة.

مرة رأى إبلاً ثمينة قال:

((لمن هذه الإبل؟ قال: هي لابنك عبد الله، قال: ائتوني به، فلما جاء قال: لمن هذه الإبل؟ قال: هي لي، اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن، فماذا فعلت؟ قال: ويقول الناس: ارعوا هذه الإبل، فهي لابن أمير المؤمنين، اسقوا هذه الإبل، فهي لابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك يا

بن أمير المؤمنين، أعلمت لماذا هي سمينة؟ لأنك ابني، بع هذه الإبل، وخذ رأس مالك، ورد الباقي لبيت مال المسلمين))

فقضية ألا نضحي بمبدأ، ضح بألف إنسان، ولا تضح بمبدأ، وإلا ينتهي الإسلام، ولو فهم الصحابة الإسلام كما نفهمه نحن اليوم، والله الذي لا إله إلا هو، ما خرج الإسلام من مكة، ما وصل إلى المدينة، أما لأنه وصل إلى الآفاق، وإلى مشارق الأرض ومغاربها، لأنه اعتمد على العدل.

يقولون: سيدنا علي، اشتكى عليه يهودي لسيدنا عمر، فكان سيدنا علي مع سيدنا عمر بمجلس واحد، قال:

((قم يا أبا الحسن، فقف إلى جنب الرجل، -صار في دعوى، وصار في مدَّعي عليه، مدَّعى عليه ومدَّعي- فسيدنا علي: تغير لونه، فلما حكم، انتهى الحكم، قال له: يا أبا الحسن، أوجدت علي؟ قال: نعم، قال: ولم؟ قال: لم قلت لي: يا أبا الحسن، ولم تقل لي: يا علي؟ لقد ميزتني عنه))

هذا نوع من التمييز.

قاضي من القضاة، أراد أن يستعفي الخليفة من هذا المنصب، قال له:

((طرق بابي البارحة، وقدم لي الرحى، وأنا أحب الرحى في بواكيره، قلت لغلامي: من الذي قدمه؟ قال: رجل، قال: صفه لي؟ قال: رجل كيت وكيت، فعرف أنه أحد المتخاصمين عنده، قال له: رد له الطبق، رده في اليوم التالي، يقول هذا القاضي: تمنيت أن يكون الحق، مع الذي قدم لي الطبق، مع أنني رفضته، فكيف لو قبلته!؟))

قال لي: يا بني البيت لك (بالهاتف)، -هذه جديدة-، وأنا مقتنع: البيت لك، لكن خصمك، دفع لي ثلاثمئة ألف، إن دفعتهم أحكم لك، هذا قاض جديد؛ لأنه رد الطبق، وتمنى في اليوم التالي، تمنى أن يكون الحق، مع الذي قدم الطبق.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٨-٤٤) : مخالفة بعض العادات الشرع .. النواح على الميت .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بدعة ظهرت في المجتمع الإسلامي :

أيها الأخوة، في المجتمع الإسلامي عادات وتقاليد بعيدة بعداً كبيراً عن أصول الدين، فهذه المرأة التي تحدُّ على أخيها سنة، وتسيء إلى زوجها، هذا عمل ليس من الدين في شيء.

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((الميِّتُ يُعذَّبُ في قبره بما نِيحَ عليه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب]

بعض شرَّاح الحديث، قال: هذا الميت: ما علم أهله السنة، ما علم أهله كيف ينبغي أن يقفوا حينما يموت قريباً لهم، فالنياحة، وشق الثوب، ولطم الوجه، ورفع الصوت، هذا كله من دعوى الجاهلية؛ لأن قبول قضاء الله وقدره جزء من الدين.

النبي عليه الصلاة والسلام، حينما مات ابنه إبراهيم بكى، قالوا:

((أتبك؟ قال: إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول ما يغضب الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزنون))

الدين ما منعك أن تحزن، لكن منعك أن ترفع صوتك، منعك أن تخمش وجهك، منعك أن تلطم خدك، منعك أن تمزق ثوبك، لأن هذا رفض لقضاء الله وقدره، أما هذا البكاء طبيعي جداً، الإنسان إنسان، عواطفه عواطفه، وقد يكون المتوفى غالياً جداً، فالموقف المعتدل.......

فهذه التي تنوح على زوجها، وتلطم خدها، وتمزق ثوبها، وتشد شعرها، وتخمش وجهها، هذه لا تعرف الله عز وجل، لا تحترم قضاء الله وقدره .

وفي رواية ثانية في شرح آخر:

((إنَّ الميتَ يعذَّب ببكاء أهله عليه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن ابن أبي مليكة]

إذا كان من أهل الإيمان، ورأى مقامه في الجنة، وانتقل نقلة نوعية من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فإذا رأى أهله يبكون، يتألم لألمهم الفارغ، هو في جنة، هم يتألمون على مغادرة الدنيا، وما الموت في حكم المؤمن، إلا خلع ثوب مهترىء؛ شاب حيوي، يرتدي ثوباً مهترئاً، خلعه، وارتدى ثوباً جديداً، هذا الموت، ولا يزيد عن ذلك أبداً؛ لذلك:

(بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

[سورة آل عمران الآية:١٦٩]

كلمة (فقيدنا): خطأ، ليس لها معنى، كلمة (فقيدنا): يعني انتهى، لا، هو لم ينته بكامل حياته، أحياء، ماذا يعني أنا حي؟ يأكل، ويشرب، ويتمتع:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ)

[سورة آل عمران الآية:١٦٩]

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:

((أُغْمِيَ على عبد الله بنِ رواحة، فجعلت أخته عَمرةُ تبكي: واجبلاهُ ــكان مثل الجبل، والآن يقولون: جسر وانهد، ويتكلمون كلمات كلها شرك، نعم- واكذا، واكذا، تُعَدِّدُ عليه، فقال حين أفاق: ما قُلتِ شيئاً إلا قيل لي: أنتَ كذلك؟))

[أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير]

وسبحان الله! يعني تجده مهملاً في حياته، تغيب شهرين عند ابنتها، ثلاثة أشهر، تعمل عمرة عند ابنها، تغيب سنة، وقد تركته، أثناء موته، صار جسر ....

في عالم عنده دعابة، أحد علماء دمشق، توفي رحمه الله، مشى في جنازته مليون شخص، وكان في درسه ثلاثون شخصاً، فهذا العالم من دوما، قال لهم: أنا مسامحكم بالجنازة، تعالوا احضروا، وأنا حي، في حياته ثلاثون طالب علم في جلسته، لما مات، مليون مشوا في جنازته، عند الناس الحي مطموع فيه، لما يموت، صار جسر البيت، ويتكلمون عنه كلاماً، صار في مبالغة، هذا ليس من الدين في شيء.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((اثنتان في الناس هُمَا بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

في نساء يخرجن بقميص النوم للطريق أثناء خروج الميت من البيت، مجانين، من دون شيء على رأسها، وتشد شعرها، وتولول، وتصرخ، هذا كله من دعوى الجاهلية، وهذا كله زعبرة الشيطان، هذا قرار الله عز وجل، تحب الله، احترم قراره، الذي يحب الله، يحترم قراره، هذا قضاء وقدر.

أمر ليس بمستبعد :

أيها الأخوة، أنا سمعت -لكن ما وجد هنا النص- بعض الصحابة حتى يعلنوا عن طاعتهم لله، كانوا عقب وفاة أحد أقربائهم يتزينون، يعني: نحن يا رب، راضون بقضائك وقدرك.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت:

((لما مات أبو سَلَمَة قلت: غريب، وفي أرض غُرْبة لأبْكِيَنَّهُ بُكاء يُتَحَدَثُ عنه –يعني أريد أن أبكي بكاء، يتعجب الناس منه - فكنتُ قد تَهَيَّأتُ للبكاء عليه، إذ أقبلَتِ امرأة من الصعيد، تريد أن تُسعِدَني، فاستقبلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتريدين أن تُدخِلي الشيطان بَيْتاً أخرجه الله منه؟–هذه التي تنوح بالأجرة نائحة، مستأجرة، قالوا: ليست النائحة كالثكلى، هكذا العرب، كانوا في الجاهلية، يستأجرون واحدة، تبكي معهم، لكي يعملوا ضجيجاً- فقال: أتريدين أن تُدخِلي الشيطان بَيْتاً أخرجه الله منه؟))

[أخرجه مسلم عن أم مسلمة]

فتجد المؤمن إذا كان صار في وفاة؛ في هدوء، في بكاء، لكن لا يوجد صوت مرتفع، لا يوجد تصرفات شاذة، لا يوجد حركات غير مقبولة، هذه من السنة، والإنسان يعلم أهله تطبيق السنة، وإلا يحاسب عنهم، كلما بكوا أكثر يتعذب.

وعن زينب بنت أبي سلمة قالت:

((دخلت على أمِّ حبيبة زوج النبيِّ صلى الله عليه وسلم، حين تُوُفِّيَ أبوها أبو سفيان بن حرب – أم حبيبة زوج النبي، وهي بنت أبي سفيان، فلما توفي-، فدعت أمُّ حبيبة بطِيب فيه صُفْرَة، خَلُوق أو غيرُه، فدَهَنت منه جارية، ثم مَسَّت بعَارِضَيْها، ثم قالت: والله، ما لي بالطِّيب من حاجة، غير أني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يقول على المنبر: لا يَحِلُّ لامرأة تُؤمِنُ بالله واليوم الآخِر، أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاثَ لَيَال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن زينب بنت أبي سلمة]

في أسر بدمشق، يستمر الحداد سنتين، كل أربعاء يستقبلون المعزين، وإلى متى!؟ كل أربعاء، كل اثنين، كل أحد، كل جمعة، ويلبسون السواد، وصار في عبوس، وجو كهنوت، وجو حزن، والزوج أغلق على قلبه بهذه المشكلة، على الزوج فقط: (أربعة أشهر، وعشرة أيام)، ما سوى الزوج (ثلاثة)، ولا يجوز أن تزيد عليه، ولا يوم، ولا ساعة.

فهذه السيدة أم حبيبة، دعت بطيب بعد أيام ثلاثة، دهنت جاريتها، ومست عارضيها، وقالت:

((والله! ما لي بالطيب من حاجة، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يَحِلُّ لامرأة تُؤمِن بالله واليومِ الآخِرِ، أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاثَ لَيَالٍ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً))

[أخرجه البخاري ومسلم عن زينب بنت أبي سلمة]

قف عند هذا الكلام :

أيها الأخوة، يقين المؤمن بعقيدته، أن الإنسان له أجل، لا يزيد ولا ينقص، حتى المقتول، قتل في أجله، وفي يومه، هذا الشيء مريح، المرض لا يقرب الموت، والصحة لا تبعد الموت، الموت قضاء وقدر، لحكمة بالغة، الله عز وجل أعطى كل إنسان أجل، فمن لم يمت بالسيف، مات بغيره، تنوعت الأسباب، والموت واحد.

علينا أن نراجع كل عاداتنا وتقاليدنا، في عادات ما أنزل الله بها من سلطان .

في الأعراس: تجد أسرة مسلمة، محافظة، ينبغي على العريس أن ينصمد أمام مئتي امرأة؛ كاسيات، عاريات، ضمن المسلمين هذا، وإذا لم ينصمد، يكون في عيب، معناها: إذا الإنسان لم يركل بقدمه العادات والتقاليد، التي تتناقض مع الإسلام، لا يكون مسلماً .

دائماً يقولون: الإنسان من ضعفه يخضع للبيئة، أما عظماء الناس يخضعون البيئة لهم.

الآن في عرس: يضعون أغاني صارخة، ما الذي يمنع أن يكون العرس فيه موعظة بليغة من داعية فرضاً؟ ما الذي يمنع في العرس: أن يكون في مديح لرسول الله بصوت منخفض؟ تجد في مستوى ذوق عال جداً.

أنا أعرف أعراساً، لكنها قليلة جداً، سمعت عنها، يعني فرقة نشيد في البيت، طبعاً الصوت غميق، لا يصل أبداً للخارج، فرقة نشيد لطيفة، وداعية كبيرة، هذا العرس الإسلامي، وكل النساء يرتدين جلابيب، لا يوجد تخلع في الثياب من قبل النساء، البيت لا تعرفه، معروف البيت، لا يوجد حاجة للتبذل، فما الذي يمنع العرس أن يكون منضبطاً في ثياب المدعوات، وفيما يلقى على الناس؟ في موعظة، وفي مديح لرسول الله عليه الصلاة والسلام .

حضرت من مدة عقد قران، أتوا بثلاثة خطباء متتابعين، ألقيت كلمات عميقة جداً، الجلسة هذه؛ جلسة دعوة إلى الله مكثفة، وقدمت الضيافة، ينبغي أن تقدم قطعة سعرها ألف ليرة، وأنت دعوت: ثمانمئة ألف.....

أخ من أخواننا، لفت نظري، يريد أن يتزوج، قال لي: عندي قطعة أرض بالغوطة، فاوض عامل باطون، قال له: خمس وخمسون ألفاً، تكلف من المواد، غرفة ومنافعهم، وقال: أجرتي أقرضك إياها، أقل بيت سمعت عنه في حياتي: خمس وخمسين ألفاً؛ أربعة حيطان من دون أثاثات، ومنافع، وتزوج، فإذا ثمانمئة ألف على مئة، قسمهم، يتزوج ثمانية شباب.

إذا كان إنسان –مثلاً-: عنده أرض لوالده، نعمل له غرفة، ومنافعهم، زوجناه، عملنا أسرة، ضبطنا المجتمع، تسمع عن عرس خمس وثمانين مليون، يعني يزوج ثمانمئة شاب، ثمانمئة أسرة تؤسس، ما ينفق في ليلة واحدة، يغطي نفقات ثمانمئة أسرة، فالكفار إذا أمسكوا المال، أمسكوه بخلاً وتقتيراً، وإن أنفقوه: أنفقوه إسرافاً وتبذيراً، نعم .

الآن: بدأت...... في طالب من طلاب المسجد، يبدو حالته رقيقة جداً، ماذا وزع على المكتب؟ أخذ ثمانية أشرطة، أسماء الله الحسنى، ووزع، عمل له طباعة لطيفة، عقد قران فلان، شريط سعره ثلاثون ليرة، يكفي، قضية رمزية، والإنسان انتفع بهذا الشريط، إنسان يقدم كتاب.........

حضرت عقد قران، الرجل من أغنياء دمشق قال: نحن لم نقدم هدية إطلاقاً، لكن أودعنا مع الدكتور فلان، أحد علماء دمشق، مليون ليرة، لتوزيعها على شباب المسلمين، يعني مليون ليرة حق قطعة فضة، في ثمانمئة بألف، قد دعا حوالي ألف شخص، مليون شخص، عوضاً من أن نضع في خزانتنا قطعة فضة، ولا يوجد محل أساساً، يزوج بمليون ليرة عشرة شباب، والله شيء جميل، يقدم كتاب......

في أحد أخواننا أيضاً: بعث بطاقة الدعوة، يوجد معها بطاقة وصل لمعهد شرعي بداريا بمئتي ليرة، بألفي ليرة، كل شخص قد دعا حوالي ثمانين، مئة وستين ألفاً، أنا أهديتك باسمك وصلاً، لبناء معهد شرعي عريق، قلعة من قلاع الإسلام، هكذا نريد أن نفكر.

أخواننا الكرام، الآن: إذا لم يفكر المسلمون تفكيراً جدياً، لحل مشكلة الشباب، سوف تصبح الشام كلها بيوت دعارة، هذا كلام دقيق:

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

[سورة الأنفال الآية:٧٣]

هذه الشهوة متغلغلة بأعماق النفس، هذه سر بقائه في الحياة، الإنسان يأكل، يحافظ على وجوده، يتزوج، يحافظ على بقاء النوع، فالله عز وجل أودع في الإنسان الشهوة بشكل عميق جداً، فلما نتجاهل هذه الحاجة، نقع بإشكال كبير جداً، فينبغي أن يكون في حركة؛ حركة معاونة الشباب، حركة تزويج الشباب.

كثير في أخبار أسمعها، طيبة، رجل بداريا، أنا لا أعرف شكله، ولا اسمه، لكن أكبرته، أكبرته جداً، عمَّر أربعة، خمسة أبنية، ويوجد في كل بناية عشرين شقة، وهبهم للشباب، طبعاً بأجرة، عمل سعر الشقة ألفي ليرة بالشهر، شيء مقبول، أقل معاش خمسة آلاف، وضع ألفين، عاش بثلاثة، سكن في بيت، أسس أسرة، أربعة أبنية بداريا، ممنوع أن يباعوا (للأجار فقط)، يعني للمؤمنين، للشباب المؤمنين، تقريباً هذا: حل مشكلة، فينبغي أن تحل مشاكل الشباب بشكل أو بآخر؛ بالتعاون، بتخفيف المهور.......

الآن: أسمع بدو ببعض الدول الإسلامية، تصير مثلاً: جمعيات ضخمة، كيف عندنا جمعيات ضخمة؛ من أجل رعاية الأيتام، من أجل معالجة المرضى، صار في جمعيات ضخمة: لتزويج الشباب، يعملون محاضراً ضخمة؛ خمسمئة شقة مثلاً، يصبح عرساً واحداً جماعياً، خمسمئة شاب بعرس واحد، النفقات تقسيم خمسمئة، لا شيء يصبح تقريباً.

فكل إنسان إذا كان قدم شيئاً للمسلمين، إذا لم يطلب من صهره، مطالب عالية جداً، قال له:

((وما أريد أن أشق عليه))

نهاية المطاف :

أيها الأخوة، فقصدي في الدرس: يوجد عندنا عادات للزواج، عندنا تقاليد بالوفاة، بالتعازي، كلها ما أنزل الله بها من سلطان، يقولون: فوق همك، وفوق أن أباك ميت، ومسحوق سحق، تريد أن تعمل طعام الغداء للذين وقفوا معك، وطلعوا بالجنازة، هذا خلاف السنة، النبي قال:

((اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فإنه جاءهم ما يشغلهم))

ادع مئة شخص، وائت بطعام من السوق، وتغلب، وهو لا يرى دربه، هذا خلاف السنة أيضاً؛ أول خميس، وأول أربعين، لمدة سنتين زمان، وكله ليس له أصل، ليس له وجود أساساً، فالإنسان عليه أن ينتبه، بالمناسبات: الفرح والحزن، النبي سنَّ لنا هذه الأشياء، يجب أن نتقيد بها، وإلا مثلنا مثل الآخرين.

أشعر في بعض الأخوان، يعملون وصية دقيقة جداً، إذا توفيت لا أحد يبكي، لا أحد ينوح، لا تفعلوا كذا، لا في خميس، لا في أربعين، هذا كله يلتغى، مثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، والإسلام بسيط، ومريح، ومتوازن .

أحياناً: تجد لكي يلبي التقاليد والعادات، يجعل عليه مئتي ألف دين، يكون شاباً يتيماً، الأب لم يترك شيئاً، لمدة سنتين، ثلاثة ديون، حتى قال: والله أطعمناهم الظهر .

أحياناً: طعام الغداء يكلف خمسين ألفاً، وعملنا أول خميس، وثاني خميس، ومظاهر فارغة كلها، تحمل الأيتام ديناً فوق طاقتهم، فلا بد من أن نتحرك حركة إسلامية.

سمعت بعض القرى بالغوطة، أعجبني الموقف: اجتمع الوجهاء، وقرروا: أعلى مهر ساعة، وخاتم خطبة فقط، هذه الصيغة، كلما ترفع النفقة تضع عقبات، كلما خففت النفقات، صار الزواج ميسراً.

أبلغني أحد أخواننا (قضاة الشرع)، اجتهاد محكمة النقد الآن: البيت الشرعي، الذي تُجبر الزوجة على أن تتابع زوجها فيه: غرفة في بيت أهلها أو أهله، مع سرير وخزانة فقط، هذا اجتهاد محكمة النقد .

الآن: هذه الغرفة، هي مسكن شرعي، وعلى المرأة أن تتابع زوجها فيه، أما عندنا نحن تقاليد، والعياذ بالله، مثلاً: إذا كانت الزوجة لا تصلح زوجة، معها مرض عضال، وفكر أن يتزوج زوجها، كأنه ارتكب جريمة، تطلب الطلاق فوراً، أنت مريضة بالفراش، إذا كان بقيت على عصمته، ومعززة مكرمة، هو حل مشكلته، حتى لا يعصي الله بزوجة ثانية، هذه يسموها بعض العلماء: حبة التسمية، إسلام بابوي، يعني إسلام نصراني، كأنه ارتكب جريمة، لم يرتكب جريمة أبداً، فكل امرأة أيضاً، ترفض حكم الله عز وجل، هذه امرأة جاهلة.

سمعت حواراً مفتوحاً بإذاعة أجنبية، على الهاتف يسألوه، فسألوا دكتورة في مصر عن رأيها في التعدد، قالت: أنَّى لي أن أقول رأياً في التعدد، وقد سمح الله به؟ من أنا حتى أعطيكم رأيي في التعدد، إذا الله سمح فيه؟ .

المؤمن يحترم شرع الله عز وجل، طبعاً إذا إنسان عنده زوجة، وارتاح معها، لا يوجد حاجة، أما إذا في حاجة قاهرة، لا تقبل إلا لتطلق، حتى زوجها يحل مشكلته، لا تقبل، هذه جاهلية، ضمن المسلمين في جاهلية، ضمن حياتنا، ضمن رواد المساجد، لا يعطي البنت، هذا المال ذهب للصهر، هذا كلام جاهلي، ابنتك هي صلبك، إذا جعلت لها مبلغاً، وأخذت فيه سيارة، هي وزوجها، وتمتعت في الحياة، تكون قد غلطت، فقط لابنك كل شيء، أكثر الناس: كل الشيء للذكور، الإناث ما دام متزوجة، ليس لها شيء، طيب: لها حق عندك.

كل إنسان: يغير شرع الله عز وجل؛ يمنع، يعطي بغير النصوص الشرعية، هذا إنسان جاهلي.

فأنا لم أرد فقط: موضوع النياحة، أردت أن أوسع الموضوع، الشرع له قواعد صارمة دقيقة في كل شيء، حتى في المناسبات الحزينة والسعيدة، يجب أن تطبق، وإلا لسنا مسلمين، صار عندنا إسلام استعراضي، إسلام بروتوكولي، يعني: أنا مسلم، ثيابي إسلامية، مظاهري إسلامية، بالأعياد نعمل ترتيبات معينة، أما في التعامل اليومي، لا يوجد إسلام.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٢٩-٤٤) : صلة الرحم .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة :

أيها الأخوة، مثل تركيبي مركب: لو أن الإنسان أُرسل إلى بلد غربي لينال الدكتوراه، وقد وعد إذا رجع، أن يكون في أعلى منصب، وأن يعطى أجمل بيت، وأن يقترن بأجمل امرأة، وهو فقير، فالوعود مغرية، والوعود تقترب من المستحيل أو الخيال، هذا ذهب لبلد غربي؛ فرنسا، انكلترا، أمريكا، بمدينة، كم خيار أمامه؟ أمامه آلاف الخيارات، في خيار واحد مُسعِد له، هو أن يدرس الدكتوراه، أما في مسارح، في ملاه، في نوادي ليلية، في حدائق، في مكتبات، في تجول بالأسواق، في استلقاء في الفراش، في قراءة قصص، أمامه آلاف الخيارات، أما كل هذه الخيارات طرق مسدودة، ويبقى فقيراً، ويبقى صغيراً، ويبقى مغموراً، أما إذا قرأ فقط، ودرس، ونال الشهادة، حقق أحلامه كلها، فهو في هذا البلد، في شيء واحد يُسعده، والأشياء الباقية كلها لا تسعده، بل تشقيه، بل تجعله يندم أشد الندم.



الآن: نحن في الدنيا، كم خيار أمامنا؟ هذه المدينة أمامكم؛ ممكن أن تعمل سهرة، ممكن أن تعمل سياحة، ممكن أن تعمل بيتاً فخماً، ممكن أن تنغمس إلى قمة الرأس في الملذات، ممكن أن تسعى إلى مركز عال جداً، وممكن أن تعرف الله، معرفة الله وحدها: الطريق السالك إلى الجنة، والطرق كلها مغلقة، لكن متى تشعر أنها مغلقة؟ عند الموت، عند الموت، الإنسان يرى مكانه في النار، فيقول: لم أر خيراً قط، يكون واصلاً إلى أعلى مرتبة في الدنيا، ومستمتعاً أعلى استمتاع، يقول: لم أر خيراً قط .

فأنا الذي أتمناه: كيف أن هذا الطالب الفقير، المغمور، التعيس، موعود بأعلى منصب، بأجمل بيت، بأجمل مركبة، بأجمل زوجة، إذا نال الدكتوراه؟ فصار عنده هاجس، أن كل شيء يقربه من الدكتوراه يفعله .

مثلاً: هو لغته ضعيفة، لقي صديقاً لغته قوية، فجلس معه، يستفيد من لغته، هذه لها علاقة بالدكتوراه، اشترى كتاباً من اختصاصه، قرأه، دخل لمكتبة ليبحث عن مراجع اختصاصه أيضاً، عنده حوالي مئة خيار، لكن كلها تؤدي لهدفه.



هكذا المؤمن، بعد أن يعرف الله عز وجل، لا يوجد غير هدف واحد، أن يعمل عملاً صالحاً، يكون سبباً لدخول الجنة، فحجمك عند الله بحجم عملك الصالح، والأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

الشيء العجيب في الإسلام: أن العادات.... الآن: خمسة آلاف مليون إنسان؛ يستيقظون صباحاً، يذهبون إلى أعمالهم، يعملون ثماني ساعات، يرجعون إلى بيوتهم، يتناولون طعام الغداء، ينامون بعد الظهر، إذا كان في مجال، يستيقظون مساء، عندهم سهرة، لقاء، زيارة، يرجعون، ينامون، يستيقظون صباحاً، هذا العمل اليومي الممل عند المؤمن ينقلب إلى عبادة، العادات تصبح بعد معرفة الله: عبادات، والعبادات الصرفة: إذا لا يوجد معها إيمان بالله، تصبح آثاماً طبعاً؛ الصلاة في معها نفاق، الصيام في معه نفاق، رياء، فالعبادات المحضة تصبح آثاماً، والعادات المحضة تنقلب إلى عبادات بالنوايا الطيبة، فهذه مقدمة.



المؤمن عنده هدف واحد، ممكن يسهر للساعة الواحدة، ممكن يبذل ماله كله، ممكن يتعب تعباً شديداً، لكن كل هذه

النشاطات، تصب في خانة واحدة، تصب في حقل واحد، القرب من الله، يوجد في الكون حقيقة واحدة، القرب من هذه الحقيقة: هو السعادة، البعد عنها.....

مرة شيخ سأل تلاميذه قال له: يا بني! لماذا تغض بصرك عن النساء؟ ففي تلميذ جوابه غير صحيح، قال: أنا سيدي، لا أحب أن أنظر، أكره، أرى أن الفتاة شيء يدعو للتقزز، قال له: لا، الكلام غير صحيح، هذا خلاف الفطرة، الله عز وجل قال:

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)

[سورة آل عمران الآية:١٤]

المرأة محببة، أي امرأة محببة، فالنظر إليها، ليس يدعو للتقزز إطلاقاً، سأل ثانياً، سأل ثالثاً، فجاءه الجواب: أنا كنت حاضراً، أعجبني هذا الجواب، قال: أنا لي صلة بالله، فإذا نظرت إلى امرأة لا تحل لي، انقطعت هذه الصلة، فحرصي على دوام هذه الصلة، يحملني على غض البصر، حرصي على دوام هذه الصلة.........غض البصر أيضاً، الإنسان إذا ذاق طعم القرب.........

في طريقة بالتربية: أن هذا الطالب، عليك أن تدفعه إلى عمل عظيم، نحن طبقناه، فينبغي أن تريه شيئاً من المتعة البريئة، تأخذه إلى مكان جميل، يسبح، يأكل، يسعد، لكي تذوقه هذا، بقي أن تجعلها بعد ذلك للمتفوق، إذا لم يذقها، لا يسعى إليها، يجب أن يذوق المتعة، هذه بعد ذلك، تجعلها لمن يتفوق على أقرانه؛ بحفظ القرآن، بأداء الواجبات الدينية مثلاً .



فأول شيء: الله عز وجل يذوق المؤمن طعم القرب، شيء لا يوصف؛ طمأنينة، سعادة، قرب من الله، شعور بالرضا، بالأمن، بعد ذلك يحجبه الله عز وجل، كلما ارتكب خطأ يحجبه، أذاقه أولاً حتى علقه، بعد أن علقه، الآن يؤدبه.

هذه كلمة تقديم: إن الإنسان في الدنيا، خلق من أجل أن يعمل العمل الصالح، والعمل الصالح: هو الذي يرفعه عند الله عز وجل، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح، والإنسان حينما يموت: لا يمكن أحد أن يتكلم عن متاعه الدنيوي، يتكلمون عن أعماله الصالحة.



مرة توفي شخص، حضرت الجنازة، صلوا على الجنازة، كان أستاذه يحضر الجنازة، أحب أن يتكلم عنه، قال: أخواننا الكرام، أخوكم كان مؤذناً، ترحموا عليه، فهو عنده معامل، وعنده نشاطات في الدنيا واسعة جداً، يتحدث عنه عشر ساعات، لكن كله في الدنيا، أما في الآخرة؛ ما في غير مؤذن، فأنا انصدمت؛ أن الإنسان يعمل عملاً، يتحدثون عنه فقط دقيقة، ستين ثانية، خمس ثوان، انتهت العملية كلها.

فعند الموت: لا يوجد مساحة بيته، عند الموت: لا يوجد نوع مركبته، لا يوجد عند الموت: أين كان يقضي الصيف؟ هذا كله لا قيمة له عند الموت، أما عند الموت: ماذا ترك من أثر طيب؟ هل ترك علماً ينتفع به؟ هل ترك ولداً صالحاً يدعو له؟ هل ترك صدقة جارية؟.

الإنسان ما دام لا يوجد عنده مشكلة بصحته، قضية الموت قضية تخيلية، لكن ليس قضية واقعية، أما لما يشارف على مغادرة الدنيا، يمكن أن يضطرب اضطراباً، ليس بعده اضطراب، الإنسان لما يشعر أنه سوف يخرج بلا رجعة، والمرض قد يكون هو الذي ينهي حياته، يعد للمليون قبل أن يقترف معصية .

ما مفهوم صلة الأرحام كما وردت في الأحاديث :

١-أن تدعو أقرباءك إلى الله :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليصل رحمه))

[ورد في الأثر]



وصل الرحم مقترن مع الإيمان بالله، واليوم الآخر، أنا ذكرت سابقاً، صلة الرحم يفهمها الناس فهماً مضحكاً، مفرغاً من مضمونه؛ يزور أخته، أخته تسرع في ضيافته، تقدم له الفواكه، القهوة، الشاي، لأنه زارها، ما الذي جاءها من الزيارة؟.

صلة الرحم: تفقد الأهل، صلة الرحم: معاونة الأهل، صلة الرحم: الأخذ بيدهم إلى الله، هذه الصلة، يكون في ذهنك شيء، أنا سوف أزور أختي، أريد أن أزور بناتها، أولادها، لعلهم يحتاجون إلى شيء مثلاً، لعلهم يحتاجون لنصيحة، لتوجيه معاونة.

فلما أنت تأخذ بيد أهلك إلى الله ورسوله، تكون قد وصلت رحمك، تبدأ بالزيارة، تسير في طريق التفقد؛ تفقد أحوالهم المعيشية، والاجتماعية، والدينية، تنتهي بإيصالهم إلى الله عز وجل، هذه صلة الرحم، وكل إنسان يفهمها فهماً آخر، يكون فهماً غير صحيح.

ممكن إنسان يكون مصدر سعادة لمن حوله من أقربائه؛ له أخوات، له بنات أخوات، فإذا زار بنات أخواته، واهتم بهن، ووجههن، ونصحهن، وهن احتفلن به، أصبحت الزيارة طريق إلى الله عز وجل.

صلة الرحم التي يعوّل عليها الإسلام، أنه ربطها بالإيمان .

٢- صلة الرحم تزيد في رزق الواصل :

الشيء الثاني: في شخص كبير العائلة، دائماً عميد العائلة، ملاذ العائلة كلها؛ شاب يريد أن يتزوج، يطرق بابه مثلاً، امرأة مطلقة، تطلب منه أن يساعدها مثلاً، عنده مشكلة، إنسان مريض بأسرته، هو يدفع عنه العملية، فهذا هو كبير العائلة، والذي له هيمنة على العائلة كلها؛ هيمنة عطف، وهيمنة رحمة، وهيمنة إحسان، ينبغي أن يمده الله عز وجل برزقة إضافية، ليلبي الطلبات.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((مَن سَرّه أن يَبْسُط الله له في رزقه، وأن يَنْسَأ له في أثره: فلْيَصِلْ رحمه))

[أخرجه البخاري والترمذي عن أبي هريرة]

الحديث الثاني: الصلة؛ زيارة، تفقد، دعوة إلى الله، الآن: الصلة رزق وفير، وهذا شيء ثابت .



كل إنسان يخرج من دائرة أسرته إلى دائرة أقربائه؛ أعمامه، أولاد أعمامه، أخواله، أولاد أخواله، عماته، أولاد عماته، يخرج من دائرة ذاته لدائرة أقربائه؛ خدمة، ورعاية، واهتماماً، ومعاونة، هذا ينبغي أن يعطيه الله عز وجل حسب وعده رزقة ميسرة، لكي يقدم هدايا بالمناسبات، لكي يستطيع أن يلبي، هذه لا يوجد عندها وقود أول الشتاء، هذه لا يوجد عندها ألبسة لأولادها للمدارس، وهذه لا يوجد عندها ..... أخواته جميعاً. فلما الإنسان يتصدى لصلة رحمه، فالله عز وجل يزيد في رزقه، يقول له: أنت ستخدم أهلك، لكن على حسابي، ليس على حسابك، يعطيه رزقة إضافية استثنائية، وهذا شيء ملاحظ ...... أعرف أناساً دخلهم كبير جداً؛ لأنه لا يوجد مشكلة كبيرة، إلا ويضعون لها حلاً، ملاذ الأسرة كلها، هذا دور كبير جداً، يكون شخص ....

إذا أحب الله عبداً، جعل حوائج الناس إليه.

لما تكون الحوائج إليك: صار عندك سلطة روحية عليهم.

أنا لا أنسى هذه القصة، مع أنني قلتها لكم كثيراً: أحد أخواننا وصل رحمه، كان عند أخته، وجد في مشكلة بالبيت: على ثلاثمئة ليرة في الشهر، أحب أن يحل المشكلة، قال: أنا أدفع المبلغ، خذي مني كل شهر، فصار يدفع كل شهر ثلاثمئة ليرة، بعد ستة أشهر طلبت أخته منه، أن يعمل درساً لبناتها، جاء البنات، وبنات الأخوات، صار في درس أسبوعي لبنات أخواته، كلهن صبايا، فهو ليس له علاقة بالتدريس إطلاقاً، هو مهندس، قال لي: والله صرت أحضر نفسي، سمعت آية، أتابع تفسيرها، ركز حاله؛ بآية، حديث، قصة، يجمعهن لمدة ساعة، كل جمعة لمدة ساعة. أول شيء: معظمهن ارتدين الحجاب، بعد ذلك: تزوج بعضهن من أزواج مؤمنين أطهار، بدت منه بثلاثمئة، انتهت بالدعوة إلى الله، بدت بعدة أسر، تقيم أمر الله في البيت، شغلة كبيرة، هذه صلة الرحم.



كل إنسان عبد الإحسان، أما هذه، كيف حالك يا أختي؟ فقط كلمة، لا يخرج منك شيء أبداً، ما هذه الصلة؟ أما صلة الرحم: معاونة، تفقد.

لك أخت غنية جداً، ليست بحاجتك، إذاً: دعوة إلى الله، إذا لم تكن بحاجتك: دعوة إلى الله؛ إما معاونة، وإما دعوة، أما فقط سؤال، وزيارة، ضيافة، وحديث بالدنيا، ليست هذه صلة الرحم.

قال:

((إن أعرابياً عَرَض للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو في سفر، فأخذ بخِطام ناقتِهِ -أو بزمامِها-، ثم قال: يا رسولَ الله! -أو يا محمد- أخبرني بما يُقرّبني من الجنة، ويُباعدُني من النار، قال: فكفّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: لقد وُفِّقَ -أو لقد هُدِيَ- قال: كيف قلتَ؟ قال: فأعاد، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: تعبدُ الله لا تُشْرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتَصِلُ الرّحِمَ))

[أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه:

((إن اللهَ خَلَقَ الخلق، حتى إذا فَرَغ منهم، قامَتِ الرّحِمُ، فأخذت بحَقْو الرحمن، فقال: مَهْ؟ قالت: هذا مقامُ العائِذ بكَ من القطيعة، قال: نعم، أمَا تَرضينَ أن أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأقطعَ مَنْ قطعَكِ؟ قالت: بلى، قال: فذلك لكِ))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

٣- من هو الواصل ؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ: مَنْ إذا قطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الآن: في بروتوكول بين الناس، بالتعبير الجديد: أخي عنده زيارة، يزورني أزوره، أعطاني هدية أهديه، زارني أزوره، زار أولادي في العيد، أزور أولاده في العيد، عمل لي عزيمة، أعمل له عزيمة.

قال: ليس هذا الواصل، الواصل: من إذا قطعت رحمه وصلها، لقول النبي الكريم:

((أمَرَنِي رَبّي بِتِسْع: خَشْيَةِ الله في السِرّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصِلَ مَنْ قطعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمّنْ ظلمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

[ورد في الأثر]

حديث آخر: أن رجلاً قال:

((يا رسولَ الله! إن لي قرابة، أصلِهُم ويقطعونني، وأحْسِن إليهم ويُسيئُون إليّ، وأحلُم عنهم، ويجهلون عليّ؟ قال: لئن كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهُم الملّ -الملّ: الصفوة الساخنة الحارة- ولن يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دُمتَ على ذلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

في أهل أقوياء جداً؛ كلما أحسنت يسيئون، تتقرب يقطعون، تقدم لهم هدية يرفضوها، إساءة واضحة جداً، فأنت أد الذي عليك، واطلب من الله الذي لك.

٤- مصير قاطع الرحم :

آخر حديث:

((لا يَدْخُلُ الجنة قاطِع))

[أخرجه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم]

قاطع الرحم: الجنة محرمة عليه .

هذه هي أهم أربعة معان في الموضوع .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٠-٤٤) : الدين النصيحة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إليكم مناسبة ذكر هذين الحديثين لموضوعنا هذا :

النبي عليه الصلاة والسلام، أحياناً: يعطي تعريفات للإسلام جامعة مانعة، والإنسان أحيانا يحب الإيجاز .

قال عليه الصلاة والسلام:

((الدِّينُ النصيحة))

[أخرجه البزار في مسنده]

لو شاهدنا إنساناً، يغش المسلمين، النبي قال:

((ليس منا))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة]

يغشهم في بيعهم، أو شرائهم، في بضاعتهم، أو يغشهم في التوجيه؛ التوجيه ليس لله، لمصلحة إنسان.

فالغش أقل أنواعه: ما كان غشاً في البضاعة، لكن الغش في العقيدة خطير جداً، الإنسان ممكن أن يتكلم كلاماً لصالحه، أو كلاماً لصالح جهة معينة، ويقتنع هذا الإنسان، جاءك بريئاً، مستسلماً، واثقاً من كل ما تقوله له، فكان التوجيه ليس لله عز وجل، لصالح جهة أرضية، أو لصالح إنسان معين، بهذه الطريقة يكون قد غشه، وحينما يغش الناس في دينهم، هذا الذي يفعل ذلك: ليس فيه ذرة إيمان؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ليس منا))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة]

هذا من أشد أنواع الردع، أن ينفي انتماءه للمسلمين.

((ليس منا من غشنا))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة]

((من غشنا فليس منا))

[أخرجه البزار في مسنده]

((ليس منا من غش))

[أخرجه مسلم وانو داود والترمذي عن أبي هريرة]

الدين: في صلاة، وصوم، وحج، وزكاة، وغض بصر، وتحري الحلال، الدين تقريباً: مئة ألف بند، تقريباً: مئتا ألف بند، لكن أحياناً: في بند واحد، يلغي الدين كله.

مرة قلت: إنسان جاءه ضيوف، لا يوجد عنده شيء، عشرة ضيوف، عنده كيلو لبن، والدنيا صيف، ممكن أن يضربه بخمسة كيلو ماء، ويضع له قليلاً من الملح، والبوظ، صار عيراناً، وشيء طيب، هذا اللبن تحمَّل عشرة أضعافه ماء، لكن لا يتحمل نقطة كاز واحدة، نقطة واحدة بالقطارة، ترميه في الخارج كله.

فالدين فقراته كثيرة جداً، لكن في أعمال لو فعلتها، معناها: لا يوجد فيك جنس الإيمان، كيف بعالم الطب، لو شخص قال: كلما تأكل ملحاً أكثر، ينزل ضغطك، معناها: هذا ليس طبيباً، التغت شهادته، ولا ممرض، ولا إنسان مثقف، شيء بديهي في الطب: أن الملح يرفع الضغط .

فرضاً: لو قال لك مهندس: أنا أعمر بناء من دون حديد، عشرة طوابق، هذا معناها: ليس مهندساً، ولا متعهداً، ولا عامل باطون، ولا فاعلاً، شيء بديهي؛ الإسمنت يقاوم قوى الضغط، لكن لا يقاوم قوى الشد أبداً، فيتحمل ضغط على السنتيمتر (٥٥٠ كيلو)، لكن لا يتحمل شد (٥ كيلو) سنتيمتر إسمنت.

ففي كلمات يتكلمها الإنسان: تعبر عن جهله المطبق، في كلمات يتكلمها معناها: إيمانه صفر. لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((الدِّينُ النصيحة))

[أخرجه البزار في مسنده]

هذا تعريف جامع مانع؛ إذا الإنسان لم ينصح المسلمين، وأنا أؤكد: قضية النصيحة في البيع والشراء جيدة، لكنها محدودة جداً، أما إنسان توجهه توجيهاً خاطئاً، توجيهاً لمصلحتك، لكن ليس لصالح الحق؛ التوجيه ليس موضوعياً، التوجيه مشوب بمصلحة، فهذا التوجيه فيه غش للمسلمين في دينهم.

لذلك لما قال النبي الكريم هذا الحديث الشريف، ورد أيضاً معزو لأحد الصحابة:

((إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم))

((ابن عمر: دينك دينك، لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ من الذين مالوا))

إليكم تفاصيل هذا الحديث :

١-النصيحة لله :

((إن الدِّينُ النصيحة -الآن التفصيل-، قلنا: لمن يا رسولَ الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمينَ، وعامتهم))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

خمسة بنود، ما معنى النصيحة لله؟ أن تنصح الناس: أن يتعرفوا إلى الله.

الآن: شخص عنده موظف ممتاز، فهذا الموظف حل مشكلة، لكن الموظف ليس رجل دين، أنت كمؤمن: يجب أن تغار عليه، يجب أن تدعوه إلى الله، أن تنصحه أن يؤمن، أن تنصحه أن يصلي، يجب أن تنصحه لدينه، لمصلحة دينه، (النصيحة لله)، أن تنصح الناس: أن يتعرفوا إلى الله، أن تنصح الناس: أن يخلصوا لله، أن تنصح الناس: أن يتصلوا بالله، أن تنصح الناس: أن يقبلوا على الله، أن تنصح الناس: أن يخافوا الله، أن تنصح الناس: أن يحبوا الله لله.

الإنسان أرضي، أو علوي، في شخص أرضي، علاقاته ناجحة جداً، لكن في الأعلى لا يوجد، فاشلة، أن تنصح الناس: أن يتصلوا بالله، أن يذيقوا طعم القرب من الله، أن يتجهوا إلى الله، أن يحبوا الله، أن يخلصوا لله، (النصيحة لله).

٢-ولكتابه......:

الآن: (ولكتابه): بعد أن عرفتهم بالله، ينبغي أن يتبعوا منهج الله في كتابه:

(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ)

[سورة الأعراف الآية:١٧٠]

في حالات كثيرة جداً، يسألك: تعطيه توجيهاً أرضياً، اعمل هكذا؛ خلاف القرآن، هذا خلاف السنة، فبعد أن عرف الله، ينبغي أن يتبع منهج الله ورسوله، ويتبع سنة رسول الله، تريد أن تنصح: أن تعرف الله، وأن تطيع ما في قرآنه من أمر ونهي، وأن تطيع ما في سنة نبيه من أمر ونهي، هذا الجانب الديني.

الآن: أنت في مجتمع؛ فيه قوي، وفيه ضعيف، فيه تابع، وفيه متبوع، فيه حاكم، وفيه محكوم، فيه إنسان ممكن، فيه إنسان غير ممكن، يجب أن تنصح الممكن، وغير الممكن، غير الممكن: أن تنصحه بالصبر، أن تنصحه بالالتفات للآخرة؛ حاقداً، مسحوقاً، ناقماً على الحياة، ينظر إلى الدنيا

فقط، هذا غير الممكن، يجب أن تنصحه: أن يعرف الله أيضاً، والممكن يجب أن تنصحه: أن يعدل بين الناس .

أصبح عندك خمسة بنود؛ أن تنصح الناس: أن يعرفوا الله، فإذا عرفوه، أن تنصحهم: أن يطيعوه، فإذا أطاعوه في قرآنه، ينبغي أن يطيعوا نبيه أيضاً في سنته، فإذا فعلوا ذلك، يجب أن تنصح عامة المسلمين إلى ما فيه صلاحهم، ويجب أن تنصح أئمتهم طبعاً بالحكمة والموعظة الحسنة، فصار:

((إن الدين النصيحة))

لذلك: ممكن إنسان أن يغش المسلمين، يورطهم، يتكلم كلاماً لصالح جهة، أحياناً: إنسان يصدر فتوى، هذه الفتوى المنتفع منها جهة معينة، والانتفاع غير صحيح.

فلما الإنسان يضع مكانته الدينية، يجيرها لصالح إنسان، أو جهة؛ غش المسلمين، لم ينصحهم:

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ)

[سورة الأحزاب الآية:٣٩]

لذلك يقولون: كان عليه الصلاة والسلام أميناً على هذا الدين، قال تعالى:

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ)

[سورة الحاقة الآية:٤٤]

(لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)

[سورة الحاقة الآية:٤٥]

(ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)

[سورة الحاقة الآية:٤٦]

(فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)

[سورة الحاقة الآية:٤٧]

إليكم هذا الترابط الإيماني بين هذا الحديث: لا يؤمن أحدكم... وبين حديث: الدين النصيحة....:

النبي الكريم يقول:

((لا يُؤمنُ أحدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخيه، ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

الحديث واسع جداً، أحياناً: أنت طبيب، ممكن أن تجعل المريض، أن يزورك عشر زيارات، وكل مرة يدفع ألف ليرة، هو قنعان ورضيان، والطبيب ذكي جداً، فلما يعطي التوجيهات لمصلحة أن يأتي إليه المريض عشر مرات؛ ممكن أن تكلفه بتحليل ليس له حاجة، ممكن أن تكلفه بتصوير ليس

له حاجة، والمحامي: ممكن أن يعطي توجيهاً، الموكل يستسلم، والدعوى طريق مسدود، هذا غشه، لم ينصحه، تنصح المسلمين، وتنصح أئمة المسلمين.

لو افترضنا: في خطأ من قبل مدير مستشفى، وأنت طبيب عنده، ليس الطريق الصحيح أن أشهر فيه، ولا أنصحه، أدخل إليه، أنصحه بيني وبينه على انفراد، وبعد ذلك فليفعل ما يشاء، فهذا سلوك يومي، النصيحة بأدب، وعلى انفراد، أما أنت لما تغش المسلمين، معناها: لا تعرف الله عز وجل، في عدة أشياء: إذا الإنسان فعلها، ينفي عن نفسه الإيمان كلياً أبداً.

أكثر الكلمات، النبي يشدد عليها:

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امرأة على زوجها))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

((ليس منا من غشَّ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

((ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية))

[ورد في الأثر]

((ليس منا من نهب أو انتهب))

[ورد في الأثر]

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخدود، وشَقَّ الجيوب))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

ففي أشياء: تدل على جهل مطبق في الدين، والشيء الدقيق: أن الإنسان.... النبي لا ينطق عن الهوى .

الإنسان في حالة بعده عن الله: ينطق عن الهوى، كل كلامه لصالحه، أوضح شيء: في البيع والشراء؛ بضاعته جيدة جداً، درجة أولى، متينة، أصلية، وهي لا أصلية، ولا متينة، ولا درجة أولى، هي الدرجة العاشرة في السوق، لكن: لأنها بضاعته، يريد أن يمدحها، هذا نوع من الغش.

يريد أن يزوج ابنته؛ يخفي كل عيوبها، يظهر كل محاسنها، بعد ذلك: يتفاجأ الزوج، بعيب عيب، في عيوب: يجب أن تعلن للزوج، بعض العيوب، وليس كل شيء، مثلاً: إذا كان في سنها حشوة، هذه في سنها حشوة، هذه ليست واردة، أما في عيوب متعلقة بحسن العلاقة مع الزوج.

فالغش واسع جداً، الإنسان إذا غش، معناها: نفى عن نفسه الإيمان؛ لأن النبي قال:

((ليس منا من غشَّ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

بعد ذلك: علامة الإيمان:

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخيه، ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن انس بن مالك]

في قاعدة أصولية -هذه فقرة من حديث-:

((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك))

هذه قاعدة ذهبية: تحل كل مشاكل المسلمين، الكنة: هل تعامل في البيت كما تعامل البنت؟ لو أبوها كان معكم، ألا يتألم من معاملتها بهذا الشكل؟ إذا كنت تعامل الكنة مثل ابنتك، تعامل الصانع مثل ابنك، تعامل الزبون كما لو الآية عكست.

تجد موظفاً أحياناً ليس مستعداً، أن يقوم من مكتبه لبعد مترين، يوقع له المعاملة، تعال غداً، لو أنت كنت موظفاً، هل تتحمل هذا الشيء؛ عطل وقته، أخذ إجازة، لمدة ساعتين في الطريق، لكي يأخذ المعاملة، تؤجل المعاملة للغد؟ أنت تتحدث حديثاً ممتعاً، عندك ضيف تعال غداً، إذا كنت تريد الإسلام الدقيق، تجد حال المسلمين، وضعهم سيء جداً.

فلما الإنسان يغش: يفعل شيئاً خلاف الواقع، خلاف الصح، شيئاً خاطئاً، ولمصلحته، لمصلحة راحته.

أحياناً: إذا كان فرضاً داعية، صار مع أحد المريدين قطعة نادرة، هو له علاقة فيها، مثل: (كرامة)، وهي ليست صحيحة، ليست كرامة، فإذا كان القصة رواها، وروجها لمصلحة، وقد تكون خلاف الدين.....

لما النبي توفي ابنه إبراهيم، والشمس كسفت لموت إبراهيم، لو سكت النبي عليه الصلاة والسلام لمصلحته القصة؛ لأنه لعظم شأنه عند الله، لما مات ابنه: كسفت الشمس، لكن: لو سكت لم ينصح المسلمين، قال لهم:

((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يَخسِفان لموت أحد من خلقه))

نصحهم.

يجب أن تقول الحقيقة؛ ولو أنها مرة، ولو أنها ليست لصالحك، ولو أنها تقلل الأتباع، وفي شخص يروج الباطل، حتى يكثر الأتباع، غشهم في دينهم.

فالحديث خطير جداً، والحديث جامع مانع:

((إن الدِّينُ النصيحة، قلنا: لمن يا رسولَ الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري]

بالتسلسل؛ الإيمان بالله، طاعة منهجه في القرآن، طاعة منهجه في السنة، الآن في أئمة، وفي مأمومين، في أتباع، وفي متبوعين، في أقوياء، وفي ضعفاء، في حاكم، وفي محكوم، يجب أن تنصحهم جميعاً:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

[سورة النجم الآية:٣]

(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

[سورة النجم الآية:٤]

والمؤمن الصادق يتكلم كلاماً، أحياناً ليس لمصلحته أبداً، لا يستطيع؛ لأنه إذا كنت بائعاً، شخص عرض عليك بضاعة، أحسن من بضاعتك بمئات المرات، قال لك: اشتريها؛ جيدة، نصيحة، طبعاً: أحسن من بضاعتي، هذا كلام لا يتكلمه تاجر إطلاقاً، لكن إذا كنت تؤمن، يجب أن تقول هذا.

الحديث الأخير الذي ذكرته قبل قليل:

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخيه، ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

الحديث له معنى دقيق، أخوك في الإنسانية؛ لو كان غير مسلم، إذا شيء لا ترضاه لنفسك، لا ترضاه لأخيك في الإنسانية.

أما الفكرة: هذا مسلم لا يوجد مانع، هذا غير مسلم عقابه أشد، هو غير مسلم، لكنه سيرى الإسلام من خلالك.

مرة في إنسان: أتى بامرأة من ألمانيا تزوجها، قلت له: أنت بالنسبة لها الإسلام؛ فبإساءتك لها تكره الإسلام، واستقامتك معها تحب الإسلام، يجب أن ننصح الناس.

أخ من أخواننا، يريد أن يعمل عملاً، مصلحة بالحلويات، ألهمني الله قلت له: اذهب إلى المحلات بالبذورية، اسألهم: العمل جيد؟ مفيد؟ قال لي: والله كلهم حذروني، ولا شخص نصحني أن أعمله، مع أن العمل مربح، وليس صعباً، صنعه سهل، وأرباحه جيدة، وعليه طلب شديد، أنا استغربت، قال لي: سألت محلاً، محلاً، وكلهم حذروني؛ لها أخطارها، ولا تربح، وكساد، سبحان الله! أعرف شخصاً في السوق، أعرفه صالحاً، ومؤمناً، ولا أزكي على الله أحد، قلت له: اسأل فلان، والله ذهب، وسأله، قال: والله ممتازة، والله أرباحها جيدة، وعليها طلب شديد، وليس لها مشكلة أبداً، وأنا أساعدك فيه.

لقيت فرقاً صارخاً بين المؤمن النصوح؛ الأول ظن إذا كان دخل بهذه المصلحة، يقل رزقه، فغريب! الجميع حذروه، وخوفوه، والثاني على العكس نصحه، قال له: والله ممتازة، وأنا أساعدك، وطلبها شديد، وأرباحها جيدة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣١-٤٤) : العلاقة بين المؤمن والمجتمع .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو أثر المجتمع على دين المسلم، وما هو الحل الشرعي الذي يضمن سلامة دينه ؟

أيها الأخوة الكرام، علاقة الإنسان بالمجتمع علاقة دقيقة؛ فالمجتمع: إما أن يبعده عن الله عز وجل، وهناك حكم، والمجتمع: إما أن يقربه إلى الله عز وجل، وهو حكم، فإذا كان المجتمع فاسداً، والاندماج في المجتمع، يبعدك عن الله عز وجل، فالأولى أن تعتزل هذا المجتمع، وإن كان المجتمع صالحاً، ففي الاندماج فيه قربة إلى الله عز وجل، الأولى أن تكون مع المجتمع .

القاعدة: الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء .

الإنسان يجب أن يملك ميزاناً دقيقاً، جلس مع أصدقاء في جلسة، شعر أنه ضاع، أو مال إلى الدنيا، أو ألقيت في نفسه الشبهات، أو استبرأ معصية، أو ابتعد عن الله، أو أراد أن يصلي عقب هذه الجلسة: طرأ حجاب بينه، وبين الله، هذا المجتمع فاسد، معنى ذلك: الاعتزال أولى، وهذه قاعدة، وحكم شرعي، أما شباب؛ مؤمنون، طاهرون، طيبون، جلس معهم؛ فارتاحت نفسه، أشرقت نفسه، زالت منه بعض الشبهات، رأى نفسه عقب الجلسة: مشتاقاً إلى الله، متمنياً أن يكون مع الله، هذا المجتمع صالح، عليك به.

الأدلة من الكتاب والسنة التي تؤكد على الالتزام بالجماعة المؤمنة :

الأدلة التي تؤكد: أن تلزم الجماعة المؤمنة، قال تعالى:

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)

[سورة الكهف الآية:٢٨]

مجالس نظيفة جداً، ليس فيها دنيا، ليس فيها مصالح، ليس فيها منازعات، ليس فيها بغضاء، ليس فيها شحناء، ليس فيها غيبة، ليس فيها نميمة، هذه المجالس الطيبة، الطاهرة، النظيفة، الواضحة، الخالصة، هذه الزمها، في مجالس؛ فيها منازعات، فيها غيبة، فيها شحناء، فيها بغضاء، فيها طعن، هذه المجالس اجتنبها.

فالقاعدة:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف الآية:٢٨]

القاعدة المقابلة:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾

[سورة لقمان الآية:١٥]

الآية التي هي أصل في هذا الموضوع:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف الآية:٢٨]

الحديث الصحيح:

((عليكم بالجماعةِ، وإيَّاكُم والفُرْقَة، فإنَّ الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر]

((وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية))

[ورد في الأثر]

((إن الله لا يجمع أمَّتي - أو قال: أمة محمد - على ضلالة، ويَدُ الله على الجماعة، ومن شَذَّ شَذَّ إلى النار))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر]

ما هو الأمر الذي تقضيه هذه الآية، وما هو لوازمه، وما هو الحديث الذي ورد عن المصطفى بشأن أمر الجماعة ؟

الآية الكريمة:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:١٤٨]

لا يوجد سباق من دون جماعة، لا يوجد إنسان يركض لوحده، يجري مسابقة لوحده، مع من تتسابق؟ فكلمة:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة الآية:١٤٨]

وكلمة:

﴿وَسَارِعُوا﴾

[سورة آل عمران الآية:١٣٣]

هذا أمر إلهي، وكل أمر يقتضي الوجوب، ومن لوازم هذا الأمر: الجماعة، أن تكون مع الجماعة، والجماعة: فيها أنس، وفيها رحمة، وفيها صحة رؤية، وفيها تصحيح مسار، الإنسان وحده يفتي لنفسه، يتوهم حقيقة، هي ليست حقيقة، يقنع نفسه بها، يعيش في عزلة، أما حينما تكون مع الجماعة، وتأتيك فكرة منحرفة؛ هناك من يصححها لك، هناك من يرشدك، تتنور.

إذاً: الجماعة حينما تسهم في تقريبك إلى الله، يجب أن تلزمها، والجماعة حينما تبعدك عن الله، ينبغي أن تعتزلها .

الحل الوسط: كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إذا رأيتم شُحاً مُطاعاً –حرص على الدنيا، تكالب على الدنيا، أثرة، الإنسان مستعد أن يبيع دينه، بعرض من الدنيا قليل، من أجل بيت يعجبه أن يبقى فيه؛ اغتصبه، وضيَّع آخرته، من أجل امرأة راقه منظرها، طلق زوجته، وعنده منها سبعة أولاد- إذا رأيتم شُحاً مُطاعاً، وهوى مُتَّبَعاً، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه .

-في مثل هذا المجتمع؛ المجتمع المادي، مجتمع الشهوة، مجتمع الضلالة، مجتمع الفساد، مجتمع الانغماس في الملذات حتى الفجر، هذا المجتمع اعتزله- .

فالزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك –هذا المجتمع: هذا مجتمع رواد المسجد؛ أناس طاهرون، طيبون، بريئون، نظيفون، هؤلاء الزمهم– ودع عنك أمر العامة))

هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام .

[ورد في الأثر]

ليس معنى خاصة نفسك: أولادك، لا، يعني أصدقاءك الخلّص النخبة، جيرانك المؤمنين الطاهرين، أصدقاءك في المسجد الصالحين .

إليكم محور الدرس لأهميته :

هذا محور الدرس: الجماعة الصالحة يجب أن تلزمها، والدليل: قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ)

[سورة التوبة الآية:١١٩]

أمر، لو أن الإنسان قال: يا رب، كيف أتقيك؟ قال:

(وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

[سورة التوبة الآية: ١١٩]

إن كنت مع الصادقين تتقي، الجو جو إيمان، جو طهر، هذه البيئة أساسية جداً، لن تستطيع أن تنمو إلا مع جماعة، قال تعالى:

(اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

[سورة التوبة الآية: ١١٩]

والآيات المتعلقة بلزوم الجماعة كثيرة، والأحاديث كذلك، لكن المقصود به: الجماعة المؤمنة .

المجتمع الذي حذر منه النبي وأمرنا باعتزاله كما ورد في الحديث قبل قليل:

أيها الأخوة، أما الآن: الجماعة ليس مطلق الجماعة .

في مجتمع قذر، أساسه: الازدواجية، النفاق، الذي يقال: في هذا المجلس، يقال: عكسه، بعد أن يغيب فلان، شيء ملاحظ؛ مديح في الوجه، طعن في الظهر، مجاملة، حتى على الكفر مجاملة، مديح في الوجه، وطعن في الظهر، وغيبة، ونميمة، وذكر العورات، وذكر النساء، كله في هذا المجتمع، هذا المجتمع ينبغي أن نعتزله، ما دام....

دائماً: يوجد عندنا قاعدة، يوجد عندنا إنائين ماء؛ الأول: ملوث، الثاني: طاهر، لو خلطناهما، ليس في صالح الطاهر أن يختلطا، الملوث لا يتأثر، الذي يتأثر: هو الطاهر.

فالإنسان الطاهر إذا جلس في جلسة، لا تليق به، أناس كثيرون، تجد زوجته محجبة، جالس في القهوة، هذا المحل ليس لك، المرأة المحجبة لا تناسبها القهوة، هذا مكان عام؛ غناء، تدار الخمور، تفلت، تبذل، هذا المكان ليس للمؤمن.

فالمؤمن لما يندمج مع مجتمع غير مؤمن، يدفع الثمن باهظاً، أولاً: يتهم، يقول لك: ما الذي أتى بك إلى هنا؟ لسان حال كل الحاضرين: ما الذي أتى بك إلى هذا المكان!؟ .

أحياناً: يكون في عرس مختلط، يذهب إنسان، طيب كيف تذهب إلى هذا المكان!؟ .

يعني كلمة: لا، كل مؤمن ليست عنده كلمة: لا، يقولها بملء فمه، هذا ليس مؤمناً، في ضغوط اجتماعية، في إغراءات اجتماعية، في تقاليد، في عادات، إذا لا توجد عندك كلمة: لا، تقولها بملء فمك، دون أن تخشى أحداً، لست مؤمناً، في نزهة لا تناسبني، في رحلة لا تناسبني، في سهرة لا تناسبني؛ فيها معصية، فيها انحراف.....

إليكم مضامين هذه الأحاديث :

عن عامر بن سعد قال:

((كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد، قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فجاء فنزل، فقال له: أَنَزَلتَ في إبلك، وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملكَ بينهم؟ فضرب سعد في صدره، وقال: اسكت، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يحب العبد التَّقيَّ، الغنيَّ، الخفيّ))

[أخرجه مسلم عن عامر بن سعد]

أحياناً : الشهرة ضريبتها واسعة، غالية جداً، الإنسان أحياناً: إذا بلغ مستوى الشهرة، أرغم على أعمال لا ترضي الله عز وجل، وُضع في متاهات، هو بعيد عنها في الأساس.

قال له:

((اسكت، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يحب العبد التَّقيَّ، الغنيَّ، الخفيَّ))

لأن: كثرة الظهور أحياناً: تقسم الظهور.

الاندماج مع مجتمع منحرف، يدفع المندمج فيه إلى متاهات، إلى مواقف لا يرضى عنها، وصار قدوة.

الإمام أبو حنيفة، رأى غلاماً أمامه حفرة، قال له:

((يا غلام، إياك أن تسقط، -كان الغلام ذكياً جداً- قال له: بل إياك يا إمام أن تسقط، إني إن سقطت: سقطت وحدي، وإنك إن سقطت: سقط معك العالم))

أصعب شيء على الإنسان: أن قدوته مثله الأعلى، يهتز أمامه، إذا اهتز؛ ضاع الإنسان.

قال له:

((إني إن سقطت: سقطت وحدي، وإنك إن سقطت: سقط معك العالم))

ففي مجتمع الشهرة، والأضواء، والتغطية، والإبراز، هذا المجتمع إن ابتعدت عنه، وكنت تقياً، خفياً، نقياً، أولى لك: أن تفعل هذا، لأن كثرة الظهور، تقسم الظهور.

حديث آخر: وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

((أتى رجل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيُّ الناس أفضل؟ قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، قال: ثم مَن؟ قال: ثُمَّ رجل في شِعْب من الشعاب: يعبد الله، -وفي رواية : يتقي الله- ويَدَعُ الناسَ من شَرِّه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري]

في آخر الزمان: المجتمعات تفسد، المشي في الطريق: فيه مفسدة، الطريق إذا كان كل امرأة، تبرز أجمل ما عندها، لأي إنسان، صار الطريق المشي فيه مفسدة، في طرقات مزدحمة بالنساء الكاسيات، العاريات، المشي في هذه الطرقات: مفسدة كبيرة جداً.

الشيء الثابت: أن التنزه في الطرقات، يجرح العدالة، والعدالة شيء أساسي في حياة المؤمن، يعتز بها.

المؤمن له صفتان؛ الضبط والعدالة، الضبط: وعيه، والعدالة: طهارة نفسه، فمن عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، حرمت غيبته، أما إذا حدثهم فكذبهم، وعدهم فأخلفهم، عاملهم فظلمهم، سقطت عدالته، انتهى.

الآن: في حالات بين بين، منها: التنزه في الطرقات: جرحت عدالته، الحديث عن النساء: جرحت عدالته، يتحدث أمام أصدقائه: عن امرأة، وعن شكلها، وعن طولها، وعن لونها، وعن مفاتنها براحة، وفي سرور.

الحديث عن النساء: يجرح العدالة، التنزه في الطرقات: يجرح العدالة، أكل لقمة من حرام: يجرح العدالة، تطفيف بتمرة: يجرح العدالة، الأكل في الطريق: يجرح العدالة، المشي حافياً: يجرح العدالة، البول في الطريق: يجرح العدالة، من قاد برزوناً: يجرح العدالة، من أطلق لفرسه العنان: يجرح العدالة، السرعة السائدة في السيارة، من علا صياحه في البيت: يجرح العدالة.

في ثلاث وثلاثين صفة، إذا تلبس بها الإنسان: تجرح عدالته، جرح العدالة بين سقوطها، وبين ثباتها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((يُوشِكُ أن يكون خيرَ مال المسلم: غَنَم يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبال، ومواقع القَطْر، يَفِرُّ بدينه من الفتن))

[أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي ومالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري]

تصور محلاً تجارياً، يبيع ألبسة، مثلاً: ألبسة نسائية، بأحد أرقى أسواق دمشق فرضاً، والألبسة قد تكون داخلية، يضع شاباً فيه، يدخل عليه في اليوم مئات الفتيات الساقطات؛ وحديث، وابتسامات، وتعليقات، وتفلت، أنا أفضل محل بزقاق الجن، يصلح سيارات، أقرب إلى طهارة النفس، من هذا المحل.

إذا محل؛ فيه فتن، فيه معاص، يجب أن نبتعد عنه، هذا معنى يُوشِكُ أن يكون خيرَ مال المسلم: غَنَم يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبال، ومواقع القَطْر، يَفِرُّ بدينه من الفتن .

قال لي مرة شاب: بعد أسبوع، لم أعد أصل، الصلاة لم يعد لها طعمة، طوال النهار بالمعاصي، يأتي على الصلاة بثقل، بتكاسل لا يحتمل؛ لأنه كلما دخلت فتاة متفلتة تضحك، تمزح، يُدار معها حديث، قال لي: أنا أين؟ ضعت، والده وضعه في محل (طريق الصالحية)، قال لي: ضعت، لم أعد أصل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مِنْ خَيْرِ مَعَاش الناس لهم: رَجُل مُمسِك بعِنان فرسه في سبيل الله، يَطِيرُ على مَتْنه، كلما سمع هَيْعة أو فَزْعة، طار على مَتنه يبتغي القتل، أو الموت مَظانَّه، أو رجل في غُنَيمة في شَعَفة من هذه الشِّعاف، أو بطن واد من هذه الأودية، يُقيم الصلاة، ويُؤتي الزكاة، ويعبُد ربَّه حتى يأتيَه اليقين، ليس من الناس إلا في خير))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الآن: الإنسان كهفه بيته، ومسجده، يدخل لبيته، يستطيع أن يصلي، يقرأ القرآن، يجلس مع أهله، في بحبوحة، وفي نعمة، وفي صفاء، في بيته كهف:

(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً)

[سورة الكهف الآية:١٦]

القرآن الكريم حمَّال أوجه؛ ممكن أن تكون قصة وقعت، ولن تقع مرة ثانية، ممكن أن يكون قانون، كلما رأيت مجتمعاً متفلتاً، مجتمعاً فاسداً، مجتمعاً غارقاً في الذنوب:

(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ)

[سورة الكهف الآية:١٦]

الكهف: بيتك، والكهف: جامعك:

(يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً)

[سورة الكهف الآية:١٦]

((إن بيوتي في الأرض: المساجد، وإن زوارها: هم عمَّارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني، وحُقَّ على المزور، أن يكرم الزائر))

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٢-٤٤) : العلاقة بين المؤمن وزوجته وبيئة بيته.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال في مكانه :

أيها الأخوة الكرام، تعقيباً على درس البارحة، حيث ذكرت: أن الإنسان له كهف يأوي إليه؛ بيته، ومسجده.

((فإذا رأيتم شُحاً مُطاعاً، وهوى مُتَّبَعاً، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه، فالزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة))

ولكن أخ كريم، قال لي: هذا البيت الذي ينبغي أن نأوي إليه: ليس كهفاً، وليس جنة، بل فيه نغص شديد؛ فالزوجة منصرفة عن زوجها، والزوج منصرف عن زوجته.

الحقيقة: أن المرأة التي جعلها الله زوجتك لن تسعدك، إلا إذا عرَّفتها بالله، فإذا عرفتها بالله، عرفت حق الزوج.

من الأحاديث الصحيحة التي تعد أصلاً في العلاقة الزوجية، قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء: أن حسن تبعل المرأة زوجها، يعدل الجهاد في سبيل الله))

النقطة الدقيقة في حياتنا: أن الله عز وجل: أمرنا أن نعبده، وعبادة الله عز وجل نوعان: عبادة مقيدة، رتيبة، وعبادة مطلقة، العبادة المطلقة: أن تعبده فيما أقامك.

الله أقام هذا الإنسان امرأة، فأول عبادة للمرأة: أن ترعى حق زوجها، أن تقوم بخدمته، أن تلبي حاجته، أن تكون محصنة له، هذه أول عبادة.

الذي أراه، لو أن المرأة؛ صلت قيام الليل كل يوم، وأنفقت كل مالها في سبيل الله، ولم تعبد الله فيما أقامها، أقامها امرأة، وعبادتها....

الصحابية الجليلة: كانت لا تقوم الليل، حتى تستأذن زوجها، ألك بي حاجة؟ لم تكن عبئاً عليه.

((أعظم النساء بركة: أقلهن مؤنة، أعظم النساء بركة: أقلهن مهراً))

لم تكن تفعل عبادة، حتى تستأذن زوجها؛ لأن هذه المرأة وظيفتها في الحياة زوجة، والزوجة عبادتها الأولى: أن ترعى حق زوجها، هذا الشيء ينبغي أن يعلم لبناتنا، أن يعلم لزوجاتنا.

أحياناً: وهذا الشيء واقع، تهتم المرأة بأصهارها، وأولادها، وبناتها، أضعاف ما تهتم بزوجها، والزوج يحتاج إلى رعاية، وقد أودع الله فيه هذه الرغبة، متغلغلة في أعماقه، فإذا انصرفت عنه زوجته، ولم تعتن بهندامها، ولا بأناقتها، ولا برضا زوجها، هي الآن تعصي الله فيما أقامها فيه، فأي نشاط آخر تفعله المرأة، متوهمة أنها ترضي الله به، هذا كلام غير مقبول.

إليكم هذا الحديث الذي نستشهده في شأن بحثنا :

في رياض الصالحين، فيه فصلٌ في هذا الموضوع، عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((إن عَرْشَ إبليس على البحر، فيَبعثُ سراياه، فيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فأعظمهم عنده: أعظمهم فتنة- إبليس اللعين: كلما أتباعه فعلوا فتنة أشد، كانوا أقرب إليه- يجيء أحدُهم، فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صَنَعتَ شيئاً، ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فَرَّقتُ بينه وبين امرأته، فيُدنِيهِ منه، ويلتزمه، ويقول: نِعمَ أنت))

[أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله]

معنى ذلك: أكبر فتنة في المجتمع: أن تسوء العلاقة بين الزوجين، هذه الأسرة لبنة المجتمع، هذه الأسرة الخلية الأولى، فإذا فسدت؛ انتهى المجتمع، انتهى كلياً .

الإنسان يتعب، يأتي إلى بيته ليستريح، يضجر، يأتي إلى بيته ليسكن، يتألم، يأتي إلى بيته، ليبوح بآلامه لزوجته، فإذا رآها منصرفة عنه، مهملة لحقه، ملتفتة لغيره، لا تعتني بهندامها، تفعل أشياء كثيرة من دون إذنه، لا تقوم بواجباتها تجاهه، اللبنة الأولى انتهت، تصدّعت.

لذلك أكبر واجب للأب وللزوج: أن يعلم هذه الزوجة واجباتها نحوه، وأن يعلم واجباته نحوها، فإذا قام الرجل بما عليه من واجبات تجاه زوجته، وسعد الإنسان في بيته، كان عطاؤه في المجتمع كبيراً، والذي يقال دائماً: أن الناجحين في المجتمع، هم الناجحون في بيوتهم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس]

وهذه مشكلة كبيرة جداً، تعاني منها بيوتات المسلمين: البيت جحيم؛ الزوجة في واد، والزوج في واد، وفي تقصير متبادل، وفي تجاوزات، وفي رفع كلفة إلى درجة التطاول من قبل الزوج

والزوجة.

فحينما يكون شرخٌ بين الزوجين في البيت، ضاع الأولاد، أكبر جريمة: أن يختصم الزوجان دائماً أمام أولادهما، تنشأ عقد عند الأولاد كبيرة جداً.

الإسلام منهج كامل، الذي يحيرني: أن الناس فهموا منهج الإسلام خمسة بنود؛ صوم، وصلاة، وحج، وزكاة، وإعلان شهادة، مع أن الإسلام، وإن كان رقماً غير مدروس، لعل الإسلام: مئة ألف بند، مئة ألف.

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء: أن حسن تبعل المرأة زوجها، يعدل الجهاد في سبيل الله))

أحياناً الإنسان ينظر بحكم علاقاته الاجتماعية على امرأة ناجحة في زواجها، وفي رعاية أولادها، والله أقول: قلامة ظفر هذه المرأة بمئة مليون رجل، قلامة ظفرها حينما تُسعد زوجها، وأولادها، تعبد ربها فيما أقامها، أقامها امرأة، وعبادتها....

اسمعي أيتها المرأة :

أيها الأخوة، بعض الأمثلة: ممكن امرأة تستيقظ على قيام الليل؛ تصلي ما شاء لها أن تصلي، وتبكي ما شاء لها أن تبكي، وتنام الساعة السادسة، وتدع أولادها، وعندهم دوام في المدرسة؛ بلا عناية، وهي: قد نعست، تعبت، نامت. فالطفل: يمكن أن يضع سندويشة، يكثر من الزيت فيها، والسندويشة بين الكتب، تتلوث جميع الكتب، هو لوحده عمل السندويشة؛ لأنه ممكن أن يلبس بدلته المدرسية فيها بقعة، أثناء النهار: يصير عليها لون، ممكن أن لا يكون مهتماً، ينسى بعض حاجاته، فالأم نائمة، عليكم بأنفسكم، اعملوا السندويش، اعتنوا بأنفسكم.

هذه المرأة: لو صلت الفجر قبل طلوع الشمس بنصف ساعة، واعتنت بأولادها، وأطعمتهم، وانتبهت إلى هندامهم، وإلى حاجاتهم، هي أقرب إلى الله من الأولى، أقرب بكثير.

المرأة التي تدعو إلى الله، إذا أهملت زوجها، لا قيمة لدعوتها، لأنها عصت الله فيما أقامها فيه، أقامها زوجة، طاعتها لله عز وجل في رعايتها لزوجها.

والحديث الذي لا أنساه: أن هذه المرأة التي قال عنها النبي.

قال عليه الصلاة والسلام:

((أول ما يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني، تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي زوجة، مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم))

هذه المرأة التي ضحت بحظها من الرجال، من أجل تربية أولادها، فهذا الصغير: كم هو عند الله غال؟ الذي جعل أمه التي آثرت تربيته على حظها من الرجال، جعلها تنازع النبي دخول الجنة:

((فإذا امرأة تنازعني، تريد أن تدخل الجنة قبلي))

مصدر هام :

أيها الأخوة، أنا الذي أتصوره، وأرجوه، وأن يكون كذلك: بيوتات المسلمين ليست سعيدة، أولاً: لما يكون في إطلاق بصر من قبل الزوج أو الزوجة، أو لما يكون في متابعة أعمال فنية للساعة الواحدة ليلاً كل يوم، وكل هذه الأعمال من صنع اليهود أحياناً، يعني أساسها: أسرة مبنية على الخيانة الزوجية، أسرة مبنية على التفلت، لما نسمح لأولادنا أن يتابعوا الأعمال، معناها: نحن نغذيهم تغذية عكس الإسلام؛ تغذية خيانية، تغذية تفلت، انحراف.

فإذا بيت في مصدر للإفساد، وفي ضعف بالإيمان، وفي زوجة منصرفة عن زوجها، هذا البيت جحيم، صار جحيماً، وأنا لا أريد أن ييأس الإنسان، لكن بإمكان أي زوج، يقول: يا رب أعن على إصلاح هذا البيت، طبعاً: هذا يحتاج إلى جهد، يحتاج إلى أن يجلس مع أهله، مع أولاده، أن يعطيهم، يبلغهم، ينقلهم نقلة جيدة.

على كلٍ؛ هذا الحديث، حينما يقول أحدهم لإبليس:

((ما تركته حتى فَرَّقتُ بينه وبين امرأته، فَيُدنِيهِ منه، ويلتزمه، ويقول: نِعمَ أنت))

أكبر فتنة يفعلها الشيطان: أن يفرق بين المرء وزوجه، هذه اللبنة الأساسية في المجتمع، اللبنة الأساسية التي يبنى عليها كل خير، فرطت:

(وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

[سورة الكهف الآية:٢٨]

من دعائم البيت المسلم :

مرة دخلت لبيت، يمكن لم تقع عيني على بيت، أقل بيت، صغير جداً، بلاط لا يوجد، بساط شرطيط، لكنه نظيف، بأول جادة من فوق إلى الآن: لا أنسى هذا المنظر، من حوالي ثلاثين سنة، كأن البيت قطعة من الجنة هكذا تصورته .

التفاهم في البيت، والحب والوئام، والاحترام المتبادل، هذا البيت يكون قطعة من الجنة، وبيت ثمنه مئة وستون مليون، وفيه مئة مليون أثاث، والزوجة منصرفة عن زوجها، والزوج منصرف عن

زوجته، هذا البيت قطعة من الجحيم، ماذا يطلع بأيدينا؟ ماذا نفعل؟ هذا كلام ليس كلام مؤمن، المفروض: أن أعمل تغييراً جذرياً في حياتي؛ أجلس مع زوجتي، أحاول أن تكون معي في الجامع، أعلمها، عَرِّفها مهمتها في الحياة، عرفها بعبادتها الصحيحة، أريد أن أعتني بها.

مرة إنسان تزوج، دعاني إلى سهرة، قلت له: عندي اقتراح، لكنه دقيق، هذه الزوجة لن تسعد بها إلا كما يلي:

أن تعرف الله أنت أولاً، وأن تستقيم على أمره، حتى تسعد بمعرفته وبطاعته، إذا انتهت المرحلة هذه، ثم عليك أن تعرفها بالله، وأن تحملها على طاعته، حتى تسعد بمعرفتها بربها، وبطاعتها له، فإذا أنت عرفت الله، وهي عرفت الله، الآن: يمكن أن تسعدك، لأنها عرفت حقك، عرفت مكانتك، عرفت واجبها تجاهك، عرفت أن طاعتها لله بطاعتها لك .

إذا انتهت الخطبة، أكبر سؤال يأتيك (موضوع الطلاق)، يحلف بالطلاق عليها بساعة غضب، هذه الزوجة لا يحلو لها شيء، إلا أن تفعل ما نهاها عنه، بحمق عجيب، قال لك: ثلاثة أيام لا تزوري بيت أهلك، إلا ما تذهب لزيارتهم، إلا ما تكسر يمينه، وتجعله محرجاً أمام الناس، ومن بيت لبيت، ومن بيت عالم، لبيت عالم، وخائف، هي تربت تربية خاطئة، أيضاً: الأمهات، أمهات الزوجات، أحياناً: بجهلهن يرتكبن حماقات لا حدود لها.

أحياناً: من باب الدعابة، أقول: والله في أكبر جناح في جهنم للحموات، تجد هدفها: أن تعلم ابنتها، كيف تغيظ زوجها؟ كيف تحاسبه؟ كيف تستعلي عليه؟ كيف تهمله؟ كيف تربيه؟ أمها تعلمها، أما الإسلام ليس كذلك. قال:

((إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها))

[أخرجه البزار في مسنده عن أنس بن مالك]

ربع دينها طاعتها لزوجها، هذا دين المرأة، الرجل دينه مئة ألف بند، المرأة دينها أربعة بنود، القضية سهلة، جالسة في البيت لأنها: إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها

أيها الأخوة، ينبغي كل إنسان أن يسعى قدر الإمكان، أن يجعل بيته إسلامياً.

انظر واستنتج :

مرة دخلت لبيت، في أخ قال لي: البيت يناسبني، أريد أن أشتريه، ممكن أن تراه لي، قلت له: تفضل، دخلنا لبيت فيه غرفة، فتحوها لنا؛ فيها تلفاز، وجالس طفل، عمره حوالي اثنتي عشرة سنة،

ملقى على الأرض، ورجل فوق رجل، يتابع المسلسل، فوالده معنا، دخلنا على الغرفة، ولم يتحرك، ولم تطرف له عين، ولم يوقف، ولم يعتذر، كما هو.

تجد أهل البيت، الجميع على الشاشة، للساعة الواحدة؛ أين الأب بقي؟ لا في أب، ولا في أم، ولا في جلسة عائلية، ولا في عشاء مشترك، ولا في مداعبة، ولا في مزاح.

إذا الإنسان لم يجلس مع أهله، لم يسمع لأولاده، لم يسمع لزوجته، لم يؤانسهم، لم يداعبهم، لم يكن مرحاً معهم، هذا البيت جحيم .

كل شخص منا: يسعى فينا أن يكون بيته إسلامياً، لما يسعد في بيته، يذهب لعمله نشيطاً، وجهده كبير جداً في الخارج، أما إذا كان محطماً من الداخل......

فأنا أقول: البيت هو قطعة من الجنة، لكن لزوجين مؤمنين، هي تعيش لزوجها، هو يعيش لزوجته، وأهم شيء الأولاد.

وأنا أقول لكم: من سبتين، عندنا كل سبت مذاكرة هنا، في أخ والله أحبه جداً، وأحترمه جداً، طالب علم لكنه أديب، وفهيم، وحافظ أشياء جميلة جداً، فكل سبت يتحفنا بأشياء من محفوظاته، من مطالعاته.

مرة أتى بأبيه، والله بساعة من ساعات الإشراق، قلت له: والله ابنك لو تكشف الحقائق، هو أفضل من ألف مليون بالعملات الصعبة، ابن صالح، ما في شعور يملأ قلب الأب سعادة، كأن يرى أولاده صالحين، أولاده طاهرين .

اسع ولسوف ترى :

أيها الأخوة، أنا أرى الأولى: أن تبذل جهداً جباراً، لجعل بيتك إسلامي، العناية بالزوجة، الإنسان سهل أن يكون صعب المزاج؛ يسب، ويقاتل بالبيت، البناء هدم، أما الكلمة الطيبة، والابتسامة اللطيفة، والاعتذار، والخدمة، لا ترفع الكلفة مع الزوجة نهائياً، الزوج على طول يمزح مع زوجته، يسخر على أهلها، على شكلها، حطمها، شيطان داخل فيه، وشيطان داخل فيها، ولما الزوج تفتر علاقته بالله، والزوجة تفتر علاقتها بالله، يلهمان الحيونة، تجد كلامها قاس، هو كلامه أقسى، هو مزحه معها قاس جداً، مزحها معه أقسى، والأولاد يرون التنافر، والشقاق بين الزوجين، يحتقرون الزواج كله، الأولاد يتعقدون من الزواج، لا توجد سعادة.

نحن بقدر الإمكان نسعى، الزمان فاسد، الزمان فيه كل عوامل إفساد العلاقة الزوجية، وأنا أعتقد: أكبر عامل هو الاختلاط .

إذا لا يوجد انضباط، تأتي أخت زوجته، تأتي زوجة أخيه؛ هذه أفهم، هذه أذكى، هذه أحلى، هذه كذا، ضاع، أما إذا لم يوجد اختلاط، في حجاب، انتهى، هو طبق الشرع، الله يرمم.

حينما تقيم أمر الله عز وجل، الله يتولى الباقي كله، أما إذا كان يريد، أن يخرق الأنظمة كلها، لم يبق في ود بين الزوجين، في نظام للنفس .

فهذا الحديث: حديث خطير جداً، قال:

((ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأته، فيُدنِيهِ منه، ويلتزمه، ويقول: نِعمَ أنت))

كل إنسان بحكم عمله، يبقى عنده اطلاع، بحكم عملي في الدعوة، تأتيني مشكلات كبيرة في البيوت، الحقيقة أكبر مشكلة: الشقاق بين الزوجين .

مرة عملت درساً أحد أسبابه: الشقاق بين الزوجين، (٢١) سبب. فإذا الإنسان حاول أن يتوقى من هذه الأسباب، يكون حل مشكلة كبيرة جداً، البيت: بيت الزوجية، يجب أن يكون قطعة من الجنة، وقد يكون أفقر زوج، وقد يكون أصغر بيت.

البيت الناجح، ليس له علاقة؛ لا بمساحته، ولا بأثاثه، ولا بغنى الزوجين، له علاقة بإيمان الزوجين، كلما ازداد إيمانهما، كلما ازداد الود بينهما، وانعكس هذا على الأطفال.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٣-٤٤) : ذكر الموت وقصر الأمل والمبادرة بالعمل.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر واقع لا محالة :

أيها الأخوة، قبل عدة أيام، دعيت إلى تعزية عالم جليل، بوفاة صهره، صهره مات في الثانية والثلاثين، وشيء غير نادر: أن الإنسان يموت في سن مبكرة، لكن هذا واقع، الإنسان يموت بأي سن؛ يموت قبل عرسه، يموت قبل أن ينال شهادته، يموت وهو مسافر، يموت قبل أن يسكن في البيت.

أحد أخواننا الكرام، عمر بناء، في بيت متميز جداً بكسوته، رأيته أنا بالتفصيل، ثم فوجئت: أن صاحبه آخر مرحلة نقل الأغراض، طلب من الذي عمر له البيت، أن يؤمن له منظماً، الخميس طلب المنظم، الخميس مساء مات، لم يسكن فيه ولا ساعة البيت، فهذه حالات قائمة.

إليكم هذه الأحاديث التي وردت عن النبي بشأن ذكر الموت، وقصر الأمل، والمبادرة بالعمل

١-كن في الدنيا كأنك غريب......:

أيها الأخوة، المنذري عقد فصل في كتابه (الترغيب والترهيب)، سماه: ذكر الموت، وقصر الأمل، والمبادرة بالعمل، في هذا الباب: أحاديث كثيرة، لكنها مؤثرة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:

((أخَذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَنْكبي -يعني: فيها تحبب، أحياناً: الإنسان يضع يده على كتف شخص مودة- فقال: كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمر]

لاحظ نفسك: إذا كنت في فندق، وفي خطأ في الفندق، يعني: بالبرادي، بالباب، بالسرير، لا تنزعج أبداً، لأنه ليلة واحدة، ليس بيتك هذا، أما الخطأ: لو كان في البيت يزعجك؛ ليس معقولاً، ليس جميلاً، لا يصح هذا، مع أن شعورك بالفندق، أنك أنت جالس موقت.

أحياناً: تأخذ بيتاً في الصيفية، أيضاً: يكون في خطأ، الأثاث متواضع، ماذا يوجد عندك في البيت من أشياء: مستغن عنها، أو زهدان فيها، تأتي بها على المصيف، ترتاح، أيضاً من أين تأتي الراحة هذه؟ الأثاث كله أنت منسقه، وخارج اهتمامك، أتيت به لبيت المصيف، ووجدته أحلى أثاث، أنت تعلم كلها كم شهر، شعورك أنت موقت، يحل كل مشاكل حياتك.

الأمل الطويل، هذا مرض خطير، طول الأمل، الإنسان يخطط لخمسين سنة.

مرة كنت في دائرة حكومية، أنتظر شخصاً، كان شخصان جالسان إلى جنبي، قال له: هلكنا بكسوة البيت، طالع أرواحنا، قال له: لماذا طالع روحك؟ صار لنا ستة أشهر في حيرة: نعمل له الشوفاج مخفياً، لما ظاهرياً، لم يكن يأخذ قراراً، محتار، هو خاف أن يعمله مخفياً، يصبح في خطأ بالأنابيب، يكسر البلاط، خاف يعمله ظاهرياً، الظاهر ليس جميلاً جداً، بعد ذلك استقر رأيه، سوف أجعله مخفياً، بعد عشرين سنة، إذا صار فساد بالأنابيب، يكسره، يعمله ظاهرياً.

هذا يعيش لمدة عشرين سنة للأمام، قد يكون أجله بعد ساعة، بعد يومين أجله، قد تكون أكفانه نسجت، وهو لا يدري. لذلك النبي علمنا، قال:

((كُنْ في الدنيا كأنَّكَ مسافر، أو عابرُ سبيلٍ))

الشعور الموقت في الدنيا، يلغي كل مشاكلها؛ لذلك قالوا:

((الموت ما ذكر في كثير إلا قلله، ولا في قليل إلا كثره))

شخص ليس معه مال، يموت، تنتهي المشكلة، شخص معه أموال طائلة، الموت ينهي له كل المال، فالموت مع المال يصغره، مع قلة المال يكبره.

٢-إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.........:

وفي قول ثان: قال:

((إذا أمسيتَ فلا تَنتَظِرِ الصَّباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وخُذْ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك))

[أخرجه البخاري والترمذي عن ابن عمر]

من منا يفكر هذا التفكير، ينام كل يوم على أساس: في اليوم الثاني يستيقظ، ينام على أساس: أن يستيقظ في اليوم الثاني، لكن: من منا يدخل في حساباته، أن لا يستيقظ صباحاً؟ تجده قد اصطلح مع الله، قبل أن ينام:

((يا رب؛ إنْ أمْسكْتَ نَفْسي فارْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تَحْفَظُ به عبادَك الصالحينَ))

قلما يفكر إنسان هذا التفكير، على أساس الموت قد يطول.

أما النبي هكذا علمنا، قال:

((يا بن عمر، إذا أمسيتَ فلا تَنتَظِر الصَّباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ))

العبرة من ذلك: أن تكون جاهزاً للقاء الله عز وجل، مصطلحاً مع الله، مؤدياً الحقوق، لا يوجد عليك مشكلات.

قال: (وخُذْ من صحتك لمرضك): كلام دقيق: أنا الآن صحيح، طبعاً لا بد أن يأتي وقت أمرض. إنسان زار طبيب قلب، قال له: أريد أن تعمل لي عملية، ما مقدار نجاحها؟ قال: بالمئة ثمانون، قال: لا أريد، أريد مئة في المئة، قال: إذا كان كل عملية مئة في المئة، كيف يموت الناس إذاً!؟ لا توجد طريقة يموت الناس فيها، في احتمال: أن لا تنجح العملية، كيف بالمئة ثمانون؟ قال: إذا كان عملها ثمانون شخصاً؛ عشرون يموت فيها، وثمانون لا يموتون .

فإذا الإنسان دخل في حسابه الموت، وممكن أن يطلع من البيت، ولا يرجع، ممكن أن ينام، ولا يستيقظ، ممكن أن يستيقظ، ولا ينام، ممكن أن يسافر، تأتي بضاعة، النعش معه أوراق بنفيست، ممكن أن يأتي بأوراق، يأتي مع النعش، وصارت.....

مرة كنت راكباً في الطائرة، ذاهباً إلى المغرب، وقفت في تونس ساعة أنظر، البضاعة تنزل من الطائرة، لقيت نعشاً ينزل، تفاجأت! رجل قد وضع في الأسفل مع البضاعة، وتستطيع أن تخلصه مع أي بضاعة؛ تأتي بالأوراق، تأتي بالشهادات، المنشأ إلى آخره.... يطالعونه.

فشخص أحياناً: يذهب لا يرجع، ينام لا يستيقظ، يستيقظ لا ينام، يدخل لا يخرج، يخرج واقفاً....هذا الواقع، وهذه قصص الناس كلها أمامك؛ في مليون، ستين، سبعين وفاة بدمشق .

قال:

((إذا أمسيتَ فلا تَنتَظِر الصَّباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وخُذْ من صحتك لمرضك))

الإنسان صحيح الآن؛ يصلي، يعمل عملاً صالحاً، في أي وقت سوف يمرض، لم يبق في عمل، يأتي عمله السابق يسليه.

وخُذْ من حياتك لموتك: الآن الإنسان حي، يستطيع أن يصلي، يستطيع أن يعمل عملاً صالحاً، يتصدق، يعمل عملاً لوجه الله، كله بيده، يأتي وقت انتهى عمله.

قيل: النبي صلى الله عليه وسلم، مر على قبر مع أصحابه، قال:

((صاحب هذا القبر: ركعتين مما تحقرون من تنفلكم –يعني: ركعتين بسرعة، كيف ما كان،

(ولا الضالين)

آمين،

(قل هو الله أحد)

الله أكبر، كيف ما كان- خير له من كل دنياكم))

تصور شركة تبيع العالم كله، محجوز إنتاجها لشهر، في شركات كبيرة.....

سمعت عن شركة أدوية: أربعمئة وخمسين مليار مبيعاتها أمريكية، لو شخص مالك الشركة، هل يوجد عنده مشكلة مالية؟ .

قال:

((خُذْ من حياتك لموتك))

أنت الآن حي، اعمل عملاً صالحاً لوجه الله، خالصاً لوجه الله، لما يأتي الأجل، تجد عملك نوراً أمامك.

والحقيقة أكثر موعظة، الإنسان يلاحظها أثناء دفن الميت، يفتحون النعش، يحملونه، ينزلونه، أنا كنت ألاحظ الملاحظة، يضع الحفار البلاطة، البلاطة ليست متقنة، قد يكون فيها فتحات كثيرة، في أطراف فيه فتحات، يأتي بالمجرفة، يهيل التراب على هذه الحجرة، يمكن أن يضعوه في الأسفل، حوالي خمسة كيلو تراب فوق الميت، هذا ممكن: أن يكون جالساً ببيت أنيق جداً، شرشف نظيف، أين بقي الآن؟ خمسة كيلو تراب وضعوا فوقه.

فهذا الحديث الذي لا بد منه؛ الذكاء والعقل أن تعد له، الآن: من يعد له أكثر شيء؟ يقول لك: اقتربت، لم تعد طويلة، ينبغي أن يعد له الشاب أيضاً، في حوادث ليس معقولاً بالثلاثين**!!**

لي جار عنده ولدان، خمس وعشرون، سبع وعشرون، والاثنان ماتا بحوادث، يخطط، يأخذ بيتاً، يتزوج......، يكون في بال الشاب مليون مشكلة، يتبددوا جميعاً، ففي حالات وفاة شاب. قال:

((خُذْ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك))

أما إذا شاب مؤمن، والله عز وجل توفاه في وقت مبكر، لا يوجد مشكلة، لأن الله عنده خيرات، لا يعلمها إلا هو.

مرة ضربت مثلاً: شخص يرتدي بدلة، قلنا له: كم سعر هذه البدلة؟ قال لك مثلاً: عشرة آلاف، إذا كان خلعناها بالزور، تأخذ فيها مئة مليون، يتمنى.

إذا شخص هكذا فقد حياته، وكان مؤمناً، الله عز وجل مهيىء له جنة عرضها السموات والأرض، كل متع الدنيا تافهة أمامه، إذا شخص مات على الإيمان، لا تقولوا: مسكين مات، مسكين: كلمة ليست صحيحة، نحن المساكين، إذا مات على الإيمان، لا تقل: مسكين، لم يسعد بعمره، مسكين لم يتزوج، مسكين لم يسكن في البيت، لا تقل: مسكين إذا مؤمن، إذا غير مؤمن، فعلاً مسكين .

٣-خط رسول الله عليه الصلاة والسلام خطاً مربعاً......:

وفي حديث آخر: لكن معه إيضاح، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال:

((خَطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطّاً مُرَبَّعاً، -يقف مع أصحابه، معه قضيب، والأرض رمل، رسم مربعاً عليه الصلاة والسلام، خط خطاً مربعاً- وخطَّ خطّاً في الوسط خارجاً منه -رسم خطاً ضمن المربع، ثم خرج- وخطَّ خُطَطاً صغاراً، إلى هذا الذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط، -يعني: رسم خطاً، ورسم مربعاً، ورسم خطاً من الداخل، مدده لخارج المربع، ورسم على هذا الخط: خطوطاً عرضية صغيرة؛ مربع، وخط، وخطوط- فقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيطٌ به - أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارجٌ أمَلُهُ، -يعني: طالع من الخارج؛ عشرون سنة قادمة، خمسون سنة قادمة، هذا كله خطوط أمله- وهذه الخططُ الصغارُ الأعراض، فإن أخطأه هذا، نهشَهُ هذا، وإن أخطأهُ هذا، نهشه هذا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن ابن مسعود]

في مشكلات، المشكلة قاتلة، هذه ليست قاتلة، لكن: أين ترك آمالاً؟ عمل حساباً، أن يعمل كذا وكذا. أسس ملهى بالصبورة شخص، حاول أن يكون أسوأ ملهى بالقطر، ماذا يوجد في الدول من معاص؟ في الدول المترفة، المنحلة أخلاقياً، أتى به، أتى بنساء، يقدمن المشروب شبه عرايا تقريباً، بعد أن افتتح بأسبوع فطس، هكذا الأجل، يأتي فيقسم .

لذلك: أعقل إنسان، وأذكى إنسان، وأفهم إنسان، الذي يعد لهذه الساعة، التي لا بد منها، يعد لها عملاً صالحاً، يعد لها إنفاقاً، يعد لها طلب علم، يعد لها تعليم علم، يعد لها دعوة إلى الله، يعد لها تربية أولاد، أنت فقير إلى العمل الصالح:

(فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)

[سورة القصص الآية:٢٤]

انظر إلى كلمة: غنى، يفهمها الناس المال، أما الغنى بالدين الإسلامي: غنى العمل الصالح؛ قد يكون إنسان لا يوجد معه قرش في جيبته، لكن هذا عند الله أغنى الأغنياء، لأن زاده كبير إلى الآخرة، وفي إنسان المال عنده كثير جداً، لكن هو فقير جداً عند الله، وهذا مصداق قول سيدنا علي:

((الغنى والفقر بعد العرض على الله))

٤- الجنة أقرب إلى أحدكم ....:

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

((الجنةُ أقربُ إلى أحدكم من شِراكِ نعْلِه، والنارُ مثل ذلك))

[أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود]

خلقة بالجنة صار، إذا كان مؤمناً. الحديث:

((مَن سَلَكَ طريقاً، يَلْتَمِسُ فيه علماً، سهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

شخص خارج من بيته، لا يقصد مصلحة مادية، طالع من بيته لوجه الله، يحضر مجلس علم، يحضر خطبة، يحضر درساً، ولا سيما صلاة الفجر، هو يمشي في الطريق، يمشي في طريق الجنة، لو صار في حادث فجائي، لو كانت القاضية.

في أخ أثناء الجمعة مات، طاعة، أتى ليسمع الخطبة، يؤدي طاعة، قبض في المسجد، هذا إلى الجنة، إذا كان شخص مات في طاعة، شيء جميل جداً.

قيل: في امرأة بالسعودية، مجاورة للباكستان، يبدو ليس معها إقامة، فلما ضبطوها، يجب أن تسفر، قالت لهم: أريد أن أصلي ركعتين، لكن بالحرم النبوي، هكذا سمعت، قبضت وهي ساجدة .

إذا الإنسان، كان في عمل صالح، وقبض للجنة رأساً، وإذا كان في عمل سيء، صورة ليست واضحة، وضع سلماً، يريد أن يقص غصنين من الشجرة؛ لأن هذين الغصنين يشوشان على الصحن، فنشر الغصن الأول، السلم انحاز عن موقعه، مسك الغصن الذي نشره، نزل ميت رأساً، رأساً مات، وهو يبحث عن معصية، ممكن، هذا معنى:

((الجنةُ أقربُ إلى أحدكم من شِراكِ نعْلِه، والنارُ مثل ذلك))

٥-بادروا بالأعمال الصالحة........:

الحديث:

((بادروا بالأعمال الصالحة فِتناً كَقِطع الليْلِ المظلم، يُصبحُ الرجلُ مؤمِناً ويُمْسِي كافِراً، ويُمسِي مُؤمِناً ويُصبْحُ كافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ من الدُّنْيا))

[ورد في الأثر]

أحياناً الفتن تمنعك من الصلاة.

كنت في الحج، أناس دعونا إلى طعام الغداء، تحدثوا لنا، قال: جاره عمره خمس وستون سنة، أتى بصحن، ترك الصلاة كلياً، رأى: لا يوجد تناسب بينهما، فعلاً: لا يوجد تناسب، فترك الصلاة.

((أعْذَرَ اللهُ إلى امرئٍ أخَّرَ أجَلَهُ حتى بلغ ستين سنة))

[ورد في الأثر]

واحد وصل للستين، معناها: إذا كان أخطأ في هذا السن، ليس له عذر أبداً، وهذا السن: سن النذير، وفي رواية: الأربعين نذير.

٦-أحاديث بروايات عديدة :

وقال عليه الصلاة والسلام:

((لا يتَمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ؛ إمَّا مُحسِناً فلعلَّهُ يَزْدادُ، وإما مسيئاً فلعله يستَعْتَبُ))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة]

إن تكلمنا عن الموت، ليس المعنى أن نتمنى الموت:

((خيركم مَنْ طال عمره، وحَسُنَ عمله))

[ورد في الأثر]

اطلب عمراً مديداً في طاعة الله، اطلب عمراً مديداً في الخير، في خدمة الخلق، في نشر الحق، في تأليف القلوب، في تمسيك الناس بكتاب الله، اطلب عمراً مديداً، والحياة محببة للإنسان .

وفي رواية لمسلم:

((لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكُمُ الموتَ، ولا يدْعُ بهِ من قبْلِ أنْ يَأْتِيَنَهُ، إنَّهُ إذا ماتَ، انْقطعَ عَمَلُهُ، وإنه لا يزيدُ الْمؤمِنَ عُمُرُهُ إلا خَيْرا))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة]

((لا يَتمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ الموتَ مِنْ ضُرٍّ أصابَهُ، فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً، فلْيَقُلْ: اللَّهمَّ أحْيِني ما كانَتِ الحَيْاةُ خَيْراً لي))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

في أشخاص سمعت عنهم، والله أعظم رحمة من الله أن يموتوا، يقول لك: صار له ثلاثة أشهر في ثبات، فتَّح جسمه كله، الجسم إذا لم يحرك جسمه ينتهي، يضع يده على لحمه، يطلع لحمه بيده ثبات، فقدان وعي، يحتاج إلى تنظيف، ما في حركة أبداً، كل لحمه تفتت، والله الموت رحمة.

كان في مصر خطيب، سمعت مرة شريط له، يقول: اللهم من أراد بي سوءاً، من أراد إطفاء هذا النور في هذا المسجد، اللهم أصبه سرطاناً في دمه، وعمى في عينيه، وشللاً في يديه، حتى يتمنى الموت، فلا يجده.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

استنبط عنوان الدرس من هذه الأحاديث :

أيها الأخوة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

((كان على نفل النبي صلى الله عليه وسلم -النفل: الغنيمة، يعني: كان على غنائم رسول الله صلى الله عليه وسلم- رَجُلٌ يُقال له: كِرْكِرَةُ -مثل: أمين مستودع، يعني: الغنائم التي جمعت في بعض الغزوات، وكل بها رجل اسمه: كركرة- فماتَ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: هو في النار، فذَهَبُوا يَنْظُرونَ إليه، فوَجَدُوا عَباءة قد غَلَّهَا))

يعني: أخذها خلسة، عباءة للغنائم .

[ورد في الأثر]

الفصل اليوم: عن الغلول، في شيء: المسلمون غافلون عنه؛ صلى، وصام، هذه العبادات الشعائرية تسقط قيمتها، حينما تُتجاوز الحدود في العبادات التعاملية.

فعباءة غلها، يعني: أخذها قبل أن تقسم الغنائم، أخذها خلسة، قال: هو في النار .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

((حدَّثني عمرُ، قال: لمَّا كان يومُ خيْبرَ، أقبلَ نفرٌ من صحابةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: فلانٌ شهيدٌ، وفلانٌ شهيدٌ، حتى مَرُّوا على رجُلٍ فقالوا: فلانٌ شهيدٌ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: كلاَّ، إنِّي رأيتُهُ في النار في بُرْدَةٍ غَلَّها -أو عَباءةٍ- ثُمَّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا بْنَ الخطابِ، اذْهبْ فنادِ في الناس: إنَّهُ لا يدخلُ الجَّنةَ إلا المؤمنون))

[أخرجه مسلم والترمذي عن عبد الله بن عباس]

في بالحديث: إشارة دقيقة جداً، معنى ذلك: الذي يأخذ مالاً حراماً ليس مؤمناً، فهذا الذي غل عباءة: هو في النار؛ لأنه لا يدخلُ الجَّنةَ إلا المؤمنون.

وكل إنسان يفرق بين العبادات الشعائرية، والعبادات التعاملية، فهو أدى الصلوات الشعائرية، والحج، والصوم، ولم يؤد العبادة التعاملية؛ الأمانة، والنزاهة، والعفة، والدقة، فهذا: شطرَ الإسلام شطرين، والإسلام: كل متكامل لا يجزأ.

الأول: رواه البخاري، والثاني: رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ، فذَكَرَ الْغُلولَ، فَعَظَّمَهُ وعَظَّمَ أمْرَهُ -الآن: هناك عدد كبير من المسلمين، يعلقون آمالاً كبيرة على شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، شفاعة النبي: لمن مات موحداً، لمن مات غير مشرك بنص الأحاديث الصحيحة، والذي يموت غير مشرك، قطع تسع وتسعين بالمئة من الطريق إلى الله عز وجل، يعني: مات، وعلاماته ناجح بالمواد كلها، عنده مادة واحدة، ينقصه فيها درجتين فقط، هذا تناله شفاعة النبي- ثم قال: لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم، يجيءُ يومَ القيامَةِ على رقبَتِهِ: بعيرٌ له رُغاءٌ -يعني يختلسه- يقول: يا رسولَ الله! أغِثْني، فأقولُ: لا أملكُ لك شيئاً، قد أبْلَغْتُكَ -هذه حالة- لا أُلْفِينَّ أحدَكم، يجيءُ يومَ القيامةِ على رقبَتِهِ: فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فيقول: يا رسول الله! أغِثْني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم، يجيءُ يومَ القيامَةِ على رقبَتِهِ: شَاةٌ لها ثُغاءٌ -بعير بعد البعير: فرس، بعد الفرس: شاة- يقول: يا رسول الله! أغِثْني، فأقول: لا أملك له شيئاً، قد أبلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم، يجيءُ يومَ القيامَةِ على رقبَتِهِ: نَفْسٌ لَها صِيَاحٌ، -يعني: دجاجة، كائن حي لها صياح، اختلسها من الغنائم- فيقول: يا رسول الله! أغِثْني، فأقول: لا أملكُ لك شيئاً، قد أبلغْتُكَ، -طيب: ماذا يوجد بعد الدجاجة؟- لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم، يجيءُ يومَ القيامَةِ على رقبَتِهِ: رِقاعٌ تَخْفِقُ، -رقاع: ورقة، تكتب عليها العهود، أو القروض، أو السندات- فيقول: يا رسول الله ! أغِثْني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغْتُك، لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم، يجيءُ يومَ القيامَةِ على رقبَتِهِ: صامتٌ، -دينار، المال: ناطق وصامت، الآن: يقول لك: منقولة وغير منقولة، على عهد النبي: ناطق وصامت، كل شيء له أصوات؛ بعير له صوت، فرس له حمحمة، شاة لها ثغاء، هذا كله: اسمه ناطق، والذهب ساكت، معه ذهب وفضة- فيقول: يا رسول الله! أغِثْني، فأقول: لا أمْلك لك شيئاً، قد أبلغْتُك))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

هذا الدين، ورقة أحياناً، قلم ليس لك، تضعه في جيبك، عن قصد طبعاً، وتذهب، قلم، ورقة، قطعة معدن من العملة، دجاجة، شاة، فرس، إبل، ناقة، إن أخذ الإنسان مالاً حراماً، يلغي كل عباداته، يأتي يوم القيامة إلى النار، وهذا الحديث متفق عليه، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((خرجنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى خَيْبَرَ، ففتح الله علينا، فلم نَغْنَمْ ذهباً ولا وَرِقا، غَنِمْنَا المتاعَ، والطَّعَامَ، والثِّيَابَ، ثُمَّ انطلَقْنا إلى الوادي -يعني: وادِي الْقُرَى- ومَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عَبْدٌ له، وهَبَهُ له رجُلٌ من جُذام، يُدْعى: رِفاعَة بن زَيدٍ، من بني الضُّبَيْبِ،

فلمَّا نَزَلْنَا الوادي، قام عبدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فكان فيه حَتْفُهُ، فقُلْنَا: هنيئاً له الشَّهادةُ يا رسولَ اللهِ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: كلاَّ، والذِي نَفْسُ محمد بيَدِه، إنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عليهِ نارا، أخَذَها من الغنَائِمِ يوْمَ خَيْبَر، لم تُصبهَا المقاسِمُ، قال: فَفَزِعَ النَّاسُ، فجاءَ رجُلٌ بشِراكٍ، أوْ شِراكَيْنِ، فقال: أصَبْتُهُ يومَ خَيْبَر، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: شِراكٌ من نارٍ، أو شِراكانِ من نارٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

فهذا الإسلام منهج، منهج دقيق، وشامل، وكامل، ولا يتجزأ، والأمانة واحدة، فحتى تصح الصلوات، والصوم، والحج، يجب أن تحاسب نفسك على أقل الأشياء، على الدرهم....

ورد في بعض الآثار النبوية: أن الوحي انقطع عن النبي أسبوعين، أو ثلاثة، فعجب، قال لها:

((يا عائشة، لعلها تمرة أكلتها من تمر الصدقة))

وجد على السرير تمرة فأكلها، النبي يعلمنا: أن الوحي ينقطع لتمرة أكلها الإنسان، من تمر الصدقة.

الإنسان أحياناً: يغتصب بيوتاً، بيت ثمنه عشرون، ثلاثون مليون يُغتصب، لأن مستأجراً متمكن فيه، والقانون معه، تجد شركات: شريك يأخذ حق شريكه، ملايين مملينة تؤخذ غصباً من الناس، باسم تشغيل، باسم....

شخص: أخذ ستين، سبعين، وولى هارباً، ويظهر نفسه رجل دين، وفي كل حفلة يجلس أول صف، شيء....

هذه الأحاديث، هذا ديننا، فإذا الإنسان لا يوجد عنده أمانة، لا يوجد عنده ورع، لا يوجد عنده خوف من الله عز وجل، لا يحاسب نفسه على الدرهم والدينار، ليس لها قيمة صلواته، وصيامه، وحجه، هذه عبادات شعائرية، مثل: ساعات الامتحان؛ الدارس يكتب فينجح، والغير الدارس، هذه الساعات الثلاثة، لا قيمة لها إطلاقاً، قيمتها في الدراسة التي تسبق هذه الساعات.

هذه أحاديث كلها صحيحة، وكلها تؤكد: أن الغلول صاحبها في النار، مع أنه مات بحسب الظاهر شهيد.

سؤال طرح على النبي :

شخص سأل النبي عليه الصلاة والسلام:

((أيغفر للشهيد كل ذنب؟ -النبي اجتهد- قال: نعم، فجاءه جبريل، فاستدعاه، قال له: يا هذا! يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين))

شهيد قدم روحه في سبيل الله، الدين لا يغفر له، لا بد من أن يؤدى، حقوق العباد مبنية على المشاححة، وحقوق الله مبنية على المسامحة .

فالدَّين: لا بد من أن يؤدى، ولا يغفر، ولا يسقط إلا بالمسامحة، أو بالأداء، وكل إنسان يتوهم أنه ذاهب للحج، عاد من ذنوبه كيوم ولدته أمه، هذا وهم، هذا الحديث ينصرف إلى الذنوب التي بينك وبين الله، فعلاً: تغفر كلها، أما: مغتصب بيت، مغتصب حصة بشركة، مغتصب مال، أخذت شيئاً ليس لك، لو حججت مليون حجة، الحقوق ثابتة لا تنقص ولا تزول.

المسلمون: حينما يفهمون دينهم هذا الفهم، هل يعقل: سيدنا عمر يصبح قاضياً، وزير عدل، يجلس سنتين، لا ترفع له ولا قضية!؟ وهل يعقل: أن تجد عشرين، ثلاثين، الآن: دعوة كيدية بقصر العدل، كلهم مسلمون؛ اغتصاب بيوت، اغتصاب شركات، سرقة أموال.....

الآن: كم تاجر يشتري بضاعة، ويبيعها، ويحل مشاكله، ولا يدفع سعرها؟ اِمسك أي تاجر بالشام، يقول لك: لي مع فلان مليون، نصف مليون، سبعمئة ألف، لا يدفعهم، هذا الحاضر مرتاح، عليه سبعمئة ألف ومرتاح، ما عنده مشكلة أبداً، يماطل، هو حل مشاكله، زوج أولاده، رتب أموره، وأموال الناس لا تهمه.

حقيقة ينبغي أن تعتقدها :

أيها الأخوة، هؤلاء المسلمون المليار، ليس لهم قيمة عند الله بأف، ليس الألف بأف، المليار أف، هكذا نموذج: لا يستحق النصر، لا يستحق أن يكون الله معهم، أن يدافع عنهم، أن ينصرهم على أعدائهم، هؤلاء مسلمون فلكلوريون، الإسلام فلكلور، تقاليد، مظاهر إسلامية، لكن لا يوجد انضباط بالمعاملة، حرمة الله لا قيمة لها، هان أمر الله عليهم، فهانوا على الله.

هذه كلها أمامكم، هذه السنة، وهذا الحديث، هذا ديننا، عباءة أخذها، ذهب إلى النار، طيب كم الآن: في كلام في الأسر، وطعن، وغيبة، ونميمة؟ .

إن فلانة تذكر: أنها تكثر من صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار، حديث صحيح.

هذه نساء المسلمين، دائماً: في عملية كيد، وكبر، وافتخار، وتحقير للفقير، استعلاء، أين!؟.

قالت له:

((إنها قصيرة، قال: يا عائشة، لقد قلت كلمة، لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

أين؟.

لو وازنا عملنا مع النصوص هذه، على النار معظم الناس، وهذه النصوص صحيحة، النبي لا يمزح، مقام النبي يستحيل عليه أن يمزح، أو أن يقول: كلاماً لا معنى له، أو أن يبالغ، أو أن يخوفنا تخويفاً ليس له مبرر، هذا كلامه.

فلما نفهم الدين الفهم الدقيق، لما نحاسب أنفسنا على الليرة، كم إنسان الآن: مات، وترك أموالاً؟ هو عندي في الجامع عشر سنوات، اثنتا عشرة سنة، عشرون سنة، لا يزحزح شيء بالورثة، عنده بنات متزوجات لا يعطوهن، لا يأخذن قرشاً، بيد الذكور الثروة كلها، وكلما طالبوهن، يماطل الذكور.

قال لي أخ: انتظرنا عشرين سنة، لم يعطوننا قرشاً، وترك أموالاً طائلة الأب، والبنات بحاجة إلى سيارة، إلى بيت لأولادهم ......يقول لك: مسلم، وجهه كبة نور، ما هذا الكلام؟ كبة نور، كلام شيطان هذا، إذا على عباءة: دخل إلى النار، نزلت، كنا بناقة، بفرس، بشاة، بدجاجة، بورقة، رقاع تخفق، بليرة معدنية صامت، هي في النار.

هذا الدين نفهمه بهذا الشكل، كنا من الناجين جميعاً، تفهمه، أنا الحمد لله أصلي، هذا كلام مضحك، ديِّن؛ لأنه يصلي، لا، ليس لها قيمة الصلاة أبداً، ممكن كل إنسان أن يصلي، بالعكس: الصلاة عدة الشغل، يصلي بالمسجد، ويأكل أموال الناس بالباطل، هذا البلد أمامكم، هذه الحريقة، هذه الأسواق كلها، مليون قضية اختلاس أموال، ضمن التجارة غش، يدفع ثمناً، يبعث له بضاعة من نوع ثان، يوهمه إيهاماً، يعد نفسه شاطراً.

قال لي صاحب مطعم، قال لي: والله! الله هداني، قال لي: كنت الوقية (١٥٠غ)، هكذا تعليماته لكل المطعم، يأخذ حق وقية لحم بأعلى سعر، يضع (١٥٠غ) بدل سبعة مواس، خمسة مواس، واللحم من أردى الأنواع أيضاً، وفي أشياء شخت، توضع مع اللحم، مطعم ضخم، هذه المطاعم كلها غش.

مثلاً: معامل تأتي بضاعة، قد انتهى مفعولها، يبيعونها لمعامل غذائية، معمل بسكويت: يبيعونه سمنة، انتهى مفعولها، يعدها شطارة، لكن نحن: نصلي، ونصوم، ونحج، ونفعل ما نشاء، الله عز وجل يرد علينا: صلاتنا، وصيامنا، وحجنا....

لو أن إنساناً حج بمال حرام، ولما أحرم قال: لبيك اللهم لبيك، يقال له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك .

فأنا أشفق على نفسي، وعلى أخواني، حاسب نفسك حساباً دقيقاً؛ اغتصاب بيوت، اغتصاب محلات، اغتصاب شركات، نأخذ ما ليس لنا، وأكثر شيء واضح: أن يحرم بناته، يعطي الثروة

لأولاده، والبنات محرومات، والله تأتيني هواتف، يبكين على التلفون، لم يعطنا شيء، طيب أليست ابنتك هذه؟ يعني: أنت أفهم من الشرع؟ لما أعطاها الشرع للأنثى نصف الذكر، أنت أفهم من الشرع؟ هكذا....

تجد ملايين مملينة، مليار ومئتي مليون، ليس لهم قيمة عند الله، ما في إنسان مستقيم، كل الناس تأكل أموالاً حراماً، عملية هرج، من أقوى يأخذ؛ الذكر أقوى من الأنثى، يأخذ حقها، شريك قوي؛ محل باسمه، والترخيص باسمه، يعطي شريكه أقل شيء، يعمل مشكلة، يخرجه منها، مرتاح، هو يصلي، هو يلبس أبيضاً، ويعطر حاله، ومسبحة بيده، وبالجامع، بالوسط يجلس، مرتاح، الدين عنده المظهر هذا، هذا باطل.

مسبح مختلط، عمل مولد، يريد أن يتقرب من رسول الله، مسبح مختلط، وتعمل مولد أيضاً، ويدعو الناس، ويلقون كلمات، يثنون عليه أيضاً، ما هذا؟ إسلام مضحك، إسلام بقي شكل بلا مضمون، لا يوجد انضباط.

أنا هذا رأيي، هذه الأحاديث أمامكم، إذا في زيادة الكتاب راجعه: إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب، من أحاديث البخاري ومسلم، باب: الغلول؛ من أجل ورقة للنار، من أجل قطعة معدن من عملة للنار، من أجل فرس للنار، هكذا....

ملايين القصص توجد، لا توجد شركة: ما فيها مال حرام مأخوذ، شخص أخذ من وراء ظهر شريكه، هكذا الناس، كلها تمشي هكذا، يقولون: الله لا ينصرنا، لا ينظر إلينا، ويرفعون أصواتهم بالدعاء: يا رب، عليك بهم، الله يزودهم بزيادة، كلما دعيت عليهم، يقويهم أكثر، هذا الذي يحدث، إذا استقمت أنت، يتغير الأمر :

(وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ)

[سورة الأنفال الآية:١٨]

أنت يا عبدي، إذا أطعتني، أنا أنزع لهم كل خططهم مهما تكن الخطط كبيرة، ومحكمة، أنا أنزعها، لكن: كن معي أنت:

(وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ)

[سورة الأنفال الآية:١٨]

طمأنك، قال لك: بقدر ما كانت خططهم مخيفة، بقدر ما عندهم أسلحة، بقدر ما عندهم جبروت، جميعهم أسخره لمصلحتك، لكن: كن معي أنت، هكذا.

هذه الحقيقة يا أخوان، اكسبوا وقتكم، وعمركم، نريد شيئاً ملياناً، يوجد شيء فاض، هذه مظاهر الدين كلها فاضية، نريد حقائق الدين، الدين: استقامة، الدين: التزام، الدين: ورع، الدين: عفة عن المطامع، عفة عن المحارم، خذ الذي لك من حقك، لا تأخذ ما ليس لك.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٥-٤٤) : الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ما مضمون هذا الحديث :

أيها الأخوة، ربنا سبحانه وتعالى خلقنا ليسعدنا، وسعادتنا بالقرب منه، لذلك: جعل الطرائق إليه، لا تعد ولا تحصى، الطرائق إليه، السعادة كلها عند الله، وفي القرب منه، وأنت في البيت، وأنت في بيتك، هناك عشرات الطرق إلى الله .

الإمام المنذري عقد في كتابه (الترغيب والترهيب)، باباً في الترغيب: في النفقة على الزوجة، والعيال، والترهيب من إضاعتهم، وما جاء في النفقة على البنات، وتأديبهن.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

((دِينار أنفقتَه في سبيل الله، ودِينار أنفقتَهُ في رقبة، ودينار تصدَّقتَ به على مسكين، ودِينار أنفقتَهُ على أهلك، أعظمُها أجراً الذي تنفقه على أهلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الحديث في صحيح مسلم، ذلك أن هذا الفقير أنت له، وغيرك له، أما أهلك، وأولادك: من لهم غيرك؟ لكن لا أقصد النفقة التي فيها معصية؛ الترف، البذخ، تشتري حلي للزوجة، من أجل أن تتيه على جاراتها، وتكسر شعورهن، لا.

حينما تدخل على قلب أهلك السرور لحاجة يريدونها، لأكلة يأكلونها، لنزهة تقومون بها، وأنت في بيتك، وأنت مع أهلك وأولادك، هناك طرائق إلى الجنة، من هذه الطرائق: الدرهم الذي تنفقه على أهلك، المقابل: يقول عليه الصلاة والسلام:

((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت))

هو يطعمه، يكسوه، يداويه، لكنه ضيعه في دينه.

الحديث الأرقى، غير الأرقى، الذي في درجة أخرى؛ ولو أنفقت على عيالك المال، ولو عالجتهم من الأمراض، ولو أمنت لهم الطعام والشراب، لو أمنت لهم الكساء، ولم تهتم بأمر دينهم، وآخرتهم، فقد ضيعتهم:

((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت))

أثبت النبي لك: أنك تطعمهم، وأنك تنفق عليهم، لكنك ضيعتهم في دينهم، الأب الذي لا يبالي أين سهر ابنه؟ ومع من جلس؟ وأين ذهب؟ والى أين توجه؟ ومن أصدقاء ابنه؟ الذي لا يبالي: أصلى ابنه، أم لم يصل؟ .

دخل عليه الصلاة والسلام مرة، على إحدى زوجاته، فسألها: الأولاد هل صلوا؟ .

أحياناً: الإنسان يسأل زوجته: تناولوا طعام العشاء؟ جيد، كتبوا وظائفهم؟ لكن لم يقل لها: صلوا؟ يهمه الأمور المادية؛ كتبوا الوظائف؟ كتبوا؟ كيف علاماته؟ كيف جلاؤه؟ أما الأب الذي يسأل: هل صلوا العشاء قبل أن يناموا؟ هل صلوا الفجر؟ هل أدوا الصلوات الخمس؟ .

((فدِينار أنفقتَه في سبيل الله، ودِينار أنفقتَهُ في رقبة، ودينار تصدَّقتَ به على مسكين، ودِينار أنفقتَهُ على أهلك، أعظمُها أجراً الذي تنفقه على أهلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لذلك الإنسان إذا له عمل، وقد يكون عمله متعباً، وجمع منه مالاً حلالاً، واشترى به طعاماً، وشراباً، وكساء لأولاده، وأدخل على قلبهم الفرح، فهذه من الأعمال الصالحة التي ترقى بها عند الله.

إليكم هذه الأحاديث التي تصب في موضوعنا هذا :

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

((أفضل دِينار ينفقُه الرجل: دينار يُنْفِقُهُ على عياله، ودِينار يُنفِقُه –الرجل- على دَابته في سبيل الله، ودينار يُنْفِقُه على أصحابه في سبيل الله))

قال أبو قِلابة: بدأ بالعِيال، ثم قال أبو قِلابة : وأيُّ رجل أعظم أجراً من رَجل يُنْفِقُ على عيال صغار، يُعِفُّهم الله -أو يَنفَعهم الله- به، ويغنيهم؟

[أخرجه مسلم والترمذي عن ثوبان]

الطفل يشتهي كل شيء، يتمنى أن يرتدي الثياب، أن يشتري الحاجات، أن يشتري الأدوات المدرسية، فأنت؛ لما تلبسه، وتطعمه، وتملأ له كل حاجاته، وأنت أبوه، هو ابنك، معنى ذلك: أنت رعيته رعاية كاملة، فلا أحد يستهين بقضية الأهل، العمل الصالح ضمن البيت طريق للجنة، لا تضجر، أخي لم أعد ألحق مصروفاً، المصروف يشق شقاً، تحمل، أنت في أعلى درجات القرب من الله، أنت تعمل لتوصيل إنسان إلى الله.

تجد أحياناً الطفل، ينشأ في أسرة متماسكة؛ فيها مودة، فيها حب، يكبر، تجد في قلبه رحمة، في قلبه إنصاف، أحياناً يكون الأب والأم ناجحين بتربيتهم، ليس شرطاً أن يكونوا مثقفين، في كل أم، وكل أب، معنى: الله عز وجل آتاهم من الحكمة في تربية الأولاد، فتجد الأبناء يعتزون...

سمعت كثيراً من أخوان كرام، يقول لك: أنا أبي علمني هذه....

مرة في شخص، يعمل في الإخراج الطباعي، أنا لي مقالة: أريد إخراجها، قلت له: متى تحب أن نرى بعضنا، قال لي: والله في وقت مبكر، قلت له: الساعة التاسعة!! قال لي: لا ، ما هذه الساعة التاسعة؟ قال لي: الساعة السادسة، قلت له: الساعة السادسة بمكتبك! قال لي: أفتح الساعة الخامسة، قلت له: في أحد يفتح الساعة الخامسة! قال: والله –أنا- كنت طفلاً صغيراً، لي أب يأخذني إلى المسجد لصلاة الفجر، يوقظني أن أصلي قيام الليل، ويأخذني إلى المسجد لصلاة الفجر، قال لي: وأخذتها عادة، كل حياتي تبدأ من الساعة الخامسة، الساعة الثانية عشرة أنتهي، وأعود إلى بيتي.

قلت: الأب الذي كان يأخذ ابنه، يصلي معه الفجر، رسخ فيه عادة صلاة الفجر، أنت لا تعلم إذا ابن رسخت فيه عادة الصدق؛ ما كذب أبداً، ما غش، ما نظر لامرأة، كم هو عند الله يرقى بعنايتك به؟ في عندك أعمال صالحة في البيت لا تعد ولا تحصى، والجلوس مع الأهل عبادة، والمزاح أحياناً في البيت عبادة، وإدخال الفرح على قلوب النساء عبادة.

النبي قال:

((إنهن المؤنسات الغاليات))

[ورد في الأثر]

وقال:

((أكرموا النساء، والله ما أكرمهن إلا كريم))

وتوهب حياتك لأولادك عبادة .

والله في كل أب بطل، هذا يعيش لأولاده، يريد أن يؤمن لهم بيوتاً، يزوجهم، يؤمنهم، يرتاح، هذا يلقى الله، وهو عنه راض، ضمن البيت: ممكن أن تكون بالجنة، ضمن البيت فقط، لا تدعو لله، قبل أن تدعو، قبل أن تجاهد، أنت ممكن: إذا أدرت أسرة إدارة إسلامية، كان البيت متماسكاً؛ في تعاطف، في تماسك، بيت يؤدى فيه الصلوات، يتلى فيه القرآن، في حشمة، في أدب، في حجاب، هذه كلها من تربيتك، تجد البنت قد تربت، والابن تربى، والزوجة منضبطة، وفي حب، وفي وئام.

أحياناً الإنسان يأكل أخشن الأكل، لكن في حب، وئام، يأكل أكلاً مخيفاً من غلائه، لكن ما في حب، في مفارقات بالحياة.

مرة دخلت لبيت، الانطباع عجيب، أول جادة من فوق، تعبنا حتى وصلنا، لم أر بيتاً في تقشف كهذا البيت؛ بساط شرطيط، لكنه نظيف، الأرض عدسة، ما في بلاط؛ زوج وزوجته، وفي ولدين، لكن الزوج: أنا أظنه صالحاً، شعرت البيت قطعة من الجنة، والله شعرت بالبيت؛ فيه تجل، فيه نور.
فبقدر ما كان بيتك صغير؛ غرفة، ومنافعهم، وأثاثك خشن جداً، فرشة سفنج، بساط شرطيط، ممكن وأنت موصول بالله عز وجل، تقيم أمر الله في هذا البيت، الذي هو جنة، وفي بيت: ثمنه مئة وخمسون مليون، قطعة من جهنم، بيت يُعصى الله فيه.

فعند الله في مفارقات، تجد: يعطيك دنيا محدودة جداً، ويسعدك، وأحياناً: يعطيك دنيا عريضة، ويشقيك، العبرة أن تكون سعيداً.

فكل إنسان هكذا بيت؛ في صلوات، في قرآن، في حياء، في أدب، في موعظة، أشخاص كثيرون يتحدثون لنا، والله لما انتهينا من الشاشة الصغيرة، عرفنا بعضنا، يجلس الأب مع الأولاد؛ يستمتعون مع بعضهم، يمزحون، يضحكون على الأكل، كلمات لطيفة، تجد جلسة مباركة، وحلوة، وجميلة، أما كل شخص هكذا يفعل، للساعة الثانية عشرة، ويذهب إلى فراشه لينام، لم يبق أب، ولا ابن، كله انتهى، العلاقات انتهت، أما إذا في جلسة اجتماعية......

حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنك لن تُنفقَ نفقة تبتغِي بها وجه الله، إلا أجِرْتَ بها، حتى ما تجعلُ في فم امرأتك))

[ورد في الأثر]

إذا كان ناولتها لقمة لحمة لزوجتك، هذه أجرت عليها.

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يَحْتَسِبُها، كانت له صدقة))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي مسعود الأنصاري]

وكل أحاديثنا في البخاري ومسلم حصراً؛ لأن أصل الكتاب: إتحاف مسلم بما في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم.

حتى في الجنة دار اسمها: دار الفرح، يدخلها من يفرِّح الصبيان.

شخص معمي على قلبه بالعمل، وابنه يريد لعبة، ما هذه اللعبة؟ هو ليس مقتنعاً بها الأب، لكن لا تعرف، أحياناً اللعبة للصغيرة، قد تملأ حياة الطفلة سعادة، تجدها لا تنام الليل من فرحها، تضعها إلى جنبها في الفراش، لعبة صغيرة تأخذها لها، اللعبة في الإسلام مسموح بها، وإن كان هي شكل معين، لها استثناء، فالطفل الصغير، أي شيء يفرحه، يرقى به.

فكرة الله ألهمني إياها من فترة: هذا الذي يأتي مع ابنه يوم الجمعة، نعطيه سكرة، نوكاية، شغلة، فيجيب لي أخ: نصف كيلو، أحياناً: كيلو، تجد خطبة طويلة عريضة ساعة، الطفل لما يأخذ النوكاية، ملأت حياته، ما قيمتها عند الكبار هذه؟ لكن طفل صغير؛ يحب الحلوى، يحب الإكرام، الجامع عنده في أكلة طيبة، إذا كان أتى مع أبيه، أعطيته انطباعاً حسناً؛ الجامع محبب، الجامع في شيء يسره، في كلمة تسره، في ابتسامة، يجلس بأول صف معتزاً.

فهذا الذي يريد أن يصل لله عز وجل، يريد أن يعتني بأولاده جداً، حتى ينشئهم على محبة الله ورسوله، حتى يكونوا خلفاء في الدين .

فإذا الإنسان فرح الصبيان، له في الجنة: دار الفرح، إذا الإنسان كبر، الصغير له عند الله شأن كبير.

معقول النبي يصلي، طول جداً في السجود، فكر الصحابة: أنه قبض، ولهيبته الشديدة، لم يستطع أحد أن يعمل هكذا، كله ساجد، طول، معناها: قبض، قيل: في واحد من الصحابة رفع رأسه، فلقي الحسن راكب عليه أثناء الصلاة، قال له: يا رسول الله! ما الذي حدث؟ قال: والله ارتحلني الحسن، فكرهت أن أعجله، ما أحببت رأساً أن أنزله، تأخرت قليلاً بالسجود، هكذا النبي كان.

هل سمعت خطيباً، وهو على المنبر، نزل، ثم رجع؟ ولا مرة تصير في حياتك، النبي لقي ابن ابنته الحسن ماشياً، نزل حمله، وأكمل الخطبة، هذا تعليم لنا.

الطفل الصغير يحتاج إلى عناية فائقة، يحتاج إلى محبة، يحتاج إلى دلال، حتى ينشأ على محبة الإنسان.

في آباء قساة يده والضرب، تجد الطفل مرعوب، يكره البيت، يكره الكبار، يكره المجتمع، يصبح مجرماً، ينتقم، لأنه حرم العطف، والحنان، والود، وكل الذين يؤذون الناس، في بيوتهم تربية سيئة جداً، الذين يؤذون الناس، الذين عندهم قلب مثل الحجر، بمنصب حساس، تجد: يبتز أموال الناس، يخوفهم، لا يرحمهم أبداً، أغلب الظن: ناشئ في بيت مريض، في شقاق، أما إنسان ينشأ في بيت متماسك، في حب، في قلبه رحمة، يكون اشتقها من أبيه وأمه .

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها، تَسأل، فلم تجد عندي شيئاً، غير تَمرة واحدةٍ، -الآن: بيوت الناس، يعني: الطبقة الوسطى، أو فوق الطبقة الوسطى؛ في عندهم حلويات، وفي سكاكر، وفي موالح، وفي خمسين نوع بالبيت، النبي تمرة واحدة، ما في هكذا؛ البرادات، والكمى، والدينار،

وأنواع منوعة، كله مخزن، ولحومات، سيد الخلق، وجد في بيته تمرة واحدة.

ومرة زاره عدي بن حاتم قال:

((فقذف إلي وسادة من أدم محشوة ليفاً، قال: اجلس عليها، قلت: بل أنت، قال: بل أنت، قال: فجلس عليها، وجلس هو على الأرض))

بيت طويل عريض، بيت سيد الخلق، فيه وسادة واحدة، لا يوجد غيرها، قال له: خذ اجلس عليها، تجد كنباة، يغرق فيها الإنسان، كل كنباة تحتاج لوحدها بيتاً؛ كنباة، وطاولات، ومكان للاضطجاع، وغرف نوم، ودواوين، ما عنده غير وسادة واحدة، هذا سيد الخلق. فإذا شخص الله أعطاه، أعطاه أموالاً كثيرة، ما كان مستقيماً لا يعد نفسه، الله يحبه، الله يحب رسوله- فَأعطيتُها إيَّاها، فقسمَتها بين ابنَتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجَت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرتُه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن ابْتُلِيَ من هذه البَنَاتِ بشيءٍ، فأَحْسَنَ إليهنَّ، كُنَّ له سِتْراً من النار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة]

البنت لها وضع خاص، ضعيفة، من فضل الله: البنات في بلاد المسلمين معززات، مكرمات، في بلاد الأجانب -والعياذ بالله- يضع رجله، ويركلها، بعد اثنتي عشرة سنة، اذهبي مع من كان، نامي، البنت تجدها زانية باثنتي عشرة سنة، تريد أن تأكل، لأنه مطموع فيها، تجد... أما البنت عندنا: تجلس في بيت أبيها، معززة، مكرمة، إذا لم يأت خاطب محترم، لا يزوجها، وإذا زوجها، يدفع لها كل شيء، حتى تكون مجبورة الخاطر، فتجد الفتاة عند المسلمين ......

في ثلاث باحثات اجتماعيات بأمريكا، معهن أعلى شهادة بالأمور الاجتماعية، فأحببن أن يعملن استقصاء، عن وضع المرأة المسلمة في البلاد المسلمة؛ هذه امرأة مظلومة، مقهورة، ليس لها حقوق.

ثلاث باحثات اجتماعيات، قمن بمهمة دراسة تفصيلية: عن وضع المرأة المسلمة في الشرق الأوسط، أرسلوا الثلاثة؛ على مصر، وسوريا، والأردن، والسعودية، سيجدن في قهر، في ضغط، في ظلم، الثلاثة أسلمن، تفاجأن، تجلس في بيتها معززة، مكرمة.

ترى كل إنسانة في العالم الغربي، إذا لم تعمل ثماني ساعات لا تأكل، نصف نساء فرنسا بالنصف، يعشن وحدهن، ما في زواج يتم لمدة سنتين بأوروبا، وأمريكا، نحن أين؟ تجد زواجاً مباركاً، مستمراً؛ أم وأولادها، وكبروا، في نظام، هذه آثار المجتمع الإسلامي، هذه بواق، يعني: رواسب للإسلام، أما الإسلام الحقيقي: أرقى بكثير .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

((جاءتني مِسْكِينَة تَحمِلُ ابنتين لها، فأطْعَمتُها ثلاَثَ تمْراتٍ، فأعطت كلَّ واحدة منهما تمرةً، ورَفعت إلى فيها تمرةً لتأكُلَها، فاسْتَطْعَمَتْها ابنَتَاها، فشَقَّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلَها بينهما، فأعجبني شأنُها، فذكرتُ الذي صَنَعَتْ للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنَّ الله عز وجل قد أوجبَ لها بها الجنة، -على تمرة، لأنها تريد أن تأكلها، أخذوها منها- وأعتقها بها من النار))

[ورد في الأثر]

فهذا الأب والأم، اللذان يقطعان عن فمهما، ويطعمان أولادهما، فإذا كبر الابن، وأتى بأكلة طيبة، أكلها هو وامرأته، يكون مجرماً، أناس كثيرون، إذا كان من أجل أن لا تنزعج امرأته، يأكل أكلات مع امرأته، وأمه عادي.وآخر حديث:

((مَن عَالَ جَارِيَتَيْن حَتَّى تَبْلُغا، جاء يَوْمَ القيامة أنَا وهُوَ، وضَمَّ أصابعهُ))

رواه مسلم.

[أخرجه مسلم والترمذي عن أنس بن مالك]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٦-٤٤) : البطانة الصالحة والبطانة السوء.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ماذا ينصرف هذا الحديث ؟

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، ولا استَخْلَفَ مِن خَليفةٍ، إلا كانَتْ لَهُ بطانَتان: بطانَة تَأمُرُهُ بالمعْرُوفِ، وَتَحُضُّهُ عليه، وَبطانَة تَأمُرُهُ بالشَّرِّ، وَتَحُضُّهُ عليه، والمَعْصُومُ مَنْ عَصمَ اللهُ))

[أخرجه البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة]

نعرف في التاريخ، وفي الحياة الواقعية، أناساً كثيرين كانوا طيبين، إلا أن البطانة السيئة التي حولهم أهلكتهم، وأعرف أناساً ليسوا طيبين، ولكن البيئة التي أحاطت بهم، كانت طيبة فأنقذتهم.

فالبيئة لها دور خطير جداً في حياة الإنسان، والإنسان المؤمن يختار بعناية فائقة، هؤلاء الذين يعيش معهم، فكم من إنسان اتبع غافلاً فأرداه؟ قال تعالى:

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

[سورة الكهف الآية:٢٨]

قال تعالى:

(وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)

[سورة لقمان الآية:١٥]

وهذا الذي يتولى أهل الدنيا، ويعيش معهم، ويقيم معهم علاقات حميمة، هذا الإنسان ربما هلك، وشقي في حياته الدنيا.

الإنسان إذا قرأت على رأسه كثيراً، وغذيته تغذية مستمرة، في النهاية يستجيب، قل له: أين رأسك ثلاث مرات؟ يضع يده على رأسه، التغذية لها أثر كبير جداً.

فإنسان تاب إلى الله، ما لم يغير من حوله، ما لم يختر أناساً آخرين؛ طيبين، طاهرين، يأمرونه بالخير، ويحضونه عليه، فإنه هالك. الله عز وجل يقول:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)

[سورة الممتحنة الآية:١٣]

(لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)

[سورة الممتحنة الآية:١٣]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ)

[سورة التوبة الآية:٢٣]

لعل أحد أسباب فساد المسلمين: أنهم اختلطوا بأهل الدنيا، وعاشوا معهم، وتنزهوا معهم.

تجد إنساناً زوجته محجبة، واتجاهه الديني واضح، يجلس في مكان عام؛ غناء، وتقلت، واختلاط، وأحياناً: شرب خمر معهم، نقول له: هذا المكان ليس مكانك، التواجد المستمر مع أهل الدنيا، مع المنحرفين، مع العصاة، هذا يترك بصمات واضحة في حياة المؤمن.

من هو الصاحب الذي ينبغي أن تتخذه خليلاً، وما أثر الصحبة السيئة على دين المرء ؟

أيها الأخوة، مرة في دروس الطاووسية، أحد الحاضرين تأثر تأثراً بالغاً بالدرس، على خلاف الأصول، والعادة، والمألوف، وقف وقطع الدرس، وقال: نحن يا أستاذ، نسمع الدرس، نرتاح جداً، نذهب، ترجع أحوالنا القديمة، كل السرور نفقده في البيت، وفي عملنا، ما هو تفسير هذا الشيء؟ فالله ألهمني جواباً سريعاً، قلت له: غير الطقم، الطقم الذي تعيش معه، ينبغي أن تغيره، قلت: الطاولة حرام، اللعب فيها، هذه الطاولة حرام اللعب فيها، إذا لم تغير هؤلاء الذين حولك، انتقيت مؤمنين، صليت؟ لا، قم لنصلي، أمرك بغض البصر، المجلة ينبغي ألا تكون في عيادتك، هو نصحه، المجلة لا تليق فيك.

المؤمن ينصحك، يأخذ بيدك، والمؤمن حكيم، لا ينصحك أمام الناس، ينصحك فيما بينك وبينه.

فما لم يكن لك أصحاب مؤمنين، أطهار، أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، أنا أسميهم: أمراء دعوته، وقادة ألويته، ومن سعادة الإنسان: أن يكون من حوله مؤمنين، من سعادة الإنسان: أن يصاحب من كان على شاكلته، إذا كان مؤمناً: يصاحب مؤمناً، إذا كان أخلاقياً: يصاحب أخلاقياً، إذا كان ورعاً: يصاحب إنساناً ورعاً على العكس.

((لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله، ولا يدلك على الله مقاله))

يجب أن تصاحب أعلم منك في أمر الدنيا، انظر إلى من هو أدنى منك؟ أما في أمر الآخرة: انظر إلى من هو فوقك؟ والصاحب -كما تعلمون- ساحب، وقل لي: من تصاحب، أقل لك: من أنت؟ والمؤمن دائماً يعين أخاه المؤمن، يتفقده، أما أهل الفجور، والضلال......

أنا بخلاف الدعوة، في حالات كثيرة من أخواننا، والله أخوان أكارم، طيبون، لكن التقوا صدفة بأشخاص من أهل الدنيا، صرفوهم عن الحق كلياً.

والله أعرف رجلاً، له من الأعمال الطيبة ما لا يصدق؛ ببناء مساجد، محترم جداً، سنه سن الوقار، بعمل تجاري شارك شخصاً، أعطاه كم فيلم، انحرف مئة وثمانين درجة.

فالإنسان يكون دقيقاً جداً في اختيار أصدقائه، واختيار أصحابه، ولما آمن، يحتاج إلى مجموعة جديدة كلياً من الأصدقاء الأوائل؛ إن استقاموا على شاكلته: فأهلاً وسهلاً، لم يستقيموا:

(هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)

[سورة الكهف الآية:٧٨]

كلمة فراق: يجب أن يقولها المؤمن، لأنه في شيء اسمه: تسلل دون أن يشعر.

التغذية ذكية جداً، تأتي؛ نحن على سلامتك، نحن معك، يعطيه فكرة، إلى متى تبقى وراء الناس؟ ألا تتحرك؟ الناس كلها تفعل هكذا، أنت عندك أولاد، تبقى تعيش وراء الناس؟ تريد أن تحرم أولادك؟ يُمهد لك أن تأكل مالاً حراماً.

لما الإنسان يأكل مالاً حراماً، سقط من عين الله، وبكلمات واقعية؛ أنت محروم، أنت عندك أولاد، مثلك مثل الناس، هذه بلوة عامة، لا تدقق، أما لو صاحب مؤمناً، والله هو الغني:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)

[سورة هود الآية:١١٢]

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

[سورة فصلت الآية:٣٠]

فالمطلوب: أن الإنسان دائماً يكون مع الله، ويكون مع المؤمنين الصادقين، وهذا معنى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

[سورة التوبة الآية:١١٩]

إن أردتم أن تتقوا الله، يجب أن تكونوا مع الصادقين.

أنا لا أتصور: أن إنساناً يستطيع أن يتابع طريقه إلى الله، ومن حوله: فاسدون، ومن حوله: ضائع، من حوله: غارق بالدنيا، لأن هذا الفاسد: له لسان يتحدث به، لا يبقى صامتاً، والإنسان منطقي في الأعم الأغلب، يحاول أن يمرر أخطاءه، يحاول أن يعتمد على نص ضعيف، ويرفض نصاً قوياً، يحاول أن يطعن بالطاهرين المستقيمين، حتى يرتاح.

إذا الإنسان انحرف، اختل توازنه، يستعيده بحالتين؛ إما بالاستقامة، والصلح مع الله، وإما أن يستعيده؛ بأن يسفه أقوال الصالحين؛ إنهم كاذبون، لا تصدقهم.

فأحد المخاطر: أن تصاحب إنساناً شارداً، دائماً: يسفه لك أهل الإيمان، هو منحرف، ومختل توازنه، يستعيد توازنه بتسفيه أهل الإيمان، وهذا الشيء واضح جداً، لا يوجد إنسان محترم، مؤمن، إلا ويحاول أن يطعن؛ إما في عقيدته، أو في استقامته، أو في نواياه، بحيث يسقطه، يسقطه بدافع من الشيطان، وهو لا يدري؛ المتكلم: شيطان، المحرض: شيطان، فأنت إذا جلست مع أهل الدنيا، تقع في إشكال.

والنبي عليه الصلاة والسلام:

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنا، ولا يأكُلْ طعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

والجماعة رحمة، تشعر أن المؤمن هكذا، كم أخ من أخواننا، لهم جلسة أسبوعية؛ يوم الجمعة، أو يوم السبت، يتذاكرون في درس الجمعة، درس السبت، تجد: يقوي بعضهم بعضاً، يشحنون بعضهم، القوي يأخذ بيد الضعيف، الشارد يأخذ بيد الواصل، الواصل يأخذ بيد الشارد، إنسان أصابته مصيبة، تجد يصبرونه، لا يدفعونه لمعصية، هذا الحديث دقيق جداً.

أصغ السمع مرة أخرى إلى معاني هذه الأحاديث :

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، ولا استَخْلَفَ مِن خَليفةٍ، إلا كانَتْ لَهُ بطانَتان: بطانَةٌ تَأمُرُهُ بالمعْرُوفِ، وَتَحُضُّهُ عليه، وَبطانَةٌ تَأمُرُهُ بالشَّرِّ، وتَحُضُّهُ عليه، والمَعْصُومُ مَنْ عَصمَ اللهُ))

[أخرجه البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة]

أحياناً: تجد ابنك، تكلم نغمة جديدة، كلاماً ضد الدين، الكلام هذا ليس منه، شخص بدأ يغذيه، أنت تعرف ابنك، ليس هذا كلامه، وقناعاته جيدة، ومقتنع بالمنهج الصحيح، فجأة بدأ يسمعك نغمة جديدة، النغمة هذه: قد أخذها من صديق منحرف، فالصديق خطير جداً؛ خطير على ابنك، وخطير على نفسك.

وفي حديث آخر:

((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، ولا كان بعده مِن خَليفةٍ، إلا كانَتْ لَهُ بطانَتان: بطانَةٌ تَأمُرُهُ بالمعروف، وتَنْهَاهُ عن المُنكر، وبطانَةٌ لا تَألُوهُ خَبَالا، فَمَن وُقِيَ شَرَّهَا فقد وُقي))

ومرة الإمام الحسن البصري: كان عند والي البصرة، وجاءه توجيه يغضب الله عز وجل؛ فإن نفذه أغضب الله، وإن لم ينفذه أغضب يزيد، وربما عزله، عنده الحسن البصري، كان إمام التابعين، قال له:

((ماذا أفعل؟ -لو عند إنسان دنيوي؛ أنت عبد مأمور، أنت ليس لك شأن، الآن أكثر كلام الناس؛ إذا في أمر: في ظلم، أو أمر: في انحراف، يقول: أنت ليس لك شأن، أنت عبد مأمور، وهذا العمل عبادة، واتركهم، في رقبته إن شاء الله- قال: اعلم أن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله))

أحيانا: تأخذ نصيحة قاطعة، نصيحة لا تقدر بثمن، إذا أنت أطعت الله، وأرضيته، يمنعك من يزيد، وإذا كان أغضبت الله عز وجل، الله أحب أن يؤدبك تأديباً شديداً جداً، يزيد لا يفعل معك شيئاً إطلاقاً.

والحديثان: الأول في البخاري، والثاني في البخاري، كلاهما في البخاري.

تصاحب زوجتك جارة، تغير كل نمطها، تركت الصلاة، تريها وضعها، زوجها؛ اختلاطهم، سرورهم، سهراتهم، احتفالاتهم، وهي في بيت طاهر، مستقيم، منضبط، ما في حركة خلاف الحق، ترى نفسها محروقة، تجد تغير وضعها كله.

فينبغي أن تعتني عناية بالغة جداً؛ بصديقات زوجتك، وبصديقات أولادك، وبأصدقائك، هؤلاء الذين تعيش معهم دائماً؛ من هم؟ ماذا يفعلون؟ ما مستواهم؟ عقيدتهم؟ استقامتهم؟ .

سيدنا عمر بن عبد العزيز، اتخذ مستشاراً أحد العلماء، قال له:

((راقبني، فإذا رأيتني ضللت، فأمسكني من تلابيبي، وهزني هزاً شديداً، وقل لي: اتق الله يا عمر، فإنك ستموت))

سيدنا عمر جالس مع أصحابه، شخص أحب أن يتقرب منه، قال:

((والله ما رأينا أفضل منك بعد رسول الله؟ فنظر إليه النظرة المخيفة، حدق فيهم، واحداً واحداً، -خافوا عمر، كان مخيفاً- إلى أن قال أحدهم: لا والله! لقد رأينا من هو خير منك؟ قال: ومن هو؟ فقال: أبو بكر -رضي الله عنه- فقال عمر: لقد صدقت، وكذبتم جميعاً، -اعتبر سكوتهم كذباً، شخص تكلم كلمة نفاق، سكوت الباقين كذب- والله كنت أضل من بعيري، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك))

انظر النصوح؛ لا تغلط، فلان أحسن منك، فلان فعل كذا، مجتمع النفاق عجيب؛ يمدحونه الحاضر مدحاً غير معقول، يذمونه في غيبته .

فالإنسان لا يصاحب إنساناً من أهل الدنيا.

((لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنا، ولا يأكُلْ طعَامَكَ إلا تَقِيّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

مسموح لك أن تقيم مليون علاقة عمل، ولو مع إنسان غير مسلم، علاقات العمل مسموحة، أما العلاقات الحميمة؛ شراكة، زواج، اندماج كامل، رحلة طويلة، سهرة للساعة الواحدة بالليل، يجب أن تكون مع المؤمنين الصادقين، مع الأطهار، مع المستقيمين.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٧-٤٤) : الرؤيا الصحيحة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ما مبتغى هذا الكلام :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال:

((والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتُم قليلاً، ولبَكَيْتم كثيراً، قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ الله؟ قال: الجنة والنَّارَ))

[أخرجه مسلم والنسائي عن أنس بن مالك]

نحن جميعاً: نؤمن بالجنة والنار، تصديقاً لخبر الله عز وجل، أخبرنا الله في قرآنه الكريم، وهو الصادق المصدوق، أن بعد الحياة: جنة وناراً، وأن الجنة أبدية، وأن النار أبدية، لكن النبي وحده، تكريماً له في الإسراء والمعراج: أطلعه الله رأي العين على ما سيكون.

فالنبي وحده: إذا حدثنا عن الجنة والنار، حديث شاهد عيان، نحن نؤمن بها تصديقاً، أما النبي رآها رأي العين، قال:

((لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتُم قليلاً، ولبَكَيْتم كثيراً، قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ الله؟ قال: الجنة والنَّارَ))

[أخرجه مسلم والنسائي عن أنس بن مالك]

الإنسان عمله تابع لرؤيته، أضرب أمثلة: مرة أنا قادم من السفر، في أيام الشتاء الباردة، والماطرة، رأيت رجلاً في شارع العدوي، يجري، الشام فيها خمسة ملايين إنسان، في الغرف الدافئة؛ يأكلون ويشربون، إلا هذا الإنسان يمشي، يجري، ماذا رأى حتى يجري في هذا الوقت؟ رأى أن صحته، وسلامة قلبه، وتمتعه بالحياة، أساسها الرياضة، فلو رأى الناس ما رأى، لفعلوا ما فعل، ولكن ضعف الرؤية، هو الذي يسبب المشكلة.

مرة كنت في سهرة، قُدم طعام طيب جداً، ففي طبيب قلب، لم يرض أن يأكل، قال: طيب فعلاً، أنا أحبه كثيراً، ولكن لكثرة ما أرى من الشرايين المسدودة، آثرت النجاة عن أن آكل هذا الطعام. إذاً: هذا يرى، لو صحت رؤيتنا، لصح عملنا.

فالبطولة: أن تمتلك رؤية صحيحة، موافقة للكتاب والسنة، والإنسان حينما يرى، لا بد من أن يغير سلوكه .

خذ المثل الآخر: هذا الذي يُقدم على جريمة قتل، ماذا رأى؟ رأى نفسه ذكي جداً، وشاطر، سوف يحقق هدفاً كبيراً، بثمن بسيط، ولو علم أنه بعد أيام، سيكون على عود المشنقة، ما فعل هذا؟ .

رجل يقود سيارة في طريق المطار، رأى كلباً صغيراً، أراد أن يعبر عن مهارته في القيادة، فدهس يديه فقط، هذا يحتاج لمهارة كبيرة جداً، كلب يجلس على طرف الطريق، استطاع قائد هذه السيارة، أن يقطع يديه، دون أن يميته، وأطلق ضحكة هيستريا، بعد أسبوع في المكان نفسه، تعطلت سيارته، أصاب العطب: أحد عجلاته، رفع السيارة، بعد أن رفعها، فك البراغي، سحب الدولاب، الرافعة فسدت، وقعت السيارة فوق الدولاب، والدولاب فوق الاثنين، أخذ إلى المستشفى، إلى أن وصل، اسودت يداه، فقطعتا في السبت القادم، وروى لي القصة رجل: عندي صادق، وهو صديقه، أو يعمل معه في المطار.

هذا الذي قطع يدي الكلب، لو علم أنه بعد أسبوع: ستقطع يديه، ما فعل هذا، ما الذي حمله على هذه الجريمة؟ سوء رؤيته.

ممكن أن يعود الأمر في النهاية؛ إلى رؤية صحيحة، رؤية غير صحيحة، العمل: أساسه الرؤية، هذا الذي يغش في البيع والشراء، ويجني ثروة طائلة، ماذا رأى؟ رأى أن هذه الثروة مغنم كبير، وأنه بحاجة إلى هذا المال الحرام، وأنه لن يحاسب: لا عند الناس، ولا عند الله، الحياة هكذا؛ الأذكى: يعيش، الشاطر: يعيش، الذي عنده إمكان: أن يجمع المال، من أي طريق، هو الإنسان العظيم، هذه رؤيته، يأتي إنسان آخر: تُعرض عليه الملايين المملينة من طريق غير مشروع، فيركلها بقدمه، ماذا رأى؟ .

في إنسان يبحث عن امرأة يزني بها، سيدنا يوسف، امرأة العزيز، هؤلاء الملوك يختارون النساء جميلات جداً، امرأة العزيز، وهو عندها؛ غلام، عبد، شاب أعزب، مسافر، بعيد عن أهله، التي دعته إلى الزنا سيدته، وليس من صالحها: أن تفشي الأمر، وأمرته، ومع ذلك:

(قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)

[سورة يوسف الآية :٢٣]

الذي يزني: ماذا رأى؟ والذي يتعفف، وهو في أمس الحاجة إلى امرأة، ماذا رأى؟ والذي يأخذ المال الحرام، ماذا يرى؟ والذي يتعفف عن المال الحرام، ماذا رأى؟ والذي يرتاد المساجد، ماذا رأى؟ والذي يرتاد الملاهي، ماذا رأى؟ .

تجد مئة سيارة تقف أمام الجامع، ومئة سيارة تقف أمام الملاهي؛ في رقص، وغناء، وأكل، وكلها معاص، هذه ملاهي الشام كلها أمامكم، تجد في الصيف مئتي سيارة واقفة؛ هذا الذي جاء إلى

المسجد، ماذا رأى؟ وهذا الذي ذهب إلى الملهى، ماذا رأى؟ هذا الذي يعق والديه، ماذا رأى؟ وهذا الذي يبرهما، ماذا رأى؟ .

الرؤية هذه في النهاية؛ إن صحت رؤيتك: صح عملك، وإن صح عملك: سعدت في الدنيا والآخرة، وإن انحرفت رؤيتك: انحرف عملك، وإن انحرف عملك: شقيت في الدنيا والآخرة.

قف عند هذه النقطة :

وفي نقطة مهمة جداً: قانون السقوط: قانون فيزيائي، إذا كنت تركب طائرة، وأردت أن تحتقر هذا القانون، وألا تؤمن به، وأن تسخر منه، وألقيت بنفسك من الطائرة، من دون مظلة، القانون رغم أنك احتقرته، وسخرت منه، ولم تؤمن به، نافذ، لا بد من أن تصل ميتاً؛ فإذا أنت لم تؤمن بالقواعد الإلهية، إذا لم تؤمن، تصبح القواعد نافذة فيك، شئت أم أبيت.

انظر أنت إلى أهل الدنيا: يسعى سعياً حثيثاً، الذي جمعه في عمره المديد، يدفعه بثانية واحدة، يقول لك: مصادرة، تلف مال، بعدم دفع الزكاة، يعد نفسه ذكياً، لكن فاته:

((ما تلف مال في بر أو بحر إلا بحبس الزكاة))

إنسانة جميلة جداً، تمشي في الطريق، الذي يغض بصره: له رؤية، والذي يملأ عينيه منها: له رؤية، الذي ملأ عينيه منها: رأى أنه مكسب، والذي غض بصره: رأى أن رضوان الله أغلى عنده، من الاستمتاع بهذه المرأة، بالنهاية: تجد إنساناً صحت رؤيته، وإنساناً فسدت رؤيته.

إليك مصب هذه الآيات :

فالنقطة الدقيقة الثانية: الله عز وجل قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً)

[سورة الأنفال الآية:٢٩]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)

[سورة الحديد الآية:٢٨]

(نور)، فتجد المؤمن مسدداً، يرى أن طاعة الله أثمن شيء في الحياة، أما الشارد عن منهج الله: يرى أن معصيته مغنم كبير، فيعصيه، ويخسر رضوانه، ويخسر الدنيا.

ثمرة هذا القول :

أيها الأخوة، دققوا في هذه العبارة التي أقولها كثيراً:

((من آثر آخرته على دنياه، ربحهما معاً، ومن آثر دنياه على آخرته، خسرهما معاً))

فالإنسان يحب ذاته، يحب وجوده، يحب كمال وجوده، يحب استمرار وجوده، يحب سلامة وجوده، فلو رأيت ما رأى النبي، لفعلت ما فعل النبي، لو رأيت ما يراه هذا الطبيب (طبيب القلب) لعزفت عن الطعام، كما عزف عنه، لو رأيت ما رأى هذا الرياضي، وهو يجري في الشتاء في المطر، ما يرى من سلامة الصحة، ومن قوة القلب، ومن التمتع بالصحة، والنشاط، لفعلت ما فعل.

فالقضية قضية رؤية، والرؤية تحتاج إلى علم، فإذا طلبت العلم، ونتج عن هذا العلم رؤية، وهذه الرؤية نتج عنها عمل صحيح، فأنت من سعداء الدنيا والآخرة، وإذا كان في بعد عن الحقيقة، كانت رؤيتك خاطئة، فكنت من الأشقياء .

إليكم هذه الأمثلة تطبيقاً لحديثنا اليوم :

فأحياناً الإنسان يظلم، يشعر أن الظلم فيه قوة، أشخاص كثيرون.....

حدثنا أخ البارحة: قصة يقشعر منها الجلد، محل ببعض أحياء دمشق، إنسان أخلاقه سيئة جداً، منحرف كثيراً، يقوم بالفاحشة في محله التجاري، وله علاقات متينة، شبكة علاقات، لم يتمكن أحد أن يوقفه عن حده، أما الشيء الذي لا يقبل، أن المرأة في داخل المحل، وهو يزني بها، مكتوب على المحل: نحن في الصلاة، قبل فترة شهر أو أكثر، احترق المحل، لم يبق فيه شيء، ولم يفعل أحد شيئا، تماس كهربائي، لم يبق فيه شيء المحل، ثم تابع بعد ما احترق؛ أعاد ترميمه، وتزيينه، ورفوف، وبضاعة، بعد أسبوع: احترق مرة ثانية، ماذا يرى؟ مكسب، وذكاء، نحن في الصلاة؛ مكسب، ووقاحة، وتحد، أول مرة، وثاني مرة، فالعبرة أن ترى، أحياناً: تأخذ مالاً حراماً، تدفعه دفعة واحدة، أضعاف مضاعفة.

لي قريب توفي رحمه الله، يعمل في إصلاح السيارات، جاء شخص من أصل سوري، اشترى سيارة من الكويت جديدة، فيها خلل؛ غشيم، وجاهل، وغني، فأدرك المصلح أنه غشيم، وحريص على سيارته، وجاء من بلد نفطي، قضية التصليح: ربع ساعة، قال له: عشرة آلاف ليرة، قال له: شغلات كبيرة، وغطاء كولاس .....قال لي قريبي: أول يوم: ذهب فيها سيران على الزبداني، أخذ عياله، وثاني يوم: ذهب إلى المطار، واليوم الثالث: ذهب إلى وادي بردى، واليوم الرابع: سلمه السيارة، صلحها، وأخذ عشرة آلاف، فقال له قريبي: حرام عليك، هذا رقم غير معقول، هذا أصول

الشغل، اعتبر نفسه في قمة الذكاء، لأنه استغل إنساناً غنياً، جاهلاً ،غشيماً، أخذ منه مبلغاً، -القصة من حوالي عشرين سنة- عشرة آلاف ليرة، يساوي سعر البيت، له ابن يعمل بمخرطة، تدخل شرارة فولاذ بعينه، أخذه على لبنان، -القصة قبل أحداث لبنان- كلفته ستة عشر ألفا ليرة لبناني، كانت الليرة مئة وستين قرشاً سورياً، لبنانياً، أخذ عشرة آلاف، وضع اثنين وعشرين ألفاً، ما كان ذكياً، الله كبير.

إذا كنت تتجاهل أن الله موجود، وكل شيء بيده، ينبغي أن يعد الإنسان نفسه أكبر أحمق في الأرض، إذا كنت تتجاهل أن الله موجود، وكل شيء بيده؛ صحتك بيده، أجهزتك بيده، دسامات القلب بيده، الشريان التاجي بيده، الكلية بيده، القلب بيده، الكبد بيده، العظام بيده، العضلات بيده، نمو الخلايا بيده، زوجتك بيده، أولادك بيده، زبائنك بيده، كل الموظفين الذين يخوفون بيده .

فالله عز وجل: لما الإنسان لا يخاف منه، يؤدبه، كل بطولتك: أن تصل إلى هذه الرؤية الصحيحة، الإنسان حينما يتجاهل القوة الكبرى في الكون؛ العليمة، الحكيمة، القديرة، العادلة، والقصص التي تؤكد هذه الحقيقة لا تعد ولا تحصى .

فتجد المؤمن بعد ما طلب العلم، وصحت رؤيته، لو تعطيه مليار ليرة لا يعصي الله؛ يعلم مضاعفاتها، يعلم ما وراء المعصية، لا يضحي بآخرته من أجل امرأة، لا يضحي بآخرته من أجل مليون ليرة، تحت قدمه المليون ليرة .

تجد فقيراً دخله محدود، عرض عليه خمسة ملايين، أحياناً: تأتيك وظيفتين؛ وظيفة بفندق مثلاً: حوالي عشرين ألف بالشهر، ووظيفة بخمسة آلاف، وظيفة العشرين ألف، تريد أن تقدم خمراً، تريد أن تتعامل مع مؤسسة، تبني حياتها على المعاصي والآثام، فيأتي المؤمن يقول: معاذ الله! يأخذ الأقل، والله عز وجل: لحكمة بالغة....

شخص يخطب فتاتين؛ واحدة على جانب من الجمال، والثانية دون الوسط، لكن دون الوسط متدينة، يمتحنك الله عز وجل، ماذا ترى؟ المؤمن يرى الدين أساسي؛ هذه أم أولادك، ستعيش معها عمراً مديداً، أما هذا البريق يخبو بعد حين، وتبقى أخلاقها السيئة، وانحرافاتها، فكلما صحت رؤيتنا، صح عملنا، وإذا صح عملنا، سعدنا في الدنيا والآخرة، وكلما فسدت رؤيتنا، انحرف عملنا، شقينا في الدنيا والآخرة.

هذا الحديث قال:

((لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتُم قليلاً، ولبَكَيْتم كثيراً، قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ الله؟ قال: الجنة والنَّارَ))

[أخرجه مسلم والنسائي عن أنس بن مالك]

مرة شريكان؛ أحدهما: أصر على التعامل بالتهريب، الثاني: رؤيته أصح، قال: أنا نظامي؛ عملا، اختلفا، فكا الشراكة، الثاني: عمل بالتهريب، وبعد ذلك: ألقي القبض عليه، أمن اقتصادي، وحكم أربع، خمس سنوات، وضعوه بعدرا، شريكه زاره، شريكه الثاني من باب الوفاء زاره، لكن: هو زاره، من أعماقه مغتبط؛ لأن رؤيته كانت صحيحة، هو لم يتورط.

فدائماً الإنسان يتميز بصحة رؤيته، فإذا ملكت رؤية صحيحة: صح عملك، ونجوت، وإن لم تكن كذلك: فسد العمل، وهلكت، والذي يردي الإنسان....

من حوالي سنة، أكثر من سنة، سبعة أشخاص، أحدهما: مهندس زراعي، أحدهم: على شيء من العلم الشرعي، ساقوا سائقاً من النبك إلى محله التجاري، وتحت تهديد السلاح، أخذوا منه ثلاثة عشر كيلو ذهباً، وأخذوا سيارة للسفارة الإيرانية (تصليح)، سرقوها، وقتلوا السائق، ودفنوه ببئر، بعد شهر تقريباً، القضية ببساطة كشفت، أعدموا جميعاً في يبرود، صدقوا: لو أنهم علموا أنهم سيعدمون، ما فعلوا هذا، بعد شهر أعدموا جميعاً، أين بقوا الذهبات؟ .

أنا آتي بحالات حادة، ليس معقولاً أن يفعلها شخص من عامة الناس، لكن: حينما أقدم على هذا العمل، ماذا رأى؟ رأى نفسه أذكى من الناس كلها، أذكى من كل الناس، ثلاثة عشر كيلو ذهباً ليسوا بقليل، هم سبعة، كل شخص أخذ حوالي خمسمئة ألف، ستمئة ألف بساعة فقط، لو أنهم رأوا أن هذا سيؤدي بهم إلى الإعدام، ما فعلوا هذا.

صحح رؤيتك، يصح عملك، تسعد في الدنيا والآخرة، والدنيا فيها إغراءات كثيرة؛ صحيح الرؤية يركل كل هذه الإغراءات بقدمه، ولا يعبأ.

الآن بالدين: ضمن الدين، في شخص يرى الشغلة بالتلبسة، تجد مظهره ديني، لكن ليس مطبقاً شيئاً من الدين، يشعر نفسه يلعب على الناس كلهم، يلعب على أصحاب الدين، ويلعب على الذين ليسوا أصحاب دين، آخذ من الجهتين، أعمى، الله عز وجل قال:

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)

[سورة النساء الآية:١٤٢]

الله لا يخدع، لذلك الله عز وجل يفضحه بظرف دقيق جداً.

أيها الأخوة، هذا الحديث من أساسيات الدين؛ صحح رؤيتك بطلب العلم، يصح عملك، فتسعد في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٨-٤٤) : علاقة المؤمن بعباد الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إليك حديث هذا اليوم، وما يتضمنه من معنى :

أيها الأخوة، هناك حديث قدسي في الصحاح، في صحيح مسلم، لو أن المؤمن استوعبه، لكانت علاقاته بالناس متميزة.

تصور أن إنساناً؛ تحبه كثيراً، وتقدره كثيراً، وتبجله كثيراً، وله عليك أياد بيضاء كثيرة، وقدم لك خدمات كثيرة، رأيت ابنه في الطريق، تبذل قصارى جهدك لإكرامه؛ لأن إكرام هذا الصغير، إكرام لأبيه.

هذا الحديث القدسي، الذي رواه النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه، هذا الحديث لو استوعبناه، كلما التقيت بإنسان، كائناً من كان؛ من أي جنس، من أي دين، من أي انتماء، ومن أي ملة، من أي هوية، من أي منطقة، تكرمه؛ لأنه عبد لله .

الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن الله عزَّ وجلَّ يقول يومَ القيامة: يا بنَ آدمَ! مَرِضْتُ فلم تَعُدْن، قال: يا رب، كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده؟ يا بنَ آدمَ! اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطعمني، قال: يا رب، كيف أطعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أمَا علمتَ أنه استطعمكَ عبدي فلان فلم تُطْعِمْهُ، أمَا علمتَ أنَّكَ لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي؟ يا بنَ آدمَ! اسْتَسقيْتُكَ فلم تَسْقِن، قال: يا رب، وكيف أسقِيكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: اسْتَسقاكَ عبدي فلان، فلم تَسْقِه، أما إنَّك لو سَقَيْتَهُ، وجدتَ ذلك عندي))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

تصور طبيباً، عنده مريض، المريض عبد لله، تصور محامياً، عنده موكل، تصور بائعاً، جاءه إنسان موظفاً، وقف أمامه مواطن، إذا كان رؤية الإنسان: أن هذا عبد لله، وإكرامي له: إكرام لله، وحرصي على مصلحته: تقربٌ إلى الله، وحل مشكلته: رضاً من الله، اختلفت علاقات الناس كلها، تجد قلباً قاسياً مثل الصخر، ممكن أن ترحمه بكلمة، ممكن أن ترحمه بموافقة.

أعرف شخصاً، كلفه مراقب بثمانمئة ألف، صار في توسط، بعشرين ألفاً أصبحت، أنت أنهيته، هذا يمكن أن يموت بجلطة على التكليف، ما كان فيك أن ترحمه من قبل؟ لما صار في واسطة، نزل

المبلغ!.

لما نعامل بعضنا بقسوة، وكأن الله ليس له علاقة، كأن هذا الإنسان ليس بشراً، قد أتى من حائط، أما لو عرفته عبداً لله عز وجل، وإكرامه إكرام لله، لا تسأل من هو؟ ولا من أين؟ أنا أقول: من أي ملة، من أي محنة، من أي اتجاه، من أي مكان، من أي لغة، من أي لون، من أي عرق، من أي جنس، المؤمن ماذا يرى؟ يرى أن هؤلاء الناس عباد الله، كل هؤلاء الناس عبيد له، والإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله، هذه رؤية رآها المؤمن، الكافر لا يراها، هذا ليس منا، هذا من جماعتنا، هذا ضدنا هذا....، تجده يعيش بحالات التبذل، والتعصب، والحقد، والكراهية، والإيذاء، والقلق، أما المؤمن ....

أنا أقول: الطبيب لا يوصى المؤمن، ماذا تريد أن توصي فيه؟ طبيب مؤمن لا يوصى، محام لا يوصى، مؤمن مصلح، وكيل للطرفين، القضية: قضية رؤية، هذا الذي أمامك من هو؟ هو عبد لله .

أنت قد تكون موظفاً، ومعك سلطة، أنت تستطيع أن تضعه في السجن شهرين، وأنت موظف تموين، فلما ترى إنساناً؛ له أهل، له أولاد، ورأس ماله غال، أو أخطأ .....

أخواننا الكرام: الرحمة التي في قلبك دليل إيمانك، ما في رحمة مهما بذلت من عبادات، صدق أنها تأتي أدراج الرياح، لأن العباد عباد الله، الذي يقربك من الله عز وجل: خدمة العباد، الذي يقربك من الله عز وجل: أن ترحم العباد. فالمؤمن يرى أن الإنسان عبد لله، أنا مهمتي أكرمك.

أنتم لاحظتم أنفسكم أحياناً: يكون ابناً غالياً عليك جداً، تجد تعمل جهدك؛ أن تعطيه سكرة، تحمله، تقبله، أنت ماذا ترى؟ أن هذا الابن أكرمته إكراماً للأهل، هكذا الحياة.

لما يكون موظفاً، يكون طبيباً، يكون مهندساً، يكون محامياً، يكون معلماً، هذا الابن غير معقول، أضربه ضرباً مبرحاً؛ له أب، له أم، الله يراني.

((اعلم أبا ذر! أن الله أقدر منك عليه))

لو صحت الرؤية للناس، الإنسان أمامك عبد لله، وهذا الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله.

ليس معقولاً الذات الإلهية، العالية، يقول:

((يا بنَ آدمَ! مَرِضْتُ فلم تَعُدْني، قال: يا رب، كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟))

إذا كان عبدي مرض، وذهبت؛ زرته، وواسيته، وصبرته، كأنك زرتني لي، وواسيتني، وصبرتني، هكذا الحديث.

وفي نقطة بالحديث أيضاً: الحديث معروف جداً، مألوف، آلاف العلماء يتحدثون عنه، لكن في نقطة، كانت غائبة عن ذهني:

((أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده؟))

معناها: لما ربنا عز وجل، يأخذ منا جزء من الصحة، سلبك بعض الصحة، عوض لك مكان الصحة التي سلبت منك، وجود الله معك، يعني: عوضك قرب، أنت لا ترى، أنا مثلاً: لا يوجد معي أموال، لكن: أصبحت ....

أحياناً: لا يوجد معك أموال، قريب من الله، هكذا نفسك أصبحت شفافة، لطيفة، أحياناً: مرض بسيط، مقلق، تجد كسرت أنت، هدأت؛ الله معك، قربك منه، أحياناً: الرخاء يقسي القلب:

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)

[سورة البقرة الآية :٧٤]

الغنى يقسي القلب، القوة، الصحة، ما فيه شيء كالحصان، تجد عنده تجبر، عنده قوة، عنده استعلاء، متى تصبح ناعماً؟ .

أخ عمل بحكم الإلزامية عند شخص، قال لي: تجبر غير معقول، كلامه لا يحتمل، استعلاؤه لا يحتمل، سيطرته لا تحتمل، قال له مرة كلمة، قال: كيف حالك يا فلان؟ إن شاء الله مرتاح؟ عقب المرض: أصبح شفافاً، الله عز وجل بالمرض يهذب الإنسان، يقربه، يصفيه.

فالحديث له نقطتين، إذا أخذ منك شيء، يعوضه أشياء.

ماذا تفهم من هذه الخطبة للنبي ؟

أيها الأخوة، في خطبة للنبي -والله لا أشبع منها- جامعة مانعة، يقول عليه الصلاة والسلام في بعض الخطب:

((إن هذه الدنيا دار التواء، لا دار استواء –لا تصح مع شخص بالمئة المئة مستحيل، وترون بأعينكم؛ عنده أولاد، دخله قليل، معمي قلبه بالأولاد، عنده ملايين، ما عنده ولد، يتمنى ولداً، يدفع مئة مليون، ما عنده ولد، عنده أولاد، دخله جيد، زوجته لا تعجبه، زوجته جيدة، معه مرض، سليم، دخله قليل، تجد كل شخص، ينقصه شيء، (الدنيا: تمر، وتغر، وتضر)- ومنزل ترح –يعني: إذا اغتنيت خمسين علة بالجسم؛ وهذه مشكلة، وهذه تتفاقم، وهذه جلطة، وهذه ركبة....وإذا كان لا يوجد فيك شيء: عندك مليون حاجة، ما معك سعرها، وإن وفرت هذه، تجد عندك مشكلة في عملك؛ وهنا في قلق، وهنا في خوف، وهنا في تهديد، وهنا في.....- ومنزل

ترح، لا منزل فرح –وابنته لم يأت أحد ليخطبها، وقد كبرت، وسيفوتها قطار الزواج، والأخرى زوجها لا يحتمل؛ تجد يذل عمه، ويذل بيت حماه، وإذا كان لم يزوجها، جالسة في وجهه، وإذا كان زوجها في مشكلة مع صهره، وإذا لم يأته بنات محروق قلبه، وإذا جاءه صبيان.....وإذا كان كبر، خمسين علة بجسمه، وأدوية– قال: فمن عرفها، لم يفرح لرخاء -موقت- ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي))

هذه الخطبة تجبر الخاطر، إذا أخذ منك شيء:

((فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي))

هذا يذكرنا علماء التوحيد، منعوا أن تقول: الله جبار، لا يجوز، منعوا أن تقول: الله قابض، منعوا أن تقول: الله خافض، منعوا أن تقول: الله مذل، أوجبوا أن تقول: مذل معز، خافض رافع، قابض باسط، ضار نافع، أي يضر لينفع، يخفض ليرفع، يذل ليعز، يقبض ليبسط، يسوق معصية، يتوب صاحبها، لما يتوب يعطيه، سلب ليعطي، أذل ليرفع.

إليكم المغزى من هذه القصة :

أنا أعرف شخصاً، الله عز وجل قد آتاه من الصحة، والرشاقة، والجسم الرياضي، ودخل غير محدود، وبيت بالمالكي، وسيارة، لا يوجد عنده مشكلة، أنا كنت أقول: إذا كان يبكي مليون إنسان، هذا لا يبكي، مرة زرته، بكي بكاء كثيراً، خير إن شاء الله! عمل عملية في زمانه، والعملية نجحت، لما صار في جرح، والجرح التحم، أعطى ندبة، أثناء التصوير: ظنوا أن الندبات سرطان، خطأ في التشخيص، وبني على الخطأ أخطاء، حتى توهم معه سرطان بالعقد اللمفاوية، قال لي: يريدون أن يضعونني على المشرحة بباريس، ويطالعون كل أحشائي للخارج، ويزيلون العقد واحدة واحدة، واحتمال نجاح العملية: بالمئة ثلاثون، أقسم بالله، قال: مرة كنت ذاهباً للميدان، ذهبت للمزة، لم أر في عيوني، بعد ذلك: أصبح الأمر سليماً، ولا يوجد شيء، والآن: ما في مشكلة، لكن لما بكى، قرب من الله عز وجل، معتد بنفسه؛ إعجابه بصحته، بوضعه، بدخله، ببيته، إعجاب حجبه عن الله عز وجل، الله خلق له مشكلة، لا تقل: كل مشكلة مشكلة، كل مشكلة نعمة تكون.

الله عز وجل قال:

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)

[سورة لقمان الآية:٢٠]

إليكم المزيد في التوسعة من معنى هذا الحديث: (يا بن آدم! مرضت فلم تعدن .....) :

أيها الأخوة، الحديث هذا إذا استوعبناه، والله في أي حرفة؛ أنت طبيب، ومهندس، محام، موظف، أي إنسان تعامل، أي إنسان كائناً من كان، على أنه عبد لله، تتوسع أكثر؛ تعامل القطة، تعامل الحيوان، مخلوقاً، لو قتلت مخلوقاً، تقتله وفق السنة.

قال:

((إذا قتلتُم فأحسِنُوا القِتلة، وليُحدَّ أحدُكم شَفرَته، ولْيُرحْ ذبيحَته))

تنشأ عندك عواطف اتجاه المخلوقات كلها، لقد رأيت كيف تذبح الدجاجة؟ ذبحها، ينزلها بماء يغلي، حتى ينتفها، ريحها، الله قال:

(فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا)

[سورة الحج الآية:٣٦]

لتستقر، هي طيبة؛ مع ألم الذبح، ألم الاحتراق، ما في رحمة، وإذا الإنسان لا يَرحم، لا يُرحم قانون الرحمة:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

[سورة آل عمران الآية:١٥٩]

توصل: ترحم، تلين: يلتفون الناس حولك، تنقطع: تقسو على الناس، ينفضون من حولك، فإذا كان قلب ما في رحمة، هذا أبعد قلب عن الله عز وجل، في إنسان لا يهمه، شخص يتعذب أمامك؛ تحل مشكلته بكلمة منك، تحل بمخابرة تلفونية، تحل بمبلغ مالك مئة ضعف عنه، أنت لا تؤديه.

فهذه قاعدة، الحديث هذا منهج:

((مَرِضْتُ فلم تَعُدْني، قال: يا رب، كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده؟ يا بنَ آدمَ! اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطعمن، قال: يا رب، كيف أطعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أمَا علمتَ أنه استطعمكَ عبدي فلان فلم تُطْعِمْهُ، أمَا علمتَ أنَّكَ لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي؟))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

انظر: المرض غير الطعام؛ الأولى: (لوجَدتني عنده)، الثانية: (لوجدتَ ذلك عندي)، معي لا تضيع يا عبدي.

يقولون: هكذا قرأت، مرة أبو جهل قبل البعثة، طرق باب النبي، ابنته فاطمة صغيرة قال لها:

((أين أبوك؟ قالت: لا أعرف، فضربها، علم أبو سفيان، فحمل الطفلة، وذهب إليه، قال لها: اضربيه، علم النبي مساء، رفع يديه هكذا، قال: يا رب لا تنساها لأبي سفيان))

من وفائه -اللهم صل عليه-، الطفلة الصغيرة التي ضربت بلا سبب، أخذ لها حقها، حملها، وأخذها، قال لها:

((اضربيه، قال: يا رب لا تنساها لأبي سفيان))

لا يمكن أن تعمل عملاً طيباً، تخدم إنساناً لوجه الله....

في قصة تبدو غريبة جداً، معقول إنسانة تسقي كلباً، هي في الظاهر مستحيل، لكن قال: هذه بصحراء؛ لأنها لقيت كلباً عطشاناً، هذا العمل لا يمكن أن يكون في إشراك، ولا في رياء، لا يراها أحد، لكن شعرت برحمة لهذا الكلب، فكان العمل البسيط، سبب مغفرة الله لها.

فأنت أحياناً: تخدم إنساناً، تعاونه لوجه الله، في مئة موظف، إنسان يقوم معك، يدور بالمعاملة من مكان لمكان، هو له مكانته، يحل كل مشكلة، تفضل لوجه الله.

تجد إنساناً ليس طبيعياً؛ هذا الإنسان الطبيعي، هذا الإنسان المؤمن، الذي يعامل الناس كلهم على أنهم عباد الله.

انظر إلى الناس العاديين، يضع عراقيلاً، يقول لك: تعال غداً، يأتي قريبه، يخدمه فوراً، أين التي تحتاج إلى عشرة أيام؟ عملها، أين التي تريد أن تأتي لي بورقة مصدقة من الخارج؟ أصبح ليس لها حاجة، كيف دبرتها؟ هذه كلها حجة على الإنسان، لأنك تعرفه، لم يعد يوجد ولا عقبة، لم يعد في ولا مشكلة، لأنك لا تعرفه، خلقت له مليون عقبة، هذا كله الإنسان يتحاسب عليه.

((إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

هذا الحديث منهج كبير جداً، أي إنسان أمامك؛ تصوره عبداً لله، والله يراقبك، والله يريد أن يعطيك، كيف ستعامله؟ دليل محبتك لله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٣٩-٤٤) : الشيطان ومرافقته للإنسان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٠-٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

شبهة دخلت على العالم الإسلامي إليكم بيانها، وما مغزاها في محور درسنا اليوم :

أيها الأخوة الكرام، عن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إذا دخل الرجلُ مَنْزِلَه، فذكر اللَّه عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبيتَ لكم ولا عَشاءَ، وإن ذكر اللَّه عند دُخوله، ولم يذكره عند عشائه، يقولُ: أدركتم العَشاء، ولا مَبيتَ لكم، وإذا لم يذكر اللَّه عند طعامه، قال: أدركتم المبيتَ والعَشاء))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد اللّه]

في نقطة بالحديث مهمة جداً: هي أن العالم الإسلامي في مقتبل عصر النهضة: كان يعظم الغرب تعظيماً شديداً، الغرب كان في ثورة علمية، فكل شيء بالإسلام غير ملموس، ففي محاولة لطمسه، إن الشيطان رمي للشر فقط، أما إنه كائن مخلوق، قرين بالإنسان؛ يوسوس، يخلق شروراً، ما في..... معظم الناس ليسوا بمستوى أن يصدقوا هذا الكلام.

فكل شيء متعلق بالشيطان، في عملية ضبابية، أما عملياً: تجد شخصاً ينطق بلسان الشيطان، يكون في سهرة مثلاً: إن تكلم آية، أو حديث، كل تفكيره يتجه لتسكيت هذا الرأي، يخلق شبهة، إن مدح شخص يطعن فيه، هذا الذي يتكلم بلسان الشيطان، وهو لا يشعر، هذه وسوسة:

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ)

[سورة الناس الآية:٤]

أحياناً: كلمة يقولها الزوج، قاسية جداً، غافل عن الله، معه الشيطان، قل لها: هكذا؛ حدثها عن أبيها، حدثها عن أمها، صار في نفور، أحياناً: الزوجة ترد بكلام قاس جداً، يلبسها الشيطان.

أحياناً الإنسان لا يرغب الشر، أو أحياناً يؤذي أخوة، لا ينتفع إطلاقاً، لو في نفع، قضية مصلحة، لا يوجد نفع، لكن عملية تخريب.

في أشخاص بشكل صارخ، ينطقون بلسان الشيطان، دون أن يشعر، يقول لك: الإمام أطال فرضاً، طيب تجلس عشر ساعات أنت، لحديث فارغ، سبع ساعات على الواقف؛ كله غيبة، ونميمة، إذا

كان اثنان زيادة، تجد المتكلم ليس له مصلحة بالكلام، يريد أذى، ولم ينتفع، الإنسان يؤذي لينتفع، أما يؤذي بدون أن ينتفع، يخلق شراً، يفرق بين اثنين.....

يكون قريب من أقربائه، في شاب طوال حياته ضائع، لم يتكلم ولا كلمة، لما صار صاحب دين؛ ومن هو شيخك؟ أين تذهب؟ همه يطعن بشيخه، همه يسفه الدين، همه......

مثل هؤلاء الأشخاص معهم الشيطان، وينطقون بلسانه، ويوسوس لهم كل شر، وهو لا يشعر، فالاستعاذة بالله من الشيطان أمر الهي:

(فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)

[سورة الأعراف الآية:٢٠٠]

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)

[سورة الأعراف الآية:٢٠٠]

إذا دخلت للبيت، قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، تجد صار الجو آخر، لم يبق في شيطان، ذهب الشيطان، بقدر ما عمله خطير جداً، يقود أسراً....

لو اتبعت ما يجري في البيوت، أحد الزوجين غافل عن الله، فمعه الشيطان، كلامه كلام شيطان، كلام تفرقة، كلام إساءة، كلام حقد، كلام بعد، والطرف الثاني: لو كان غافلاً أصعب، صار الاثنان غافلين، تجد كل عوامل السعادة موجودة، هم أشقى الزواج.

تجد زوجين مؤمنين، كل عوامل الشقاء؛ من فقر، بيته صغير، مليون مشكلة، لكن هم أسعد الناس، لما نطرد الشيطان من حياتنا، حياتنا جميلة.

من أساليب الشيطان في خداع الإنسان الذي يلتزم طريق الاستقامة :

١-إغراؤه ببريق الحضارة الغربية وبأية حضارة من هذا القبيل :

أيها الأخوة، الذي يفكر هنا، هذا الكائن ليس قوياً، شر كائن:

(قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[سورة الأعراف الآية:١٤]

قال:

(لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)

[سورة الأعراف الآية:١٦]

تجد طوال عمره الشاب قبل أن يستقيم، لا يوجد عنده مشكلة؛ من ملهى إلى ملهى، سهر، انحراف، تفلت، لما يلتزم بالدين: تأتيه وساوس عويصة.

والآية واضحة: لما الإنسان يمشي منحرفاً، الشيطان مرتاح، طرق الملاهي: لا يوجد شيطان، أما طريق الجامع: في ألف شيطان:

(لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)

[سورة الأعراف الآية:١٦]

(ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ)

[سورة الأعراف الآية:١٧]

يعتبر الحضارة الغربية، أو التقدم، والعلم، والمنجزات الحضارية، والتفلت، هي الحياة، فيعظم كل شيء جديد بعيد عن الدين، أو يعظم كل شيء قديم، يقول لك: تراث، وثقافة، وحضارة، ونحن قبل الإسلام كنا آراميين، آشوريين، عندنا حضارة، عندنا كذا.... لو كان حضارة وثنية بعضها، ويغفل الإسلام، فيعظم المستقبل الملحد، أو العلماني، يعظم الثقافة والتاريخ، والتراث القديم غير الإسلامي.

مرة قرأت كتاب، بدأ بالحياة في الجاهلية؛ مجد القيم الجاهلية، مجد الحياة الجاهلية، رأساً انتقل إلى عصر النهضة، هذا الإسلام العظيم الذي غير مسار التاريخ، تعتيم كامل، هذا من فعل الشيطان.

لا تظنوا مفهوم الشيطان: مفهوم ضبابي، الشيطان: رمز الشر، لا، الشيطان موجود؛ هو الذي يفرق بين الزوجين، يكره الإنسان زوجته، يحبب له امرأة أخرى لا تحل له، فتجده لطيفاً جداً مع امرأة أخرى، قاسياً مع زوجته، شيطان؛ هذه حلالك، هذه التي سمح الله لك بها، هذه المرأة التي هي من نصيبك، هي امرأة، فإذا كنت لطيفاً، ودوداً؛ صار في ود، وصار في حب، وصار في وفاق، بمنتهى النعومة مع النساء الأخريات، بمنتهى القسوة مع زوجته، شيطان معناها، هذا ينطق بلسان الشيطان.

تجده يتعامى عن أكبر خطيئة للكافر، يحاسب المؤمن على أقل خطوة، يعده نبياً، مؤمن هذا، مؤمن لكن طول بالك عليه، أليس صاحب دين؟ هذا ينبغي أن يكون المؤمن نبياً، حتى يخلص من لسانه؛ شيطان معناها.

٢-تخويفه من الالتزام بالحق، ويحذره بالفقر إذا أراد الإنفاق :

أيها الأخوة، يخوفك إذا كان تدخل بمليون مغامرة، الشيطان لا يتكلم، لكن تلتزم بجامعك، يقول لك: تفقد مستقبلك، تفقد عملك، يخوفك من الالتزام بالحق، مثلاً: تريد أن تنفق، يحذرك من الفقر، والله نبهنا قال:

(يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ)

[سورة البقرة الآية:٢٦٨]

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾

[سورة البقرة الآية:٢٦٨]

مهماته الكبرى واضحة في القرآن .

احذر من هذا المنعطف :

أيها الأخوة، تجد الإنسان يقوم بدور الشيطان، أو هو شيطان: إذ ينطق بلسان الشيطان.

دخلت لبيت أختك، والأخت متزوجة إنسان صاحب دين، مؤدب، من بيته لعمله، بيتها صغير، يعمل، ينبغي أن يعمل تعليقاً على البيت، تكرهها ببيتها، شيطان، ماذا فعلت أنت؟ قلت: ما هذا البيت!؟ لا يسكن، كيف تقبلين أن تعيشي فيه؟ النبي بيته كان غرفة؛ لكن خرب، فرق.....

فانتبهوا يا أخوان، أحياناً: الإنسان وهو مؤمن، ومسلم، لكن بساعة غفلة: معه شيطان، تعليقاته، كلماته، ملاحظاته.

أحياناً: مزحة تهوي بها في جهنم خمسين خريفاً، ليس مزح، هذا مزح يمس العرض، لا يجوز أن تمزح هذا المزح، أو لست متأكداً، روج قصة ليس متأكداً منها، لا أتكلم بها، تعمل تفرقة، لأنك إذا لم تكن متأكداً، تعمل تفرقة.

أجلس جلسات كثيرة، أشعر المتكلم يتكلم شيطان، لأنه لا ينتفع فقط، يضر:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾

[سورة مريم الآية:٨٣]

حركاته، سكناته، جلسته: كلها شيطانية.

أمر إلهي موجه إليك أيها المسلم :

أيها الأخوة، فالله عز وجل أمرنا أن نستعيذ من الشيطان الرجيم، فبقدر ما له شرور كبيرة جداً، بقدر ما له انحرافات كبيرة جداً، بقدر ما له جرائم، بقدر ضعفه، ضعفه يأتي من الاستعاذة بالله:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾

[سورة الناس الآية:١]

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾

[سورة الناس الآية:٢]

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾

[سورة الناس الآية:٣]

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ)

[سورة الناس الآية:٤]

وسواس لكنه خناس، لمجرد أن تقول: أعوذ بالله، انتهى التعليق.

أنت لاحظ اثنين يتخاصمان، سيؤدي إلى تضارب، لأنه كل واحد في شيطان، إذا كان في اثنين متخاصمين، والشيطان بواحد في شر، إذا في اثنين في شيطان، والعياذ بالله يحصل حريق، اذكر الله عز وجل، تجد هدؤوا، قرآن كريم تجد:

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)

[سورة الأعراف الآية:٢٠٠]

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا)

[سورة الأعراف الآية:٢٠١]

اذكر الله عز وجل، استعذ، واذكر؛ يوجد عندك المعوذتين، ويوجد عندك الآيتين، هاتان الآيتان، وتلك المعوذتان: أسلحة المؤمن في مواجهة الشيطان.

من أعمال الشيطان في بني آدم :

أيها الأخوة، لما سيدنا موسى نصر الإسرائيلي على القبطي، في اليوم الثاني: نصره مرة ثانية، قال: هذا من عمل الشيطان.

تجد المجرم، ارتكب جريمة، أربعة أيام؛ بعد ذلك: ألقوا القبض عليه، بعد ذلك: أعدموه، كيف صار الشيء؟ تحليل نفسي، يقول لك: معقول تقتل شخص، وتدفنه، وفي مليون أثر للجريمة، تنجو، ماذا أوهمه الشيطان؟ تأخذ الذهب، تعيش ملكاً، ولا أحد يعلم، يمكن ما في مجرم، ما توقع أن يتحاسب؛ وخمسة، ستة أيام، عشرة أيام، شهر، ألقي القبض عليه، سيق للمحاكمة، أعدم.

في قصص، وإن كانت هي حادة جداً، لكن مؤاثرة، سبعة أشخاص هاجموا صائغاً بالبنك، وأخذوا منه ثلاثة عشر كيلو ذهباً، ودفنوه في بئر، وسرقوا سيارة؛ أربع، خمس ساعات، حوالي عشرة أيام، عشرين يوم، أعدموا، وفي شخص منهم: مهندس زراعي، وشخص له عمل إسلامي، طيب: هل يعقل إنسان يقتل شخصاً من دون أثر للجريمة؟ لم يستفيدوا شيء، ما دام بعد عشرين يوم أعدموا، هذا من عمل الشيطان، والشغلة غير معقولة، هذا من عمل الشيطان:

(إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ)

[سورة القصص الآية:١٥]

طبعاً حالات الجريمة حادة جداً، لكن في حياتنا: حالات غير حادة؛ شقاق بين الزوجين، أخت وأخ متحاربان على طول، كلمة قاسية تكلمتها الأخت، غير معقول، تكلمتها بساعة غفلة، الشيطان قال لها: اعملي هكذا....

فأحياناً: الإنسان يشعر؛ اعمل هكذا، لا تفعل....

فمن باب العدالة: شيطان، ومعه ملك؛ الملك: يلهمه الخير، والشيطان: يوسوس له الشر، بالقدر نفسه، في معك ملك يلهم، وشيطان يوسوس؛ في مهننا، في حرفنا، في حياتنا اليومية، في بيوتنا، في أعمالنا، في علاقاتنا، في كل لقاءاتنا.....

فلما تجد نفسك تخطئ، معناها في غفلة، والشيطان موجود، لما تجد نفسك على صواب، معناها في صحوة، والملك موجود، فالصحوة فيها ملك، الغفلة فيها شيطان، ولو استعذنا بالله دائماً، لا يوجد عندنا مشكلة في حياتنا، الإنسان خير بطبعه، أما مع الشيطان شرير.

والشيء الدقيق مثلاً: دخل إنسان للبيت، غافل عن الله، تجد البيت نظيفاً، مرتباً، الزوجة قد طبخت، يخلق مشكلة بلا سبب، خمس ساعات تعمل، من أجل أن تسمع كلمة طيبة من زوجها، كلمة ثناء، وجدته ينتقدها، ترد عليه أقسى، يتحاربان، تذهب إلى بيت أهلها، يظنها قد حردت، لم يخبرني، لا تأتي، كبر رأسها، ساعة من ساعات الغفلة، الأسرة انتهت للطلاق، كلاهما مع الشيطان.

لو راقبنا أنفسنا، الحديث واضح:

((إذا دخل الرجلُ مَنزِلَه، فذكر اللَّه عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبيتَ لكم ولا عَشاءَ، وإن ذكر اللَّه عند دُخوله، ولم يذكره عند عشائه، يقولُ: أدركتم العَشاء، ولا مَبيتَ لكم، وإذا لم يذكر اللَّه عند طعامه قال: أدركتم المبيتَ والعَشاء))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله]

لكن لا يكفي الأسر، أحياناً: تجد الأب لوحده، الأم لوحدها تأكل، الولد لوحده، لا يكفي الطعام، تفرقة، أما اجتمعوا على الطعام، يصبح في بركة.

خاتمة القول :

أيها الأخوة، مفهوم الشيطان: لا تظنوه... كائن مخلوق، كل إنسان مع شيطان، وفي أحاديث دقيقة وكثيرة.....

كل إنسان معه شيطان، وكل إنسان معه ملك، فلما يتكلم كلمة؛ فيها أذى، فيها حقد، فيها إبعاد، فيها

تسليط عزيمة، فيها تخويف، فيها تكريه زوج بزوجته، يعرف نفسه؛ الشيطان قال له، وقال له: سمعاً وطاعة، والحل بالاستعاذة .

دائماً بالصلاة: من السنة أن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الشيطان: ليس رمزاً لقوى الشر، الشيطان: كائن موجود، وقرين مرافق، وبكل قضية يدلي بدلوه، ولما تجد نفسك، لما تتكلم خطأ، وشر، ونقد، وتفريق بين أسر، وكبر، واستعلاء، تجد النساء بين بعضهن، يتباهين على بعضهن، شيطان.

قالت:

((إنها قصيرة، قال: يا عائشة، لقد قلت كلمة، لو مزجت بمياه البحر، لأفسدته))

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٤٠-٤٤) : الاستقامة وعلاقتها بالعمل الصالح.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١١-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

إليكم ما يعنيه النبي من هذا الحديث :

أيها الأخوة الكرام، حديث شريف: يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله طيِّب لا يقبلُ إلا طيباً، وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هناك أحاديث كثيرة تؤكد: أن الإنسان مكلف أن يدع كل ما نهى عنه الله عز وجل كلياً، أما الذي أُمر به: يفعل منه ما يستطيع، في شيء حدي، في شيء نسبي، بالمأمورات: القضية نسبية، بالمنهيات: القضية حدية.

وضحت المثل البارحة في درس (بجامع الأحمدية): مستودع في حديد، ممكن أن تعبئ فيه بقدر ما تستطيع، يسع ٨ كلم، معك متر، ممكن أن تعبئ بقيمة متر، والمتر محفوظ، متر مكعب، معك مبلغ أكبر، تعبئ متري وقود سائل، معك مبلغ أكبر، تعبئ ثلاثة أمتار، معك مبلغ كبير، تعبئ ثمانية أمتار، فالتعبئة بقدر ما تستطيع، أما الإحكام: لا يوجد إحكام نسبي، في إحكام حدي، لا نقبل لهذا المستودع: أن يسرب ولا ميليمتر، لو قبلنا التعبئة ليس لها قيمة، تتراوح القضية النسبية بين ما له متر، وبين يرش في الشهر متراً، ما دام يرش في الشهر متراً ليس محكماً، لا يصلح أن يكون هذا مستودع، بالمنهيات:

القضية حدية.

((ما نهيتُكم فاجتَنِبُوه، وما أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم))

قال لك: أنفق من مالك بقدر ما تستطيع، قال لك: صل قيام الليل بقدر ما تستطيع، قال لك: ساعد الناس بقدر ما تستطيع؛ بالمأمورات، بالبذل والعطاء، بقدر ما تستطيع:

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)

[سورة البقرة الآية:٢٨٦]

بالمنهيات: يستوي أقل مؤمن مع رسول الله:

((إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين))

في دليل أقوى:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)

[سورة هود الآية:١١٢]

أقل ممرض بالأرض، يجب أن يعقم الإبرة، ويعقم القارورة، ويعقم الجلد بالسبيرتو، وأكبر طبيب بالأرض يفعل هكذا، في القضايا الحدية: لا يوجد حل وسط، أما في القضايا التي فيها بذل وعطاء بقدر ما تستطيع.

النقطة هذه: استقم بقدر ما تستطيع، كلام ليس وارداً، أحلام، أما ابذل بقدر ما تستطيع.

إليكم هذا المثال الذي يخص درسنا اليوم :

أيها الأخوة، في قصة رائعة جداً: رجلان وقعا في أسر مسيلمة الكذاب، قبل أن تستفحل دعوته في عهد النبي، فقال للأول:

((أتؤمن أنني رسول الله؟ قال: لا أسمع شيئاً، فقتله، الثاني قال: أشهد أنك رسول الله –يعني: كفر– فلما بلغ النبي ذلك، قال: أما الأول فقد أعز الإسلام، فأعزه الله –طبعاً: بعد الموت، أعزه بالجنة- وأما الثاني: فقد قبل رخصة الله))

لأنه فوق طاقته، خاف من القتل، فكفر، الأول: لم يتحمل، قبل، قتل .

فالإسلام يسع الجميع، في المنهيات: الإسلام حدي، في المأمورات: الإسلام نسبي، أخطر شيء بالإسلام: أن تجعل المنهيات حدية، المنهيات نسبية، ماذا نريد أن نفعل؟ الله يتوب علينا، نحن نعمل على قدر ما نستطيع، المستودع غير محكم.

لي صديق -قصة قديمة جداً- أثناء كان في أزمة وقود، حتى استطاع أن يأتي بسيارة وقود للبيت، قال: والله شهر بوسائط، -عقب حرب تشرين-، قال لي: غير معقول، الدنيا برد، عبأ المستودع، ودفع مبلغاً مرقماً، وهو مبلغ محدود، وطار فرحاً؛ لأنه أمن الشتوية كلها، بعد حين: وجد ما في شيء بالمستودع، نسي الحنفية مفتوحة بالمرحاض، كله نزل.

إذا مستودع غير حدي، عبأت مثل بعضها، ما في فرق، المستودع يجب أن يكون حدي، هذه المنهيات، أما التعبئة نسبية؛ عبئ بمئة ليرة، بألف ليرة، بخمسة آلاف .....بقدر ما تريد عبئ، كله محفوظ.

فلما الإنسان يأخذ المنهيات على أساس نسبية، وقع في إشكال كبير، وقع بالمنهيات، لأنه ما دام في

معصية، انقطع عن الله عز وجل، أصبح الإسلام عنده غير مجدي، ما في صلة بالله عز وجل.

فهنا:

((إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين))

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)

[سورة هود الآية:١١٢]

إليكم شرح هذه المصطلحات الشرعية :

الآن في حلة ثالثة: في شيء: الله أولى به، وشيء: نهاك عنه، وشيء: سكت عنه.

شخص يرتدي بدلة بني، لها علاقة بدينه هذه؟ ليس لها علاقة، بدلة كحلي، شخص يلبس قميصاً مبرقعاً، في ملايين الحالات، قضايا حيادية: ليس لها علاقة بالدين إطلاقاً.

إنسان: يأكل أكلة ثابتة طوال عمره، يأكل كبسة –مثلاً-، إنسان آخر يأكل طعاماً منوعاً، فهذه قضايا ليس لها علاقة بالدين، صار في حقيقة؛ الله عز وجل: هو كل شيء، هو الحقيقة الكبرى في الكون؛ كل شيء يقربك منه، ولو شعرة: النبي أمرك فيه، كل شيء يبعدك عنه، ولو شعرة: النبي نهاك عنه.

ما من شيء يقربك إلى الله عز وجل، إلا وأمرتكم به، وما من شيء يبعدكم إلا نهيتكم عنه.

وفي مليار شيء؛ لا يقرب، ولا يبعد، النبي: سكت عنه.

يأتي شخص، يريد أن يبحث عن أشياء مسكوت عنها، هذا نوع من عمل الشيطان، هذا شيء الله عز وجل سكت عنه، ليس نسيانه، لكن رحمة بكم، شيء لا يمس؛ لا العقيدة، ولا الصلة بالله، ولا الاستقامة.

يأتي شخص قال لك: اذبح بقرة، ما لونها؟ حتى وصلوا إلى درجة: أن البقرة لم يجدوها إلا عند إنسان، طلب ثمنها بوزنها ذهباً، في سورة البقرة.

فكلما تشددت الله سكت، قال لك شخص: عندك صحون؟ كم سعر الصحون؟ كذا، أعطن، أنت ماذا عندك؟ مطعم، تبيع خمر؟ الشرع: ما كلفك أن تعمل هكذا، ما دام صحن يوضع فيه طعام، فأنت مكلف، ماذا تفعل فيهم؟ .

قال: هل ترد السباع هذه البركة؟ إنسان كان مع سيدنا عمر، ومعه أصحابه، ذهبوا ليشربوا، أو ليتوضؤوا: يا صاحب البركة! لا تجبنا.

رأيت ماء نظيف طاهر، أخي السمكة إذا أكلتها، لعل إنساناً قد صادها، ووقعت منه، هذه وسوسة بقيت.

في شخص تطرف نحو التفلت، طرف نحو التشدد، تشدد غير معقول، صار الدين عبئاً على الإنسان، فوق طاقته، الذي سكت الله عنه، لا تبحث عنه، والذي أمر به الله، خذه بقدر ما تستطيع، والذي نهاك عنه، دعه كلياً، هذا منهج.

بعد ذلك: عندنا عبادات، ومعاملات، العبادات: الأصل فيها الحظر، ولا تشرع عبادة إلا بالنص، أما الأصل في المعاملات، والأشياء: الإباحة، ولا تحظر إلا بنص.

قال لك: ممكن أن نعمل عرساً جماعياً؟ ممكن، لكن ليس وارداً في القرآن، ولا في السنة، هذا يسمونه:

مصالح مرسلة، ممكن نحن أن نوفر، نعمل حفلة لخمسين شاباً، وفرنا نفقات العرس، عقد القران، ممكن أن ندفع المهر مقسطاً، لكن لم يرد فيها نصاً، هذه أشياء: لا فيها منع، ولا فيها تحريم.

فإذا أخذنا المنهج هذا؛ المنهيات: حدية، والمأمورات: نسبية، والمسكوت عنه: نسكت عنه أيضاً، هذا الشيء الذي أمر به الله ورسوله.

لفت نظري النص هذا:

((إن الله طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً، وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

لها معنى ثان: الأقوياء في الدنيا: يريدون أتباعاً، فأي إنسان: يعلن ولاءه، يقبلونه، يملؤون كسادهم فيه، يملؤون قوتهم فيه، لكن: لا يدققون في سلوك الأتباع، يا ترى هم مستقيمون، غير مستقيمين، يريدون أتباعاً، أما الله عز وجل غني عن الأتباع:

(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُم)

[سورة الزمر الآية: ٧]

الله لا يقبل إلا إنساناً مستقيماً، أي جهة قوية: تقربك على عدم استقامتك، لكن على ولائك: تقربك، أما الله عز وجل: إذا عملت ولاء له، (ولاء زعبرة)، لا يقربك، إذا لم تكن مستقيماً، لأنه كامل، فالكامل: لا يقبل إلا الكامل، حتى المؤمن لو صحب الأراذل، تجرح عدالته، أخي، عندنا معه

مصلحة، واحد كلامه؛ بذيء، منحرف، شعر أنك معه مصلحة، تشوه سمعتك، صحبة الأراذل: تجرح العدالة.

هذه موضوعات بالإسلام مهمة جداً؛ المنهيات: حدية، المأمورات: نسبية، المسكوت عنه: سُكت عنه، لحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله، رحمة بالعباد، أو لأن هذا الذي سكت الله عنه: لا يتصل بالقرب من الله، ولا بالبعد عنه، قضية حيادية.

إليكم هذه الإفاضة في بيان هذا الحديث :

الشيء الأخير:

((إن الله طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

الله لا يريد كثرة المؤمنين غير الصادقين، يريد إنساناً صادقاً، بقدر ما أعلنت ولاءك للدين، وفي معاص، الله يعاقبه، وأحياناً: يعاقبه بشدة، والناس يحتارون، هذا صاحب دين، لا، ليس صاحب دين، الله لا يريد شخصاً يضل الناس.

فكل شخص منحرف، بقدر ما أعلن ولاءه، تجد في أدعية، لكن في مال حرام بالمنتصف، في زعبرة، فالله عز وجل يبطش به.

إذا فهمنا الأمور الدقيقة؛ المنهيات: ما في مزاح، المأمورات: ما في شيء غير واقعي، بقدر ما تستطيع، أما الشيء المسكوت عنه؛ لا تبحث، ابق صامتاً، والزم أدبك.

أخي قال لي شخص: هل يجوز أن أرتديها (شغل بريطانيا)؟ قلت له: ما فيها شيء يا بني! قال: لا، هؤلاء كفار، قلت له: اخلعها، هو أحرجني، فقلت له: حرام أن ترتديها، صحيح كلامك، يجوز أن تكون شغلة، هو مقتنع فيها مئة بالمئة.

في حكم شرعي دقيق جداً، يعمل تشديد لدرجة تقف الحياة معه، الحياة لا تقف، إذا شخص دفع ليدفع عنه ظلماً متحققاً؛ الآثم: هو الآخذ، ليس الدافع، الآثم: هو الآخذ فقط، إذا كان شخص دفع شيئاً، ليدفع عنه ظلماً متحققاً، لا يمكن تلافيه هذا، في حكم شرعي، هو يريد أن يعمل مزاودة، صحيح مثل ما تكلمت، اعمل.

فكل إنسان ينبغي أن يأخذ موقفاً دقيقاً، موقفاً شرعياً، إذا في نهي: نهي، إذا في أمر: لا أستطيع، في سكوت، لا يتدخل، لا يبحث عنه، لأن الله عز وجل ليس نسيانه.

إن الله أمركم بأشياء، ونهاكم عن أشياء، وسكت عن أشياء رحمة بكم.

الذي سكت عنه، الله عز وجل ليس نسيانه، لكن الحياة هكذا تمشي، والله عز وجل لا يقبل الولاء، يقبل الإتباع، بقدر ما تستطيع أعلن ولاءك للدين، وارفع عظمة الدين، وإذا لم تكن مستقيماً: يعاقبك، في شخص عنده ضعف تفكير، لدرجة أن الله يلعب عليه:

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)

[سورة النساء الآية:١٤٢]

إذا رفعت شعارات إسلامية، وإذا عملت نفسك صاحب دين، وبالغت جداً ببعض العبارات، ولم تكن في المستوى الذي أراده الله عز وجل، لا تنجو من عذاب الله.

فالحديث:

((إن الله طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً، وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}

[المؤمنون: ٥١]

وقال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

[البقرة: ١٧٢]

ثم ذكرَ الرجلَ يُطيل السَّفر، أشعثَ أغْبَرَ، يمدّ يديه إلى السماء: يا ربِّ، يارب؛ ومطْعمه حرام، ومشْرَبُهُ حرام، وملبَسَهُ حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يُستجَاب لذلك؟))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هذا حال المسلمين، فتجد ثمانمئة دعوى بقصر العدل، كلها اغتصاب، واحتيال؛ إنسان: تخلص من شريكه، والثاني: رشا المحامي، ورشا القاضي، وكلهم يصلون بالجوامع، هذا الوضع المرضي، الشيء الشعاري: جيد، أما الشيء التعاملي: سيء جداً، ما دام التعاملي سيئاً، الشعاري: لم يعد له قيمة، ما دام التعاملي جيداً.....

((مطْعمه حرام، ومشْرَبُهُ حرام، وملبَسَهُ حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يُستجَاب لذلك؟))

قال لي شخص -أقسم لي بالله-: بيت واحد، سعره سبعة ملايين، يسكنه شخص، مستأجره، صاحبته إنسانة، تعيش في تركيا، فقيرة، تأخذ أجرته عن طريق أقربائها، استطاع أن يخلصه بسبعمئة ألف؛ بأساليب......، يصلي في الصف الأول.

أنا أرى الإنسان لما يستقيم، يكون قد هيأ العبادة الصحيحة لله عز وجل، إذا لم يستقم يكون فرغ العبادة من مضمونها، أصبحت عبادة شكلية، وكل إنسان يصلي، يأكل مالاً حراماً، يكون قد أعطى سمعة سيئة للدين، لدرجة يكفر الناس بالدين أحياناً.

أنت تصلي، تفعل الفعل هذا، وأكبر مشكلة تواجه المؤمنين الآن: يكون المؤمن مقصراً، يظن أن القضية بالصلاة الشعائرية، وبالأمور التعاملية: ماله غير حلال، هذا يصبح منفراً؛ نحن عندنا محبب، يقابله منفر، عندنا واصل، يقابله قاطع، عندنا مقرب، يقابله مبعد.

فلما الإنسان يرفع شعاراً إسلامياً، يتزيا بزي إسلامي، يقوم بالعبادات الشعائرية، ويسيء لمعاملته، هذا أصبح قاطعاً، منفراً، مبعداً، لما يكون مستقيماً، وأخلاقه عالية، صار واصلاً، مقرباً، محبباً.

قال:

((يا رب، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحب عبادي إلي؛ تقي القلب، نقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني، وأحب من أحبني، وحببني إلى خلقي، قال: يا رب، إنك تعلم أنني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلائي، ونعمائي، وبلائي))

فأنت لما تذكر العباد بآلاء الله، بعظمته، من خلال خلقه، ونعمه، وبلائه: تعظمه، وتحبه، وتخافه .

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١١-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال ورد :

وجدت البارحة على الطاولة سؤالاً، يقول السائل الكريم: قال صلى الله عليه وسلم:

((إياكم ومُحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدْعة، وكل بدْعَةٍ ضَلَالَة، وكل ضَلَالَة في النار))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((مَن سَنَّ سُنَّة حَسَنَة، فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة))

السؤال: ما الفرق بين البدعة، والسنة الحسنة؟ .

كلاهما حديث صحيح عن رسول الله.

الأول: يقول:

((إياكم ومُحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدْعة، وكل بدْعَةٍ ضَلَالَة، وكل ضَلَالَة في النار))

في الحديث الثاني يقول:

((مَن سَنَّ سُنَّة حَسَنَة، فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة))

إجابته :

ما الفرق بين البدعة، والسنة الحسنة؟ .

أيها الأخوة، العلماء فرقوا بين البدعة في اللغة، والبدعة في الدين، فرق كبير؛ البدعة في الدين: أن تحدث في العقيدة شيئاً جديداً، لم يأت في الكتاب والسنة، أو أن تحدث في العبادات عبادة، لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأي شيء جديد في العقيدة، أو في العبادة: فهو بدعة،

((وكل بدْعَةٍ ضَلَالَة، وكل ضَلَالَة في النار))

السبب: لأن هذا الدين من عند الله، والله كماله مطلق، وهو الذي يقول:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

[سورة المائدة الآية:٣]

فأي زيادة في الدين؛ في عقائده، أو في عباداته، تعد هذه الزيادة: اتهاماً له بالنقص، وأي حذف من الدين؛ في عقائده، أو في عباداته، يعد هذا الحذف: اتهاماً ضمنياً له بالزيادة، لأن هذا الدين من عند الله، وكلمة (الْيَوْمَ أَكْمَلْت): الكمال نوعي، وكلمة (أَتْمَمْتُ): إتمام عددي.

فعدد القضايا التي عالجها الدين: تام، وطريقة المعالجة: كاملة؛ فالإضافة بدعة، والحذف بدعة، هذه هي البدعة في اللغة، منهج الدين: منهج متوازن، متكامل، من عند خالق الكون، من عند العليم، من عند الخبير.


منهج الدين متوازن متكامل من خالق الكون

لو جاء إنسان، واجتهد أن يضيف صلاة، أو صياماً، أو أن يضيف عبادة متعبة، مرهقة، لنفر الناس من الدين، وكل زيادة في الدين، في معها نكسة. يعني: في غير الدين الإسلامي، يعني بعض رجال الدين: كان مريضاً مرضاً شديداً، فكان إذا يصوم يضيف على الصيام عشرة أيام، فكان الصيام شهراً، صار ستة أشهر، أما شخص قال: الصيام للظهر فقط، ليس للمساء، شخص ثالث قال: صيام على الزيت فقط، أصل الصيام شهر:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

[سورة البقرة الآية:١٨٣]

جاء إنسان ضاعف الصيام إلى ستة أضعاف، إنسان ثان: جعل الصيام إلى الظهر، إنسان ثالث: جعل الصيام عن المواد الحيوانية، فإذا كان للظهر: إنسان استيقظ الساعة العاشرة، ينتظر للساعة الثانية عشرة، لكن يشترط أن لا يأكل زيت، أو سمنة.


لما لم نتقيد بالدين تحول إلى فلكلور ورقص

فإذا كان تركنا العبادة للناس، صار الدين مضحكاً، حتى في الإسلام: لما ما

كتاب إتحاف المسلم لفضيلة الدكتور محمد راتب

تقيدنا النهي؛ صار دين رقص، ودين طرب، ودين فلكلور، ودين مظاهر، هل هذا هو الدين؟ معقول الدين أن يكون ضرب شيش، معقول الدين رقص، فإذا كان ما تقيدنا فيه، سوف نرى أشياء في الدين: لا تقبل أبداً، وليس هذا دين الله عز وجل.

إذاً: البدعة في الدين ضَلاَلة، وكل ضَلاَلة في النار، وإن الدين من عند الله، والله عز وجل كامل. يوجد في الدين كلمة رائعة، الدين توقيفي، يقول لك: التراث؛ التراث بشري، أما الدين توقيفي، أكثر المثقفين... تداخل القضية؛ الدين تراثنا، التراث من صنع البشر، التراث تقاليد، وعادات، وثقافة، وفنون شعبية، هذا التراث، أما الدين وحي من السماء، الدين من الله، الدين منشؤه الوحي، أما التراث منشؤه الناس، فلا يمكن أن يستمر الدين كما بدأ، إلا إذا منعنا عنه الزيادة والنقصان. شخص أراد أن يحرم من مكان أبعد مما أحرم منه النبي، في ثواب أكبر؛ لأن النبي أحرم من هنا، أنا أحرم من هناك، فقال الرجل:

((ويحك تفتتن! قال: وكيف أفتن، وأنا أعبد الله؟ قال: وهل من فتنة أن ترى نفسك أعظم أنك سبقت رسول الله؟))

إذا كان رجل له دعوة، كلف الناس ما لا يطيقون، كلفهم بأوراد، مئة ألف كلمة كل يوم، هذا شيء فوق طاقة الإنسان، فكل إضافة على العبادة، كله إيهام، هذا من الدين، هذا يقربك من الله، كلفك فوق طاقتك، منهج غير متوازن، وأوضح شيء:

(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم)

[سورة الحديد الآية:٢٧]

الله أودع في كيان الإنسان حب المرأة، فلما اعتبرنا ترك الزواج قربى إلى الله؛ صار في موبقات، وصار في انحرافات، لا يعلمها إلا الله:

(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)

[سورة الحديد الآية:٢٧]

حينما كتبوها على أنفسهم، كتبوها ابتغاء مرضاة الله فقط، لأنها ليست من عند الله:

(فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)

[سورة الحديد الآية:٢٧]

فما استطاعوا أن يرعوها حق رعايتها، فأي إضافة.....

أحياناً في تركيا: هناك اتجاه بحلقة دينية، أو بجماعة دينية، بعدم الزواج إطلاقاً، هذه بدعة، فإذا شخص، حرم الزواج، احتمال أن ينحرف، ليس إلى الزنا، إلى الشذوذ أحياناً، فالذي أمره الله هو الصح، هو المتوازن .

أيها الأخوة، أما كيف نوفق بين الحديث:

((إياكم ومُحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدْعة، وكل بدْعَةٍ ضَلاَلَة، وكل ضَلاَلَة في النار))

وبين قول النبي:

((مَن سَنَّ سُنَّة حَسَنَة، فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة))


من السنة الحسنة مكبرات الصوت على المآذن

هذه السنة الحسنة، هذه البدعة اللغوية، هل كان تكبير الصوت على عهد رسول الله؟ لكنه ليس له علاقة لا بالعقيدة، ولا بالعبادة، له علاقة بإيصال الصوت، إلى كل أطراف المسجد.

يوجد عندنا قبو؛ عندنا اثنان كبيران، وعندنا قاعات، وعندنا صحن، الذي تتكلم به، يصل براحة إلى كل أنحاء المسجد، هل كان على عهد النبي الكريم هذه التدفئة؟ لم تكن أي إضافة؛ ماء ساخن، ماء بارد فرضاً، في مليون قضية؛ تحسن الجوامع، تحسن المساجد....

شخص: كان يركب دابة، ركب سيارة، ليس لها علاقة بالدين هذه، هذه قضية متعلقة في الدنيا؛ فإذا كان حسنًا دنيانا، حسنا وسائل معيشتنا، وضمن المنهج .

هناك تعليق لطيف: السنة الحسنة، يعني شيء جديد، بدعة في اللغة، شيء جديد، لم يكن من قبل، مسجد النبي كان أرضه رملاً، وسقفه من سعف النخيل، ولا يوجد تكبير صوت، ولا مواضىء، لا يوجد هذا كله، الهاتف لم يكن من قبل، الآن السنة الحسنة متعلقة في الدنيا.

مرة سمعت بأفريقيا، في تقليد لطيف جداً، كل إنسان يموت، المعزي يقدم مبلغاً من المال لورثته، التعزية هناك دفع المال، فلو افترضنا الأب؛ كان عماد الأسرة، فلما توفي جاء مبلغاً ضخماً جداً، صار في استمرار لحياة الأسرة، والعرف هناك: إذا الميت غني، هذا المبلغ لا يأخذه، يدفعه للفقراء، الورثة لا تأخذه، لكن التعزية هناك مع دفع مبلغ، بالعكس عمل طيب.


الزفاف الجماعي من السنة الحسنة تخفيفا للنفقات

الآن: في زواج جماعي، عرس، يوجد مئتا عريس في عرس واحد، هذه لم تكن على عهد النبي، لكن مع أزمة السكن، ومع ارتفاع نفقات الزواج، العرس الجماعي وفر على الشباب مبالغ طائلة.

فإذا كان أحدثت شيئاً، لا يتصل لا بالعقيدة، ولا بالعبادة، متعلق بحياتنا الدنيا، فهذه سنة حسنة: من سنها فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة.

أتى بسنة حسنة جديدة، تعارف الناس بأن يكون مع عقد القران قطعة كريستال، هدية، الآن في اتجاه جديد: نعمل كتاب جديد؛ كتاب في الحديث، كتاب في الفقه، كتاب في التفسير فرضاً، والله هذه أجمل، صار في مكتبة إسلامية، أنت أصبح عندك مئتا صحن، وكل صحن شكل، ليس طقماً، تضعهم في الخزانة، أما عندك كتب قيمة، هذه والله سنة حسنة.

جاء إنسان، عمل عرساً لابنه، أو كتاب، لم يقدم شيئاً إطلاقاً، أثناء الاحتفال قال: نحن شاهدنا قطعاً ثمينة، ثمنها ثمانمئة ليرة، هو داعي ألف، الثمانمئة ألف قال: نضعهم لتزويج الشباب، والمبلغ موضوع عند الجهة الفلانية، هذه هديتكم.

إنسان آخر: أعطاك مع البطاقة تبرعاً بألف ليرة لثانوية شرعية، والله شيء جميل! جمعنا الناس، واحتفلنا بالزواج، وبنينا مدرسة شرعية، احتفلنا بالزواج، وأمنا مكتبة لكل شخص، شيء لطيف جدا! هذه السنة الحسنة.

قلنا لك: لا نريد غير ثلاثة ألواح ورد، دخلت مرة لعقد قران، قدرت ثمن الورد بمليون ليرة، مرة دعينا إلى عقد قران، الطعام غير معقول، لا يأكل عشرة.......


الجمعيات الشهرية المتداولة من السنة الحسنة

قال لي شخص من أخواننا: حضرت أثناء الشراء بمليون ليرة، يأكل عشرة، ثم فوجئت: أن الطعام وضع في علب بشكل جيد، وذهبوا به إلى ميتم، أكل هؤلاء الصغار الأيتام هذا الطعام عشرة

أيام تقريباً، وكلفة الطعام دفع مثلها للزواج.

ففي.... يتفتق ذهن المسلمين عن أعمال طيبة جداً، إذا كان....

مرة خطر في بالي: كل أخ يعطي لنا زمرة دم احتياطاً، عندنا قوائم، أخ -فرضاً- يحتاج إلى دم فجأة، بدلاً من أن نضع إعلانات، ومن زمرة دمه إيجابي؟ فوراً، نحن معنا قوائم فلان، وفلان أعطيه، يتفتق ذهنك عن ألف قضية؛ ترفع حياة المسلمين، يتعاونون....

الآن: عملوا جمعية، حوالي عشرين شخص، يضع كل واحد منهم ألف ليرة بالشهر، عشرون ألفاً بالشهر، يأخذهم شخص، يحل مشكلته بالقرعة، هذه السنة الحسنة، ليس لها علاقة بالعقيدة، ولا بالدين .

أقسام السنة الحسنة :

أيها الأخوة، إلا أن هناك ضابطاً، هذا الضابط: السنة الحسنة؛ في نوع لا يتصل بالدين، هذا مباح، وفي نوع يتصل بالدين إيجاباً، مستحسنة، بالتعاون مثلاً، وفي نوع يتعارض مع قواعد الدين، ما كان على عهد النبي تصوير الفيديو، أما إذا كان في عرس، والكاميرا تصور، والنساء كاسيات، عاريات، بأجمل حلة، بأفضح ثياب، ممكن أن نصور العرس، ونأخذ نسخاً من الفيلم، نعرف كل امرأة من هي؟ هذه ليست معصية، هذه من أشد أنواع المعاصي، هذه لم تكن من قبل، لكنها تتعارض مع نص شرعي.

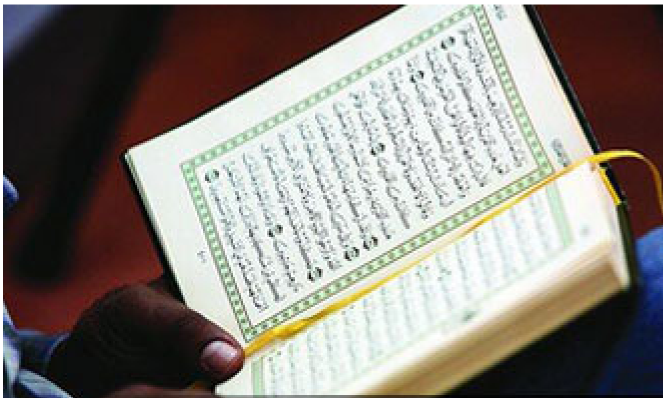
فالسنة الحسنة قسم منها: مباح، ليس له علاقة، لا سلبية ولا إيجابية، في قسم: له إيجابية بالدين، في تعاون، يقول: هذه سنة حسنة، مستحبة، وفي قسم: يتعارض مع نصوص الدين، هذه حرام. لذلك السنة الحسنة موقوفة على نوع استخدامها، هذا هو التوفيق بين:

((إياكم ومُحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدْعةٌ، وكل بدْعَةٍ ضَلاَلَة وكل ضَلاَلَة في النار))

وبين قول النبي:

((مَن سَنَّ سُنَّة حَسَنَة، فله أجرُها، وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة))

إليكم هذه الأمثلة أيضاً التي تخص موضوع السنة الحسنة :


من السنن الحسنة تخفيف عقوبة السجن لمن حفظ القرآن

في العالم الإسلامي الآن: بسجن من السجون في بعض البلدان، إذا حفظ السجين كتاب الله، يعفى من نصف المدة، محكوم خمس عشرة سنة، أصبح سبع سنوات، في قرَّاء يريدون أن يسمعوا له كامله.

إذا إنسان حفظ كتاب الله، ينقلب مئة وثمانين درجة، شيء جميل! هذا باعث على حفظ كتاب الله.

ممكن أن نخترع في حياتنا آلاف الاجتهادات، لكن ليس لها علاقة بالدين، قد يكون لها علاقة إيجابية ممتازة، أما علاقة سلبية ممنوعة.

الآن مسجلة: هذه موقوفة على نوع استخدامها، حرام؟ لا، حلال؛ لكن: ما اسمها؟ هذه اسمها: موقوفة على نوع استخدامها.

إذا سمعت فيها دروس الدين، والقرآن، ما فيها شيء، على العكس: سنة حسنة؛ لأنك ممكن أن تجلس في البيت، تسمع خمسين درساً، الزوجة تجلس في البيت؛ تسمع دروس، تتعلم، تركب سيارتك، تسمع موضعاً علمياً دقيقاً، سفر طويل، تعمل رياضة -مثلاً-، معك مسجلة، تسمع درس علم، ممكن أن تتعلم في الأوقات الميتة التي تذهب هدراً، هذه سنة حسنة، أما نفس المسجلة، اسمع فيها أغاني، أصبحت حراماً، فهذه موقوفة على نوع استخدامها، هذه السنة الحسنة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٤٢-٤٤) : شفافية الرسول عليه الصلاة والسلام - الموت حق.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٢-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

علام تدل هذه الأحاديث ؟

أيها الأخوة الكرام، أحاديث شريفة وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين شفافيته، فحينما دخل بستان أنصاري، ورأى فيه جملاً، فلما رأى النبي حن، ذرفت عيناه، أقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ومسح ذفريه، وقال:

((من صاحب هذا الجمل؟ فقالوا: فتى من الأنصار، قال: ائتوني به، فلما جاؤوا به، قال: أفلا تتَّق اللهَ في هذه البَهيمةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إيَّاها؟ فإنَّهُ شَكا إليَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ))

هذا الاتصال بين النبي عليه الصلاة والسلام، وبين المخلوقات، سبب هذا الموضوع: أن النبي عليه الصلاة والسلام طلع له أحد، فقال:

((هذا جبل يحبُّنا ونُحبُّه))

[أخرجه مالك في الموطأ]

يخطر ببال إنسان: أن يحب جبلاً؟! كان يخطب على نخلة، فلما صنع له أصحابه منبراً، خطب على المنبر، فحنت إليه النخلة، فكان يضع يده عليها.

لما حنظلة اشتكى إلى سيدنا الصديق أنه نافق، قال:

((ولم يا أخي؟ قال: لأن مع رسول الله، ونحن والجنة كهاتين، فإذا عافسنا الأهل ننسى، قال: وأنا كذلك يا أخي، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، هناك قال عليه الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء، تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا، أما أنتم يا أخي، فساعة وساعة، لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة))

أقصد من هذا الكلام: أن المؤمن إذا عرف الله عز وجل، تناغم مع الكون كله، صار في وحدة، الجبل من مخلوقات الله.

ماذا نستنبط من هذه التجربة، ومن هذه الأحاديث التي تلاها النبي ؟

أيها الأخوة، ذكرت لكم قبل شهر، أو أكثر: أن أستاذاً جامعياً كبيراً في علم الطبيعيات (في علم النبات)، أجرى تجربة فريدة من نوعها، نصب أربعة بيوت بلاستيكية، في حديقة الكلية، وجعل التراب واحداً، وزرعها قمحاً، وسمدها بسماد متجانس، وسقاها مرات متساوية، وبكميات متساوية، وكلف طالبة أن تتلو على البيت الأول، كل أسبوع مرتين؛ سورة ياسين، وآية الكرسي، والمعوذتين، والإخلاص، والفاتحة، وكلف طالبة ثانية أن تعذب نباتاً، أما نبات البيت الثاني: تأتي بنبات، تعذبه، تسمعه أقذع العبارات، تقص أطرافه، وكلف طالبة ثالثة أن تعذب نبات البيت الثالث، وجعل البيت الرابع ضابطاً؛ لا في تعذيب، ولا في مشاهدة تعذيب، ولا في قراءة قرآن، جعله هو الضابط، وبعد عدة أشهر: كان هناك مؤتمراً علمياً، فجمع المتخصصين، وأراهم النتائج، النبات الذي تلي عليه القرآن: زاد نموه، أربعة وأربعين بالمئة، وزاد محصوله أربعة وستين بالمئة، بالقياس إلى البيت الضابط (آخر بيت)، والنبات الذي عذب، والذي رأى التعذيب، قل نمو سنابله ثلاثاً وثلاثين بالمئة، وهبط إنتاجه إلى ثمانين بالمئة، ثم ذكر هذا الأستاذ الجامعي ما في القرآن الكريم من آيات حول النبات قال:

(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)

[سورة الرحمن الآية: ٦]

وقال:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)

[سورة الإسراء الآية: ٤٤]

ثم ذكَّر بالآية الكريمة:

(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ)

[سورة الحشر الآية: ٢١]

هذه التجربة الفريدة، وقول النبي:

((أعرف حجراً بمكة، كان يسلم علي، وأسلم عليه))

وهو الصادق المصدوق، وحينما رأى الجمل قال:

((من صاحب هذا الجمل؟ قال: ألا تتق الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي: أنك تجيعه وتدئبه))

وحينما خطب على النخلة، وتحول عنها إلى المنبر، حنت إليه، فكان يضع يده عليها، وحينما قال لحنظلة وأبي بكر رضي الله عنه:

((لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة))

فالمؤمن أينما نظر، يرى الله وراء كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، وفي كل شيء، لا كشيء في شيء، هذه الرؤية الموحدة سماها العلماء: وحدة الشهود، تناقض في الكون لا يوجد أبداً، في خالق واحد، في انسجام، أينما ذهبت .

أحياناً: إنسان سافر لمكان بعيد، يسمع صوت الديك؛ الديك: هو هو، لا يتغير، النبات: هو هو، البحر: هو هو، الجبال: هي هي، طبيعة الإنسان: هي هي، فطرته: هي هي، فهذا الانسجام أحد ثمرات الإيمان؛ انسجام بين الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان، يرى الله عز وجل يده فوق يد كل البشر، هذا التوحيد:

((وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد))

(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)

[سورة الفتح الآية: ١٠]

(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)

[سورة الأنفال الآية: ١٧]

من نتائج التوحيد :

أيها الأخوة، التوحيد له نتائج مذهلة، أولى أكبر نتائجه: الصحة.

يعني: كلما التقيت مع أخوة كرام أطباء متفوقين جداً، هم مع أحدث البحوث العلمية، يقولون: الشدة النفسية وراء الأمراض كلها، والشدة النفسية: خوف، قلق، حقد، الشدة النفسية علاجها: التوحيد، اعمل لوجه واحد، يكفك الوجوه كلها، من جعل الهموم هماً واحداً، كفاه الله الهموم كلها، لا يوجد عند المؤمن حقداً، لأنه يرى أن الله بيده كل شيء، وأن الله حينما يسلمني لغيره، لا يمكن أن أعبده، أصبح معي حجة: يا رب، أنا سأعبد من وكلت أمري إليه:

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

[سورة هود الآية:١٢٣]

علاقتك مع واحد، ولا تحتاج معه إلى وصل؛ لا إلى وثيقة، ولا إلى ختم، ولا إلى يمين:

(يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)

[سورة طه الآية:٧]

الله مطلع على ما في النفوس، لذلك قال لي أحدهم مرة: الحمد لله على وجود الله، الإنسان قد لا يعلم، قد يراك في أسوأ حالة، وأنت من أفضل الناس، قد يتوهم أنك سيء، وأنت طيب، لكن الله عز وجل يعلم كل شيء، فليس القصد من الإيمان: أن تؤمن أن الله خلق الكون، هذا آمن به إبليس:

(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

[سورة الأعراف الآية:١٢]

القصد: أن ترى أن الله مع كل إنسان، وأن كل إنسان بيد الله :

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)

[سورة الزمر الآية:٦٢]

فهذا الانسجام في الكون، أحد أسبابه: التوحيد، المؤمن له رؤية، المؤمن إنسان متميز؛ يرى ما لا يراه الآخرون، يسمع ما لا يسمعون، يشعر ما لا يشعرون، يرى الله وراء كل شيء، الرؤية الصحيحة تسبب له راحة نفسية، والراحة النفسية تنعكس صحة على الإنسان.

أنا أغرب ما قرأت في طريق للآلام مضخم، أي إنسان في أي زمان ومكان، إذا أنت حرقت يده، يتألم لما تضع جمرة على جلده، الإحساس بالحرق ينتقل عبر الأعصاب إلى النخاع الشوكي، ومن النخاع الشوكي إلى البصلة السيسائية، إلى الجسم تحت السرير البصري، إلى قشرة الدماغ، يصيح الإنسان، هذا الألم، هذا طريق الآلام، اسمه: النهايات العصبية، النخاع الشوكي، البصلة السيسائية، تحت السريرالبصري، قشرة الدماغ، اكتشف العلماء على هذا الطريق: بوابات، إذا أغلقت انقطع الألم، وقالوا: تتحكم في هذه البوابات الحالة النفسية للمريض.

فأنت إذا آمنت، جعلت الهموم هماً واحداً، طبعاً على الشبكية: في أقوياء أشرار، ومخيفين، ممكنين في الأرض على الشبكية، أما إذا وصلت إلى الدماغ بحسب التوحيد: لا ترى مع الله أحداً، لا ترى إلا الله، وهو حسيب كل إنسان، وكل إنسان في قبضة الله، وأينما ذهبت هناك صيدلية عند الله، لكل بلد، أينما ذهبت، كل بلد له صيدلية خاصة، إذا أراد الله أن يؤدب إنساناً، لو عاش في أرقى بلد بكل العالم، هو الرزاق بكل بلد، هو المتصرف بكل بلد، هذا هو التوحيد.

فلذلك لما بدا جبل أحد، قال:

((هذا جبل يحبُّنا ونُحبُّه))

[أخرجه مالك في الموطأ]

قصص فيها عبر :

في موضوع ملحق بهذا الموضوع، لذلك تأثرت له تأثراً كبيراً، كان من الممكن أن نأتي الدنيا دفعة واحدة، وأن نغادرها دفعة واحدة؛ لا مرض، ولا حزن، ولا موت، ولكن شاءت حكمة الله: أن نأتيها تباعاً، وأن نغادرها تباعاً.

أخ كريم من أخوان جامع الطاووسية، له محل تجاري باتجاه المحافظة، وأنا والله لا أزكي على الله أحداً، أظنه مؤمناً صالحاً، قدم خدمات لأخواننا الفقراء في المسجد كثيرة جداً، أعطاني بطاقات على القليل، يقول لي: أي إنسان فقير، البطاقة بألفي ليرة، بطاقات عديدة بكل عيد، وقدم ملابس وبدلات لأخواننا طلبة العلم، ولا سيما الأجانب، أخذ محلاً تجارياً، وعليه ضريبة مالية كبيرة جداً ستة ملايين، وأنا توسطت له مع مدير المالية، موضوع طويل، وعليه دفع، وفي ريعان الشباب، الإنسان يسمع فلاناً، مات في التسعين، هذا وقته، مات ويبلغ من العمر مئة وأربعة، معقول يموت بهذا الوقت، لكن الناس توهموا: أنا لا أموت في هذا الوقت، أنا عمري طويل.

في أخ لي صديق، جالس بسهرة يوم السبت، وفعلاً: كلامه صحيح، أنا سوف أطول لكي أموت، أنا لم أكن موجوداً، أنا لا أحضر هذه الجلسة، مطول لكي يموت، كلام غير شرعي، سألوه لماذا؟ قال: وزني خفيف، ورشيق، وألعب رياضة، ولا أدخن، وأمشي كثيراً، كلامه صحيح مئة في المئة، الذي عكس هذه الأشياء، أكبر أسباب الموت تكلمها السبت، السبت الثاني: كان تحت الأرض.

فهذا الأخ، كان في نزهة مع زوجته، وأولاده في الساحل، ماتوا جميعاً، هو لو سألته متى تتصور أن تموت؟ من بعد الستين، هكذا تتصور.

إنسان يموت فجأة، أما أنا والله أظنه صالحاً، وأظنه مؤمناً، ولا أزكي على الله أحداً، اتعظوا بالموت، لا أحد يعلم منا متى أجله؟ متى انتهى؟ الأوراق انتهت.

شخص من كبار تجار الحريقة، صار معه مرض خبيث بالدم، وسافر إلى الاتحاد السوفييتي سابقاً، وعاد، وكان في موعد أن يخبروه بنتيجة التحليل، هكذا فهمت، فجاء اتصال هاتفي، رفع السماعة، هو بلغوه، بقي له يومان بالضبط، هذا الرجل صالح، لكن: إذا كان دخلوا عليه لجنة، يعطيهم مفتاح الصندوق، ويلح عليهم ألا يخبروه: كم أخذوا؟ لا أحد يفعلها، خذوا ما تريدون، لا تقولوا لي: من أجل أن ترتاحوا، له أعمال طيبة، عمر جامعاً، يده خيرة جداً، مع أن الخبر مؤلم جداً، بقي له يومان، يقول لي صديقه: لم أر إنساناً أعصابه هادئة، ومرتاح مثله، بعث وراء صديقه، قال له: انتهيت أنا، بقي لي يومان، أعطاه قائمة حل مشكلات؛ الصفقة الفلانية: ألغها، الصفقة الفلانية: مدفوع ثمنها، وأكمل معاملتها، وبيعها، وأعطى الصفقة لأولاده، نظم له كل أموره؛ أول يوم، ثاني يوم: طلب كل أولاده البنات، والذكور، والأصهار، دعاهم، ثالث يوم: له شيخ في الشام، جاء شيخه، معه أخوانه، عملوا له تهليلاً، تغسل هو بنفسه، والساعة الواحدة، سلم الحال، هذا ليس حال شخص عادي، إنسان عمله طيب.

فأنت اعمل عملاً طيباً، حتى الموت لا بد منه، لا أحد يقول: مطول لكي أموت، الكلمة كبيرة جداً، بعيد الحال، مثل ما قال سيدنا الصديق، كلما وضع قدمه قال: قد لا أتبع الثانية الأولى، لشدة خوفه من الله عز وجل .

فهذا الأخ في ريعان الشباب، وعمله طيب، ومحله بأدق محل، مواجه المحافظة، محله يعمل، دائماً: يصلي عندنا؛ كل سبت، أحد، اثنين، يسلم علي سلاماً حاراً، هل يلزمه أحد شيئاً؟ هل يريد أحد شيئاً؟ أخ يريد كسوة على العيد، يعطيه البطاقة: اذهب، عنده ألبسة، وعنده.......مشكل.

فأخواننا الكرام، هذا الموت يأتي بغتة، والقبر صندوق العمل، أعقل العقلاء: هو الذي يعمل لهذه الساعة، التي لا بد منها، ولما الإنسان يصطلح مع الله، لا يوجد عنده مشكلة.

كنت أقول كلمة: الله عز وجل من كرمه، يجعل نعم الدنيا متصلة بنعم الآخرة؛ خط، وكنت أقول: خط المؤمن البياني صاعداً صعوداً مستمراً، والموت نقطة على هذا الخط، أما خط الكافر البياني؛ صعود حاد، سقوط مريع .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٤٣-٤٤) : التناصح بين المؤمنين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٢-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

انظر إلى هذه الحكمة الإلهية في عباده :

أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل أرادنا أن نجتمع لسببين؛ الأول: أنه خلق فينا دافع الجوع، والجوع يحتاج إلى طعام، والطعام يحتاج إلى ثمن، والثمن يحتاج إلى عمل، فلا بد من أن تعمل، ولولا أنك تجوع، لما رأيت شيئاً على وجه الأرض، الدافع إلى الطعام وراء كل الأعمال .

الإنسان يجوع فيعمل؛ ليكسب المال، ليشتري الطعام، ليسد هذه الحاجة.

فإذاً: لا بد من العمل، والله عز وجل صمم الحياة على الشكل التالي: يتقن الإنسان عملاً واحداً، أو عملين، ويحتاج إلى مليار حاجة، تتوافر عند أخي، كل واحد له حرفة، لكن يحتاج إلى طعام، إلى زراعة، إلى تجارة، إلى معالجة، إلى تعليم، إلى طب، ....فلان، كل إنسان يتقن حاجة، ويحتاج إلى مليار حاجة، ولأن الإنسان يجوع، ولا بد من أن يؤمن ثمن الطعام، إذاً: لا بد له من أن يعمل.

فالله عز وجل أرادنا أن نكون مع بعضنا بعضاً، حينما نكون مع بعضنا بعضاً: نمتحن، وحينما نمتحن: نستحق الجنة أو النار، هذا شيء دقيق جداً، الجنة تحتاج إلى عمل، كيف قهرنا الله على أن نعمل، فجعلنا محتاجين إلى بعضنا البعض؟ قال تعالى:

(فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)

[سورة النحل الآية: ٧١]

أحياناً: يكون إنسان من أعلى مستوى، تتعطل سيارته، يقف أمام مصلح السيارة بأدب جم، في هذه اللحظة: هذا المصلح يفوقه أحياناً، معنى: يحتاج إلى قضية في بيته، يقف أمام المختص بأدب جم، الله عز وجل لم يقل: (فضل من على من)، قال:

(فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)

[سورة النحل الآية: ٧١]

بعضكم مفضل بعض، قبول في كل لحظة، هذا من حكمة الله عز وجل، أرادنا أن نجتمع، وجعلنا بحاجة إلى بعضنا البعض، ونحن في هذا الاجتماع: نمتحن؛ هناك من يصدق، هناك من يكذب، هناك من ينفق، هناك من يجحد، هناك من يعطي، هناك من يأخذ، هناك من يخلص، هناك من يخون.

ما هي لوازم الجماعة ؟

أيها الأخوة، من لوازم الجماعة: التناصح، ولا قيمة لهذه الجماعة، الجماعة في الدين مقدسة. حينما قال النبي الكريم:

((عليكم بالجماعةِ، وإيَّاكُم والفُرْقة، فإنَّ الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ، فإنما يأكلُ الذِّئبُ من الغنم القاصية))

هذا الحديث الذي بين أيدينا: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:

((مَثَلُ القائِمِ في حُدُودِ اللَّه، والْوَاقِعِ فيها، كَمثل قومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أسْفَلَهَا، فكان الذي في أسفلها، إذا استَقَوْا من الماء، مَرُّوا على مَنْ فوقهمْ، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نَصِيبِنَا خَرقا، ولَمْ نُؤذِ مَنْ فوقنا، فإن تَرَكُوهُمْ وما أرَادوا؛ هَلَكوا، وهلكوا جَميعاً، وإنْ أخذُوا على أيديهمْ؛ نَجَوْا، ونَجَوْا جَميعا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير]

في عبارة مشهورة، نحن في قارب واحد، حينما يؤمن المسلمون، أنهم جميعاً في قارب واحد، ينصرهم الله عز وجل.

الانتماء إذا كان فردي؛ انتهينا، تفرقنا، مُزقنا، وإذا الانتماء جماعي كهذا الحديث؛ مصلحتي في سلامتك، مصلحتي أن تكون غنياً، مصلحتي أن تكون سليماً، معافى، الكل للواحد، والواحد للكل، هذه الروح الجماعية: هي التي أرادها الله عز وجل، والإنسان في طبعه فردي، والجماعي تكليف.

إذا الإنسان رجع لطبعه، ليس له مصلحة مع أحد، مصلحته وحده، والجماعة تكليف، أما الشيء الذي لا يصدق: أنك إذا ذهبت إلى بلاد شاردة عن الله، لكن الذكاء يقتضي أن يتعاونوا؛ يتعاونون على باطل، يتعاونون على أشياء، لا من عند الله، أشياء من عندهم.

فلذلك من المؤسف جداً: أن المؤمنين، وهم على حق: لا يتعاونون، وأعداءهم، وهم على باطل: يتعاونون، لأنهم أدركوا يقيناً: أن سلامتهم في تعاونهم، وأن سلامتهم في تعاضدهم، وفي تضامنهم. فهذا الحديث من أصول الأحاديث:

((فإن تَرَكُوهُمْ وما أرَادوا؛ هَلَكوا، وهلكوا جَميعاً، وإنْ أخذُوا على أيديهمْ؛ نَجَوْا، ونَجَوْا جَميعا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير]

كم مشكلة تفت في عضد الأمة، ولا يتعاونون على حلها؟ العوام لهم كلمات لطيفة -أحياناً-: (إذا أخوك بخير، أنت بخير).

إليكم هذه الأمثلة من القرآن التي تؤكد على معنى هذه الفقرة :

أيها الأخوة، قال مثلاً:

(لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)

[سورة النساء الآية:٢٩]

الآية فيها دقة بالغة: لا تأكلوا أموال أخوانكم، قال تعالى:

(لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ)

[سورة النساء الآية:٢٩]

مال أخيك مالك، من زاوية واحدة، من زاوية وجوب المحافظة عليه، فلأن تأكله اغتصاباً أو احتيالاً، فلأن تمتنع عن أكله اغتصاباً أو احتيالاً، من باب أولى، قال تعالى:

(لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ)

[سورة النساء الآية:٢٩]

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم)

[سورة النساء الآية:٢٩]

لا تضعفوا حالكم، آيات كثيرة لكن فيها إشارات دقيقة:

(كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُم)

[سورة الحشر الآية:٧]

المال يجب أن يكون بين أيدي الناس جميعاً، هذا الوضع الصحي، فالمسلمون في أمس الحاجة إلى معاني الجماعة، إلى معاني التعاون.

ما هي أخطاء المسلمين في هذا العصر، ولماذا أهلك الله بني إسرائيل، وما الدرس الذي ينبغي على المسلمين أن يأخذوه من هذا الهلاك ؟

سألوا شخصاً أمريكياً أسلم: لماذا المسلمون يصلون، وكتفهم إلى جانب بعضهم البعض، اعملوا واحد نعم، واحد لا، ترتاحون، الجامع كبير، ولا داعي للتلاصق، والدنيا صيف؟ فكان جوابه: أن الله عز وجل أرادنا، ونحن في أعلى درجات الصلة به، أن نكون مع بعضنا بعضاً، أن نحس بوجود بعضنا بعضاً.

فهذه الروح الجماعية، المسلمون في أمس الجماعة إليها، كل إنسان يقول: ليس لي دخل، اتركهم، عليك من نفسك، هذا موقف خلاف الشرع، لأن الله عز وجل أراد إهلاك قرية، فأرسل إليها الملائكة ليهلكوها، قالوا:

((يا رب، إن فيها رجلاً صالحاً، قال: به فابدؤوا، قالوا: ولم؟ قال: لأن وجهه لا يتمعر إذا رأى منكراً))

لو جميعنا تعاونا، أحياناً: تأتي لعند رجل ابنة أخيه، تكون ثيابها فاضحة، غير محتشمة؛ يرحب بها، ويستقبلها، ويهش لها، ويبش لها، طيب: أليس بالإمكان أن يوجهها: يا بنيتي، هذا اللباس لا يتناسب مع أخلاقنا، مع ديننا، مجاملات.

لما المجتمع يؤاثر المجاملة على المصارحة، أعطه جمله على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هذا المجتمع انتهى عند الله.

لذلك أكبر معصية اقترفها بنو إسرائيل، هذه المعصية التي كانت سبب هلاكهم أنهم:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

[سورة المائدة الآية:٧٩]

لما ربنا عز وجل قال:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)

[سورة آل عمران الآية:١١٠]

علة هذه الخيرية:

(تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

[سورة آل عمران الآية:١١٠]

مرة ذكرت لكم: سائق سيارة عمومي، غير متعلم إطلاقاً، على خط بيروت دمشق، جاءه شاب، وزوجته، فترجوه أن ينتظر، بينما تأتيهم محفظة، يبدو أنه تأخر الذي سيأتي به، صاح السائق، بعد ذلك: جاء رجل يبلغ من العمر سبعين، ثمانين، يحمل حقيبة على رأسه، الشاب ضربه على رأسه، لماذا تأخرت؟ أخذ الحقيبة، ووضعها، وذهب، بعد ما قطع مسافة، تقول الزوجة لزوجها: لماذا ضربته؟ هذا أبوك، غير معقول تضربه! السائق: لما سمع أباه وقف، قال له: انزل، نعمل حادثاً.

انظر الموقف البسيط جداً: لو كان كلنا فعلناه، تجد إنساناً يسب الدين، يعمل أعمالاً، لا أحد يتكلم معه، ولا كلمة، ولا يجد موقف اعتراض، الوضع هذا، لما المسلمون يتخلون عن الفريضة السادسة، يستحقون الهلاك، وفقدوا خيريتهم.

يقول شخص: أنا سبب هدايتي سائق سيارة، اشتريت حاجات من المؤسسة، ويبدو قد اشترى خمراً (بيرا)، وطلب سيارة، لما رأى البيرا، طرده، نزله، وقصة قديمة، أثناء كان في أزمة مواصلات، قال: بقيت واقفاً ساعة، ما أحد ركبني، رأيت نفسي مهاناً، لأنني أشتري الخمر، فتاب من يومها.

لا تعلم، لو كان الأسر كلها تعاونت، إذا إنسان –مثلاً- تفلت، يقاطع، إنسان أساء، يقاطع، أما يرتكب كل الإساءات، يقتاد أقذر الأماكن، معزز، ومكرم، ومحترم، إذا المجتمع هكذا، انتهى المجتمع، قال تعالى:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

[سورة المائدة الآية:٧٩]

((كانوا إذا سَرقَ فيهم الشَّرِيفُ -بنو إسرائيل- تَرَكُوه، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وايْمُ اللَّهِ لَوْ أنَّ فاطمة بِنْتَ محمدٍ سَرَقت لقطعتُ يَدَهَا))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة]

سيدنا عمر -القصة تعرفونها، تكلمتها كثيراً- لما قال له بدوي:

((هذا جبلة لطمني على أنفي، فهشم أنفي قال له:

أرض الفتى لابد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه

أو يهشمنَّ الآن أنفــك وتنال ما فعلته كفــك

قال:

كيف ذاك يا أميــــر؟ هو سوقة وأنا عرش وتاج

كيف ترضى أن يخر النجم أرضا!؟

قال له سيدنا عمر:

نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديدا

وتساوى الناس لدينا أحراراً وعبيدا

قال:

كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز

أنا مرتد إذا أكرهتني

قال:

عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبنيه كل صـدع فيه

بشبا السيف يــداوى وأعز الناس بالصعلوك تساوى

انضم ملك لسيدنا عمر قليل، جبلة ملك الغساسنة، فلما ضرب بدوي، وأراد عمر أن يقتص منه، عمر هدده، إذا كنت تريد أن تعاقبني أرتد، قال له: ارتد))

قالوا: عمر رأى أن التضحية بملك أهون من التضحية بمبدأ .

فما في مجتمع قوي إلا عنده مبادىء ثابتة، قوية، والأشخاص كلما كبروا: صغر المبدأ، والمبدأ كلما كبر: صغر الأشخاص.

فالحديث هذا: أن نتعاون على مستوى أسرة، على مستوى حي، على مستوى جماعة، على مستوى رواد مسجد، على مستوى مدينة، على مستوى بلد، على مستوى شعب، على مستوى أمة، لأن التفرقة سبب الضعف.

فقال:

((إن تَرَكُوهُمْ وما أرَادوا؛ هَلَكوا، وهلكوا جَميعاً، وإنْ أخذُوا على أيديهمْ؛ نَجَوْا، ونَجَوْا جَميعا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير]

فتقول: ليس لي دخل، أنت من حقك أن تنكر المنكر؛ إما بلسانك، أو بيدك، أو بقلبك، كما أنه لا يُقبل أن تنكره بقلبك، وأنت قادر أن تنكره بلسانك، ولا يُقبل منك أن تنكره بلسانك، إذا كنت قادراً أن تنكره بيدك.

ابنتك هذه، تجدها تمشي في الطريق بأبهى زينة، ما في شيء مخفي منها؛ ألا يوجد لها أباً؟ ألا يوجد لها أخاً؟ ألا يوجد لها زوجاً؟ كيف تركوها، وهكذا حالها؟ هذا الذي استحق به المسلمون الهلاك
.
لا أقول لكم: كونوا عنيفين، بلطف، لكن لا تسكت على منكر، لا تسكت على خطأ، إن سكت على الخطأ، تستحق غضب الرحمن:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

[سورة المائدة الآية:٧٩]

إذا قالوا: اتركهم، انتهوا، وهذا كلام لطيف! مثل رائع جداً، حتى لا نؤذي من فوقنا، حفرنا من الأسفل، أخذنا ماء مباشرة، انتهت السفينة، غرقوا جميعاً.

أحيانا: أخلاق الأمة متعلقة بالتناصح، كل شيء مسموح، كل شيء نفعله، كل شيء لا نعاقب عليه، كل شيء نتساهل فيه، انتهت الأمة، أخلاقها انتهت:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

[سورة المائدة الآية:٧٩]

هذا سبب هلاكهم.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - إتحاف المسلم - الدرس (٤٤-٤٤) : مفهوم الزمن وانقضائه.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١٢-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة لا بد منها :

أيها الأخوة الكرام، في نهاية رمضان، وفي نهاية العام قبل رمضان، في نهاية الخريف، في نهاية الصيف، في نهاية الربيع، في نهاية العام الدراسي، في نهاية الموسم، يشعر الإنسان بمضي الزمن، والزمن يمضي سريعاً، والذي مضى من الزمن لا يعود، وهذه حقيقة مهمة جداً، والإنسان في الحقيقة بضعة أيام، وكلما انقضى يوم، مضى بضع منه.

نحن مقبلون على رمضان، ما هو إلا زمن يسير، حتى نحتفل بالعيد، ونبدأ صلاة الفجر بالبقرة، وما هو إلا زمن يسير، حتى ينتهي العام الذي قبل رمضان، وكل إنسان يدرك بضعة رمضانات، وفي النهاية: لا بد من الختام.

مضي الزمن وحده: معنى كبير، مضي الزمن وحده: يستهلك الإنسان، هو بضعة أيام، كلما انقضى يوم، انقضى بضع منه.

لذلك: أعقل إنسان، أذكى إنسان، أكثر الناس نجاحاً، تفوقاً، فلاحاً، هو الذي يدرك، أنه في زمن، وأنه محدود، وأنه يمضي، لا يوجد طريقة لتلافي الخسارة، إلا أن تعمل في الزمن عملاً، ينفعك بعد انقضاء الزمن .

ماذا تفهم من هذه الأمثلة ؟

أيها الأخوة، عندنا شيء اسمه: إنفاق استهلاكي، وإنفاق استثماري، كل هؤلاء الناس يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتمتعون، ويكسبون الأموال، لكن: كل هذه الأعمال لا تنفعهم في المستقبل، مع أنه لا بد منها .

أوضح مثل: إذا الإنسان ملأ حوض السباحة، أو حوض الحمام بماء فاتر، وجلس فيه، شيء مريح جداً، أعصابه تتخدر، مهما جلس في هذا الحوض؛ هل يصبح تاجراً؟ هل يصبح عالماً؟ هل يصبح قائداً؟ الاستمتاع ليس له مردود في المستقبل، الاستمتاع لا ينعكس على المستقبل، ينعكس على الحاضر، والذي يجعل الاستمتاع هدفه، وديدنه، هذا يستهلك الوقت استهلاكاً، ينفق الوقت استهلاكاً، أما الذي.......

وأوضح مثل: لو إنسان ذهب لفندق جميل، وأقام فيه شهراً، طلب الحساب، قال: مئة ألف، أثناء دفع المبلغ، هذا المبلغ حينما يدفع، هل يعود؟ هذا استهلك.

لو تخيلنا شركة استثمارية، تعطي على مئة مليون، أثناء دفع مئة ألف للشركة، دفع، هذا استهلاك؟ لا، هذا استثمار، مالك محفوظ، وستربح أرباحاً طائلة، فهذه البطولة: أن تنفق وقتك استهلاكاً أو استثماراً.

فيقول سيدنا عمر:

((الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما))

يعني: رُدَّ على تقلب الليل والنهار، بأن تعمل فيهما عملاً صالحاً، يسعدك بعد انقضاء الوقت .

أيها الأخوة الكرام، من يضحك أخيراً، يضحك كثيراً، ومن يضحك أولاً، يبكي كثيراً.

الناس تقريباً: تبحث عن ضحك سريع؛ يؤمن بيتاً، يؤمن دخلاً كبيراً، يغير، يرتب، يزين، ضحك، يأتي ملك الموت، فيخل هذا التوازن.

يعني: وإن كان كلاماً، هكذا سمعت، الذين يأخذون المخدرات، يعيش بأحلام، بإشراقات عجيبة، هذا يذهبه صوت قوي، الحالة هذه من الوهم تزول عنه، فالناس نيام، إذا ماتوا: انتبهوا .

فالبطولة: أن تستيقظ قبل أن يأتي الاستيقاظ القسري.

بماذا أقسم الله في هذه الآية، وما هو المراد من هذا القسم ؟

أيها الأخوة، الله عز وجل قال:

(وَالْعَصْرِ)

[سورة العصر الآية:١]

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

[سورة العصر الآية:٢]

الخسارة محققة، الخسارة أكيدة، لأن مضي الزمن، يستهلك الإنسان، إنسان مات، يحسب أنه عاش ثمان وستين سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أسابيع، وخمسة أيام، وثماني ساعات، وأربع دقائق، وثلاث ثوان، ممكن لو كان كله مسجل، يحسب؛ كم وجبة تناول؟ كم سفرة سافرها؟ كم لقاء؟ كم سهرة؟ يحسبون كلهم، محدود الإنسان، فالإنسان محدود، بضعة أيام.

أيها الأخوة، أكبر خط يصيب الإنسان، أن تغفل عن مضي الزمن:

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية:٢٠٥]

مرة تحدثت لبعض أخواننا، كان عندي آلة تسجيل، تجيب عن المكالمات، الشريط المتعلق بها أهملته، وجدته من حوالي سنة سمعته، اثنا عشر شخصاً بالشريط توفوا، سافرت، رجعت، أربعة توفوا في غيابي؛ فلان، وفلان، وفلان، وفلان.

الإنسان كل يوم يخرج من بيته قائماً، يرجع قائماً، في يوم سيخرج هكذا، من دون عودة، كل يوم يدخل للجامع يصلي، في يوم واحد سيصلى عليه.

أنا أرى عقلك، وذكاءك، وبطولتك، وحصافتك، وفلاحك، ونجاحك، حينما تعد لهذه الساعة عدتها، هذه الساعة لا بد منها.

إذا قلت لي: شيء واقعي، ليس كل شيء يصيبك تمرض، ممكن ألا تمرض، تفتقر، ممكن ألا تفتقر، أما تموت حتماً، أي شيء: ممكن يقع، وألا يقع، أما الموت: لا بد من أن يقع.

فإذا أدركنا موضوع الموت، وعملنا لما بعد الموت، تجد الناس كلاً يعمل لمصلحته، يريد، قال: يريد أن يركز وضعه، لكن: قلما تجد إنساناً يعمل لآخرته، يعمل عملاً بلا مقابل، لوجه الله، كي يرضي الله عز وجل، والله الذي لا إله إلا هو: هذا أعقل إنسان.

دائماً: فرقوا بين العقل، والذكاء، قد تكون مختصاً اختصاصاً نادراً، قد تكون تحمل أعلى شهادة، قد تبلغ درجة من الفهم عجيبة، هذا ذكاء، أما العقل: حينما تعرف الله، حينما تعرف سر وجودك، وغاية وجودك، حينما تأتمر بما أمر، وتنتهي عما نهى عنه وزجر، أنت ابن آدم! أطع ربك، تسمى: عاقلاً .

((من هذا؟ -سأل النبي أصحابه عن مجنون-، قالوا: هذا مجنون، قال: لا، هذا مبتلى، المجنون من عصى الله))

اليوم واحد شوال، نمشي بالتسلسل؛ اليوم ختم القرآن -جزاه الله خير-، رمضان نبدأ به، انتهى، تدخل جامعة أول صف، أخذت الإجازة، انتهى.

الزمن يجري سريعاً، والزمن له حالة خاصة، هناك يوم مفقود، هناك يوم مشهود، هناك يوم مورود، هناك يوم موعود، هناك يوم ممدود، أخطر هذه الأيام: يوم المشهود، هذا يحدد المورود، والموعود، والممدود، والمفقود، لا تغلب نفسك فيه، انتهى، في كلام أبلغ، وأسرع: ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها، لا تملك إلا هذه الساعة، لذلك: لا تسوف، لا تقل غداً، أو ليس الدهر كله غداً، الناس في غفلة.

انتبه إلى هذه النقطة :

أيها الأخوة، خيارك مع الإيمان: خيار وقت فقط، من تريد؟ ائت لي بالتاريخ، أكفر كافر الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات الآية:٢٤]

إنسان ناجى ربه، قال له: يا رب، هذه رحمتك: لمن؟ قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات الآية:٢٤]

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)

[سورة طه الآية:٤٣]

(فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)

[سورة طه الآية:٤٤]

قال: يا رب، هذه رحمتك: لمن؟ قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات الآية:٢٤]

فكيف رحمتك بمن قال: سبحان ربي الأعلى؟ والذي قال:

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)

[سورة القصص الآية:٣٨]

هذه رحمتك به، فكيف بمن قال: لا إله إلا الله؟ .

أيها الأخوة الكرام، خيارك مع الإيمان: خيار وقت، ففرعون الذي قال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات الآية:٢٤]

عند الموت قال:

(آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)

[سورة يونس الآية :٩٠]

انظر إلى شارع مزدحم، انظر إلى أناس مجتمعين في ساحة عامة، مئة ألف، مليون، مليونين، كل هؤلاء على اختلاف مشاربهم، واعتقاداتهم، وأنماط حياتهم، وأخلاقهم، عند الموت: يقرون بما جاء به الأنبياء، مئة بالمئة، فقضية وقت؛ إما أن تؤمن بالوقت المناسب، أو بعد فوات الأوان.

في طالب درس، جاء على البيت، فتح الكتاب، قرأ الموضوع، فهمه، متى فهمه؟ بعد أن قدم الورقة بيضاء، عرف السؤال، لو قدم ورقة للوزير، يرجى إدراج اسمي مع الناجحين، لأنني عدت إلى البيت، وقرأت السؤال، وهذا كلام مرفوض.

لذلك: خيارك مع الإيمان: خيار وقت فقط، وليس خيار قبول أو رفض.

فالبطولة: أن نصحو من الغفلة، والآن: غفلة عامة، الناس يعيشون اللحظة فقط، وهم غافلون عما ينتظرهم، ولو كشف الغطاء: لاخترتم الواقع، ويا رب، لو علمت أن غداً أجلي، ما قدرت أن أزيد في عملي، هذه بطولة.

مرة قلت لكم: قدمت من حلب بباص، وصلنا إلى الشام الساعة التاسعة ليلاً، في أيام الشتاء الباردة، أمطار كأفواه القرب، رأيت إنساناً يركض بالعدوي، كم في ذهنه قناعات للرياضة وقيمتها، والجري وقيمته، وصون قلبه، فلو الناس خالفوه، هذا عنده قناعة ثابتة، يجب أن تملك قناعة ثابتة؛ لا بد من طاعة الله، ولا بد من معرفته، ولا بد من أن تعرفه في الوقت المناسب، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون رمضان عتقاً لنا جميعاً من النار.

والحمد لله رب العالمين

الدرس ٠١ - النهي عن خص الإنسان نفسه قبل القسمة أي لا يأخذ ما ليس له ١
الدرس ٠٢ - هدي النبي عليه الصلاة والسلام في العمل الخالص لوجه الله تعالى . ٦
الدرس ٠٣ - هدي النبي عليه الصلاة والسلام في الصدق مع الله ومع النفس ١١
الدرس ٠٤ - النهي عن التعالي والخيلاء وعدم التباهي بحظوظ الدنيا ١٦
الدرس ٠٥ - الحض على الإنفاق والرزق الحلال ولو كفافا ٢١
الدرس ٠٦ - حال أهل النار يوم القيامة ٢٥
الدرس ٠٧ - العدل في الأمراء والقضاة ٣٠
الدرس ٠٨ - الرزق الكفاف ٣٦
الدرس ٠٩ - جامع عن عقوق الأمهات - وأد البنات ٤١
الدرس ١٠ - التناهي عن المنكر وعدم التوسط في حدود الله ٥٠
الدرس ١١ - الفرق بين حقيقة الإيمان وحلاوة الإيمان ٥٤
الدرس ١٢ - الإسلام يجب ما قبله ٥٨
الدرس ١٣ - عبادة في الهرج كالهجرة - أحب الأعمال أدومها وإن قل ٦٤
الدرس ١٤ - لكل نبي ومستخلف بالأرض بطانتان خير وشر ٦٧
الدرس ١٥ - الإنسان مخلوق للجنة ، وكل إنسان يعمل في ما أقامه الله ٧٢
الدرس ١٦ - الدين معاملة ٧٧
الدرس ١٧ - التقييم في الدنيا لا يفيد إلا في الدنيا ٨٤
الدرس ١٨ - صلة الرحم وأهميتها ٩٠
الدرس ١٩ - أدعية ما قبل النوم ٩٧
الدرس ٢٠ - الإنفاق والزكاة والصدقات وأهميتها ١٠٢
الدرس ٢١ - من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ١١٠

الدرس ٢٢ - الدين ورده إلى صاحبه مع عدم المماطلة ١٢٠
الدرس ٢٣ - أساس العلاقات العامة - العلاقة الزوجية خاصة ١٢٦
الدرس ٢٤ - له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس ١٣٢
الدرس ٢٥ - الرحمة العامة ١٤٠
الدرس ٢٦ - علاقة المؤمنين ببعضهم البعض ١٤٨
الدرس ٢٧ - التشفع في حدود الله ١٥٥
الدرس ٢٨ - مخالفة بعض العادات الشرع .. النواح على الميت ١٦١
الدرس ٢٩ - صلة الرحم ١٦٩
الدرس ٣٠ - الدين النصيحة ١٧٧
الدرس ٣١ - العلاقة بين المؤمن والمجتمع ١٨٥
الدرس ٣٢ - العلاقة بين المؤمن وزوجته وبيئة بيته ١٩٢
الدرس ٣٣ - ذكر الموت وقصر الأمل والمبادرة بالعمل ١٩٩
الدرس ٣٤ - النزاهة والعفة والأمانة ٢٠٧
الدرس ٣٥ - الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال ٢١٤
الدرس ٣٦ - البطانة الصالحة والبطانة السوء ٢٢١
الدرس ٣٧ - الرؤيا الصحيحة ٢٢٧
الدرس ٣٨ - علاقة المؤمن بعباد الله ٢٣٤
الدرس ٣٩ - الشيطان ومرافقته للإنسان ٢٤٠
الدرس ٤٠ - الاستقامة وعلاقتها بالعمل الصالح ٢٤٧
الدرس ٤١ - الفرق بين البدعة والسنة الحسنة ٢٥٤
الدرس ٤٢ - شفافية الرسول عليه الصلاة والسلام - الموت حق ٢٦١
الدرس ٤٣ - التناصح بين المؤمنين ٢٦٧
الدرس ٤٤ - مفهوم الزمن وانقضائه ٢٧٣
الفهرس ٢٧٨